التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

Yanabee'a

ينابيع

٥٦

مَجَلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهْلِ البَيْت عليهم السلام/ السَّنة ١١/ العَدَد ٥٦ جمادى ١ ـ جمادى ٢ ١٤٣٥هـ/ آذار ـ نيسان ٢٠١٤م

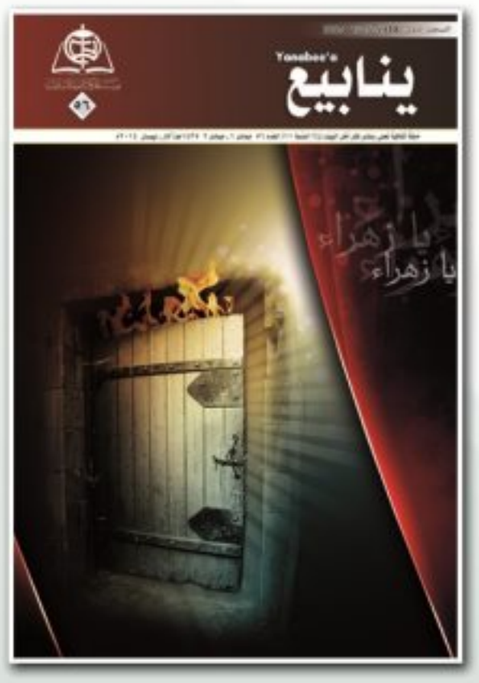

Yanabee'a
ينابيع ٥٦

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
ضياء حسن

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي
أمير محمد العنكوشي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد
العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org
البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com
ص.ب (٥٥٠) موبايل: ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

الرائد للطباعة ـ النجف الأشرف

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦
مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م
مسجلة في المركز الدولي للمطبوعات برقم ISSN 2305-591X

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواءً أُنشرت أم لم تنشر.

قصيدة:

الزهراء أم أبيها

الشيخ حسن الحلّي •

سل أربعاً فطمت أكنافها السحبُ ... عن ساكنيها متى عن أفقها غربوا
سرعان ما صاح طيرُ البين بينهم ... فأصبحوا فرقاً عن عقرها عزبوا
سرت تجوب الفيافي فيهم النجب ... ولـي فـؤاد قفا آثـارهـم يجبُ
أتبعتهم نـاظـراً خيل الـدمـوع به ... تسابقت فهو دامي الغرب مختضبُ
أضحت منازلهم للوحش معتكفاً ... فيهن طير الفنا ينعى وينتحبُ
لم يبق منها سوى رسم وذي شعث ... رأى أشج علت من فوقه الكثبُ
وذي انحناء كجسم الصب تحسبه ... نوناً بها عجم شين الخط قد كتبوا
أوهت قواعدها كف الضنا فعفت ... آثـارهـا ومحت سيماءه النوبُ
وقفت فيها ودمـع العين منسكب ... كالغيث والنار في الأحشاء تلتهبُ
وبـي لواعج وجـدٍ لو رميت بها ... صدر الفضا ضاق وهو الواسع الرحبُ

حيران أقبض في رعش البنان حشاً ... حرى أناخت بها الأحزان والكربُ

* * * *

وقائل لي رفه عن حشاك ولي ... وجد إذا ما نزا بالقلب يضطربُ
فقلت لم يشجني نأي الخليط ولا ... ربع محت رسمه الأعوام والحقبُ
لكن أذاب فؤادي حادث جلل ... تنمي إليه الرزايا حين تنتسبُ
يوم قضى المصطفى في صبحه وعلى ... الأعقاب من بعده أصحابه انقلبوا
قادوا أخاه ورضوا ضلع بضعته ... بجورهم ولها البغضاء قد نصبوا
لم أنسها وهي تنعاه وتندبه ... وقلبها بيد الأرزاء منتهبُ
تقول يا والدي ضاق الفضاء بنا ... لما مضيت وحالت دونك التربُ
(قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ)
(إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا)
نفوا أخاك علياً عن خلافته ... وشيخ تيم عناداً منهم نصبوا
كقوم موسى أطاعوا العجل واعتزلوا ... هارون والسامري الرجس قد صحبوا
ما راقبوا غضب الجبار حين إلى ... المختارِ أحمد قول الهجرِ قد نسبوا
ألغوا وصاياهُ في أهليه وانتهبوا ... ميراثَه وإلى حرمانِهم وثبوا

* * * *

ويل لهم نبذوا القرآن خلفهم ... ومزقوه عناداً بئس ما ارتكبوا
جاروا على ابنته من بعده فغدت ... عبرى النواظر حزناً دمعها سربُ
وجرعوها خطوباً لو وقعن على ... صم الجبال لأضحت وهي تضطربُ
أبضعة الطهر طه نصب أعينهم ... بالباب يعصرها الطاغي وما غصبوا
رضوا أضالعها أجروا مدامعها ... أدموا نواظرها ميراثها غضبوا
لبيتها وهي حسرى في معاصمها ... عدواً فلاذت وراء الباب تحتجبُ
فألموا عضديها في سياطهم ... وأسقطوا حملها والمرتضى سحبوا

قـادوه بالحبل قهراً وهي خلفهم ... تدعو وأدمعها كالغيثِ ينسكبُ
يا قوم خلّوا ابن عمي قبل أن تقع ... الخضراءُ فوق الثرى والكونُ ينقلبُ
فقنّعوها بـقـرعِ الأصـبـحـيـةِ لا ... عداهمو سخطُ الجبّارِ والغضبُ
ووشحوا متنها بالسوط فانكفأت ... لـدارِهـا وحـشـاهـا مـلـؤه عطبُ
حرّى الفؤاد يروي الأرضَ مدمعُها ... فكلّما سـال هـذا ذاك يلتهبُ
قد حـارب النومُ عينيها وانحلها ... فرطُ البكاءِ وأضنى جسمَها التعبُ
ما بارحت قلبَها الأحزانُ ذات حشاً ... حرّى إلى أن أُهيلت فوقها التربُ
قضت وفي جنبها أثر السياط وفي ... فـؤادهـا لـلـرزايـا جحفل لُجبُ
ما شيّعوا نعشها السامي علا ولقد ... تزاحمت خلفها الأمـلاكُ تنتحبُ

* * *

سلّوا ضبا الظلم من أغمادها فغدا ... في حدّها سبط طه الطهر يعتصبُ
ثـاوٍ بحرّ هجيرِ الشمس منجدلاً ... تظلله السمر والهندية القضبُ
جالت عليه العوادي بعد ما نهبت ... أشـلاءه البيض والعسّالة السلبُ
يا ثاوياً بمحاني الطفّ قد سلبوا ... ثيابه وكـسـت جثمانه الكثبُ
تالله ما سيف شمر نال منك ولا ... يدا سنانٍ وإن جلّ الـذي ارتكبوا
لولا الأولى أغضبوا ربَّ العُلى وأبوا ... نصَّ الولاءِ وحق المرتضى غصبوا
كفٌّ بها أمك الزهراء قد ضربوا ... هي التي أختك الحورا بها سلبوا
فدونكم يـا بني الـزهـراء مرثيةٌ ... إن تتل شجواً فقلب الصخرِ ينشعبُ
أرجو خلاصي بها في يوم لا سببٌ ... يغني سواكم ومـالٌ ولا حَسَبُ
عليكم صـلـوات الله مـا طلعت ... في الأفق شمسٌ ولاحت أنجمٌ شُهبُ

ينابيع

مُحتَوياتُ العَدَد

كلمة العدد

نظرة عن كثب

المشرف العـــام ٨

قرآنيات

التوجيه الدلالي لآية الرهن

د. عادل عباس النصراوي ١٠

ملامح أسلوبية في سورة المسد

رائد حامد المرعبـــي ١٤

المضامين والعبر في قصة البقرة

مصعب مكي زبيبـــة ١٨

آمن الرسول

المحاججة في فكر الإمام الصادق عليه السلام

د. مرتضى عبد النبي الشـــاوي ٢٤

حل إشكالية فقدان القدرة الإلهية

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي ٢٨

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى

سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله) ٣٤

واحة الأدب

موقف القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من الشعر

د. جواد غلام عـــلي زاده ٤٢

شاعر وقصيدة (أبو فراس الحمداني)

نقل بتصرف من موسوعة الغدير ٤٨

قصيدة: بين الزهراء وأم البنين

علي الصفار الكربلائـــي ٥٢

إضاءات السيرة

قبسات من مناجاة الراجين

حســـين جودي الجبوري ٦٠

صفات اختص بها رسول الله صلى الله عليه وآله

د. عقيل جاسم دهش ٦٤

صدقات فاطمة عليها السلام في وصيتها

حيـــدر الجـــد ٦٨

ص ١٠

ص ٤٢

ص ١٠٢

ص ٢٤

ص ٣٤

ص ٨٠

ص ٩٢

ص ٦٠

للفضيلة نجومها

الشيخ جعفر القرشي من أساطين الفقه
محمد دعيبل ٧٦

السيد محسن الحسيني الجلالي
د. سلمان هادي آل طعمة ٨٠

الشيخ صادق القاموسي
الشيخ حميد البغدادي ٨٤

في النفس والمجتمع

العفاف زينة الأشراف
د. مهين حاجي زاده ٨٨

أثر الأخلاق القرآنية في صناعة المجتمع
فاطمة هاشم الميري ٩٢

المعروف في العلاقات الاجتماعية
د. وفقان الكعبي ٩٦

طروحات عامة

الحركة العلمية والأدبية في النجف الأشرف
روعة حقي إبراهيم ١٠٢

المرجعية الدينية في مدينة سامراء
د. صاحب محمد حسين نصار ١٠٨

تأثير نهج البلاغة في المؤلفات الأندلسية
د. حسين لفتة حافظ ١١٤

الارتباط الجغرافي والتاريخي بيم مسجد الحنانة ودير حنا
د. محمد جواد فخر الدين ١١٨

قراءات

منهجية الجرح عند النجاشي
د. علي الفحام ١٢٢

يصح الوجهان
ضياء حسن ٣٨

في الذاكرة ٥٤
وقفة مع الذكرى ٥٦
حكاية مستبصر (أبو حيدر الكبيسي) ٧٤
أجوبة مسابقة العدد (٥٤) وأسماء الفائزين ١٢٨
مسابقة العدد (٥٦) ١٢٩

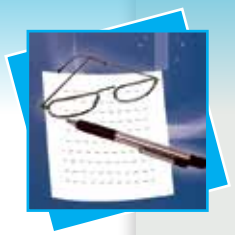

نظرة.. عن كثب

بسم الله الرحمن الرحيم

في خضم الانفتاح الثقافي والفكري الذي نعيشه اليوم.. والذي وصل أوجه في الآونة الأخيرة، مع قوة الإعلام المضاد الذي لعب دوراً كبيراً في مسخ التعاليم الدينية، وتحويل الأخلاق الإنسانية.. والاستحواذ على المبادئ والقيم التي عمل على تجسيدها وفاعليتها الإسلام العظيم.. بدأت تنتاب المجتمعات الإسلامية موجة من الخمول الفكري والديني.. وبدأ الانجرار وراء تأثيرات العولمة الثقافية التي غزت هذه المجتمعات العريقة في قيمها وأصالتها ووعيها الديني.

ولعل من أهم أسباب ذلك قوة الدعاية الغربية، مع الميول الشخصية لدى الشباب المسلم بالتحلي بالأفكار الحداثوية.. والتي أسهمت بدور كبير في تنمية الشعور بالنقص لدى الشباب.. وجعلتهم يندفعون وراء تلك الصور الخلّابة التي تملك شعور أي فرد خالٍ من القيم والأخلاق..

إن انعدام نسبة التوازن التقني والثقافي بين المجتمعات الإسلامية والغربية يفسح المجال لتأثير واسع.. ويسهم بدور كبير في تحقيق الأهداف المنظورة لدى أصحاب القرارات، من أجل السيطرة على المجتمعات، وتحريكها في الوقت المناسب.. تمريراً للمخططات الإقليمية والدولية.. مع ضعف القيم والمبادئ الإسلامية السامية التي هي أهم عوامل التسلح ضد التيارات المعاكسة، وهو بطبعه عامل آخر يسهم بدور فاعل أيضاً في تغلغل الأفكار السلبية داخل المجتمعات الإسلامية..

إضافة إلى الاستعداد التام لدى طبقة الشباب.. لامتلاكها الطاقة القصوى من الانفعال والتأثّر العاطفي.. وعدم الصمود أمام الرغبات الملحة إذا لم تجد حلًّا جذرياً لإشباعها بشكل يتناسب مع القوانين الدينية.

وعندئذ تتم عوامل التأثير، وينصهر المجتمع الإسلامي بالأفكار المستوردة البراقة، وتسيطر القوى الخارجية على المجتمع الإسلامي، وترسم حينها المخططات والأهداف من وراء الكواليس، ويبدأ العمل بزرع جذور الأسس الكفيلة بحرق كل ما جناه المجتمع من المثل والأخلاق عبر السنين الطويلة من الزمن.

إن الشعور بالخطر المحدق بمجتمعاتنا يكفي للتحرك من أجل منع التأثير والتأثر.. ولو قد لا يتناسب مع حجم التيارات الجارفة، لامتلاك الطرف الآخر من المال والإمكانات والتكنولوجيا ما تعجز عنه طاقاتنا..إلا أن العمل الجاد، والحرص على الكلمة الهادفة، والتوجيه السليم، لا يقل دوراً وفاعلية عن كثير من الإمكانات.. مضافاً إلى ما يمتلكه الفرد المسلم في مجتمعاتنا من الرواسب الدينية.. والأسس الأخلاقية؛ التي تفقدها كثير من المجتمعات الإسلامية اليوم.. مما يقلل العبء..

ويذلل جزءاً كبيراً من الصعوبات التي يمكن أن تواجه المربي أو الواعظ في مجتمعات أخرى.

من هنا تبدأ المسؤولية المشتركة.. بين الطبقة الواعية التي تمتلك كلاً من قوة التأثير والبعد الديني مع الأصول المذهبية الصحيحة.. والطبقة الأخرى من الشباب الذين يتمتعون برهف الإحساس، وقوة العواطف، وقابلية الانجرار وراء المغريات التي يواجهونها خلال حياتهم اليومية.. في السوق.. والجامعة.. والدائرة.. وغير ذلك.

ومع تجسد الشعور التام بالمسؤولية أمام الله تعالى وولي أمره صاحب العصر (عجل الله فرجه الشريف) يتم العمل.. ويبدأ التفاعل من كل الطرفين من أجل الحصول على مضادات الثقافة التحللية الغازية.

فالمسؤولية مشتركة بين الكل.. الأب والابن.. والمعلم والتلميذ.. وأستاذ الجامعة والطلبة.. ورجال الدين وعامة المؤمنين.. ولا يتصور أحد خلو بعض طبقات المجتمع من هذه المسؤولية، تذرعاً بحجج واهية، كالانتساب للدين، أو كبر السن، أو غير ذلك.. وقد سبق أن نوهنا إلى أن قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» خير دليل على اشتراك الكل في هذه المسؤولية الشريفة، ولا يسع أحد التخلي عنها.

كما أكد القرآن الكريم على اشتراك الكل بهذه المسؤولية بقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) آل عمران / ١٠٤.

أضف إلى ذلك أنه لا يختص التوجيه الديني والأخلاقي بطريقة معينة حيث لا تتيسر لكل أحد، كارتقاء المنابر، في المساجد والحسينيات، بل يمكن تحققه بشتى الوسائل، وبمختلف الإمكانات، خصوصاً بعد تيسر طرق التواصل الاجتماعي اليوم، وتعدد التقنيات الحديثة الخاضعة للطرائق الإعلامية الهادفة، فالأدوات المستخدمة في العمل الإعلامي الهادف، والذي يحمل في طياته الفكر المنحرف، يمكن بنفسها استغلالها لإيصال الفكر الخلاق والقيم الدينية خصوصاً بعد انتشارها وتيسر استعمالها للجميع على حد سواء. ولذا نقول دائماً: كلما تكثر وسائل الفساد والانحراف تكثر وسائل نشر الوعي الديني في المجتمعات، لأن التناسب بين ذلك تناسباً طردياً خاضعاً لنفس الوسائل والآليات التي يمكن استغلالها بشتى الطرق.

ومع ذلك لابد من الإشارة إلى نقطة سبق أن أشرنا إليها وهي: أن الرواسب الدينية التي يتمتع بها الفرد المؤمن في مجتمعاتنا تسّهل بكثير عملية التوجيه الديني، وتذلّل صعوبة رجوع الفرد إلى الجذور الصحيحة والأخلاق السامية، لذا لا داعي للتوجّس أو الخوف من دخول التيارات المعاكسة.. وقوة تأثيرها الإعلامي.. فإن حجم الخط وإن كان كبيراً ومهولاً قد ينهار أمامه الناظر عن كثب.. إلا أنه لا زال من الصعب اختراق الثوابت الدينية لدى القاعدة الشعبية من الشباب وغيرهم لهذه الطائفة بشكل كامل، بعد تلك الأسس الضخمة التي أرسى قواعدها أئمة أهل البيت عليهم السلام.. وعملوا على تدعيم الثوابت على طول فترة نضالهم ضد السلطات الجائرة.. فنشأ مجتمع مؤمن واعٍ.. ولا يعني ذلك أن لا يتعرض المجتمع بين الآونة والأخرى إلى هجمات مضادة وبمختلف الطرق.. ولذا ندعو أهل القيم للتحرك من أجل دفع غائلة تلك الهجمة في العصر الحالي.. والله سبحانه من وراء قصد العاملين.. وهو حسبنا ونعم الوكيل ■

المشرف العام

التوجية الدلالي لآية الرهن

(دراسة تحليلية)

د. عادل عباس النصراوي ●
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

ينابيع

الرهن لغة : الثبات والدوام، وشرعًا فهو وثيقة للمدين يستوفي منه دَيْنَهُ والرهان مثله، لكن يختص بما يوضع في الخطار أي السباق؛ وعند الفقهاء (هو دفع العين للاستيثاق على الدَّين، ويقال للعين (الرهن) أو (المرهون)، وللآخذ (المرتهن) وهو عقد لازم من طرف المرتهن، ويحتاج إلى إيجاب من الراهن وقبول من المرتهن، ويقع الإيجاب بكل لفظ أفاد المقصود)[1].

ففي قوله تعالى :(**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**)(البقرة:٢٨٣).

بعد أن تأسس في آية الدَّين مشروعية الندب إلى الأشهاد على الدَّيْن والكتابة لأجل حفظ أموال الناس في قوله تعالى :(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ**)(البقرة:٢٨٢)، شرَّع بعدها تعالى لحالة الأعذار المانعة من الكتابة والاستيثاق بها، فجعل الرهن لها حلًا للأعذار التي منها السفر وعدم وجود الكاتب

فابتدأ الآيةبأداةالشرط (وَإِنْ)ليؤسس لوقوع حدث ما أو عملٍ مرتبط بوقوع فعل قبله، فقال :(**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**) فجعلَ السفرَ وعدمَ وجودَ الكاتب شرطًا لوقوع الرهن وسببًا له، على ظاهر لفظ الآية، وهذا ما ذهب إلية مجاهد والضحاك وداود متمسكين بظاهرها[2] ولاحجة لهم في ذلك إلاّ الظهور، إذ إن من خواص (إنْ) الشرطية استعمالها في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة[3]فهي تجعل الشرط غير ملزم، لأنَّ وقوع السفر وعدم وجود الكاتب أو غيرها من الأعذار قد تقع، فيكون مَنْ تداين شيئًا من المال أوغيره مضطرًا أن يسلك طريقًا آخر لأجل ضمان حق صاحب المال، فكان الرَهْن هو الوثيقة على الدائن من المدين.

وقد نقل السيوطي عن بعضهم وقوع

(أنْ) في القرآن بصيغة الشرط، وهو غير مراده في ستة مواضع[٤]، ذكر منها قوله سبحانه(**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**) في كون الشرط فيها غير ملزم،لأن وقوعه وعدمه في كليهما محتمل، وذكر منها كذلك قوله تعالى (**فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ**)(البقرة: ١٩١) وقوله تعالى :(**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**)(البقرة: ٢٣٠)،فمعاني القتال والطلاق محتملة في الوقوع وعدمه،وأن مجيء (أنْ) في الآية ربما يكون لغرض تسويغ الأعذار وتمثّلها فذكر السفر وعدم وجود الكاتب، وإلا فإنّ الرهن المقبوضة واقع مقابل للدَيْن في حال عدم وقوع الشرط.

ولو أراد سبحانه إلزام وقوع الشرط لجاء بالأداة (إذا) فيقول :(وإذا كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة)، ولكان هذا الشرط ملزم الوقوع للراهن والمرتهن، وذلك أنّ الأصل في (إذا) أن تكون للمقطوع بحصوله وللكثير الوقع[٥]،من نحو قوله سبحانه :(**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**)(البقرة: ١٨٠) فَإنّ كل واحد منّا سيحضره الموت وقوله سبحانه (**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ**)(الجمعة: ١٠)فإنّ الصلاة لابُدَّ أن تنقضيَ[٦] فضلاً عن ذلك قيل إنّ النبي محمدًا ﷺاشترى من يهودي طعامًا إلى أجلٍ ورهن درعًا من حديد،وبقيت مرهونة عندَ اليهودي بثلاثين صاعًا من شعير لأهله حتى وفاته[٧] ﷺ، وكان النبي ﷺ في حضر مع وجود الكاتب.لقد ذهب جمهور من المفسرين والفقهاء إلى جواز وقوع الرهن وصلاحه مع الحضر ووجود

الكاتب، فقال الشيخ الطوسي :(يجوز أخذ الرهن مع الحضر ومع وجودالكاتب)[٧] وهو الصحيح عند القرطبي، وثابت عنده بنصّ السنة والشريعة[٨].

ثم قال:(**فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**)، الفاء فيها رابطة لكون جواب الشرط ليس من جنسه لفظًا، فجعل من الفاء رابطة له، والرهان اسم لما يُودَع مقابل الدَّيْن ؛ ويكون كذلك مصدراً على وزن (فعال) من الفعل (راهن، يُراهن، رهانا)، وهو ما يقع من الرهن بين اثنين، ومثله أيضًا قاتل يُقاتل قتالاً، وخاصم يُخاصم خصامًا، وعالج يُعالج علاجًا، وقراءة الجمهور (فرهان،جمع رَهْن نحو كَعْب وكعاب، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بن العلاء : فرُهُن، بضم الراء والهاء... وقيل هو جمع رهان، ورهان جمع رَهَن،... وقال أبوعمروَ بن العلاء : لا أعرف الرهان إلاّ في الخيل لاغير، وقال يونس : الرُهُن والرهان عربيان، والرُهُن في الرَهْن أكثر، والرهان في الخيل أكثر)[٩].

(**فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ**)قراءة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقراءة أهل الكوفة وأهل المدينة[١٠].

والرَهْنُ من الفعل رَهنَ بمعنى الحبس، وقد ذكر ابن منظور عن ابن عرفة قوله : (الرِّهْنُ في كلام العرب هو الشيء الملزم، يُقال : هذا راهنٌ لك،أي دائمٌ محبوسٌ عليك)[١١]غير أن سياق هذه الآية والتي قبلها تعني المشاركة، فالمداينة تكون بين اثنين، بدليل قوله سبحانه (**إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ**) والفعل (تداين) ماضيه (دايَنَ) على وزن (فاعَلَ) الدال على المشاركة بين اثنين أو أكثر[١٢]،و المراهنة معطوفة على المداينة فحكم سياقها يكون كذلك بين اثنين،لأنَّ الفعل فيها أصله المداينة، لكنها بطريقة أخرى في حال وجود أعذار ؛ فلأجل الاستيثاق جُعلَ الرهن،وهو مادة عينية عوضًا عن الوَثيقة في الدَين.

وإنّ أفضل فعل للمراهنة أن يكون معناه المشاركة وهو الدال على وقوع الفعل بين اثنين وهما الراهن والمرتهن، فمن الراهن يحتاج إلى إيجاب، ومن المرتهن القبول ؛وإنّ أصلح شيء لهذا أن يكون الفعل على صيغة (فاعَلَ) الدالة على المشاركة، وهو (راهَنَ) وفيه إفادة تمام المعنى المطلوب بين الإيجاب والقبول مع الحبس للمادة المرهونة، ومصدره (رهان)؛ فيما إنَّ الرَّهَن فيه دلالة حبس المادة عند المرتهن لا غير، فيما إنّ مراد الآية أوسع من ذلك،لذا كان (رهان) بدلالة المصدر الدال على حدث القبول والإيجاب لحبس المادة مقابل الدَّيْن هو الأليق في هذا المقام، وإنَّ السياق العام يأخذنا إلى ذلك ويدلّنا عليه.

فضلًا عن الإيجاب والقبول من الراهن والمرتهن، فإنّه يشترط في الرهان القبض وبهذا قال أكثر الإمامية مستدلين بالآية وبقول الإمام محمد الباقر عليه السلام فيما رواه محمد بن قيس:(لارهنَ إلاّ مقبوضاً)[١٣] وهو رأي الجمهور،ويشترط فيه القبض إلاّ مالكًا فقد اكتفى بالإيجاب والقبول[١٤] أما أبو حنيفة والشافعي فلا يصح عندهما الرهن من دون قبض، وقالت المالكيةيلزم الرهن بالعقد[١٥].

ولو قُدِّر أنْ يكون محل المصدر (رهان) لفظ (رَهَن) وهو اسم للمادة العينية أو جمع (رُهُن) لتوجَّبَ أن يكون القبض هو الأصل في المسألة، ولا يهّم إن وقع الإيجاب والقبول أو لا، وذلك لأن الاسم يدلّ على ذات معيّنة دون الحدث،بيد أن ما يدلّ على وجود عقد بين طرفين؛ولا يحل ذلك إلاّ مصدر يدلُّ على هذا الحدث المقترن بقبض المادة المرتهنة،إذ إنّ حدث الرهان لا يكتمل من دون القبض ولايقع القبول

أصلًا وعليه لا يصحّ أن يكون الدَّيْن رهنًا لعدم إمكان قبضه في حال الارتهان.

ثم استأنف سبحانه قوله(**فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**)،جاءت فيه الفاء تفيد الاستئناف وذلك لحصول حالة أخرى، وهي أن يكون الدَّيْن من دون وثيقة مداينة بين الدائن فابتدأه بالشرط مستعملًا (إنْ) الشرطية، وجعل فعل الشرط (أمِنَ) وجوابه(يؤدّ) وإنّ ابتداءه بـ (أنْ) فيه دلالة تعدّد لاحتمالات معاني فعل الشرط (أمِن)، فمنهم مَنْ يأمَنُ الآخر ثقة به،أو لقربه منه ومصاحبته أو يأمنه لدينه؛واستعمالها في هذه الدلالات المحتملة أليق من غيرها ولو أراد واحدةً من هذه المعاني وعلى وجه اليقين في الوقوع لاستعمل (إذا) الشرطية وقد وضّحت ذلك من قبل[٦١].

ثم قال تعالى:(**بَعْضُكُمْ بَعْضًا**) على سبيل المساواة في الأمن بين الدائن والمدين لأن كليهما مرتبط بالأمن ؛ ولو وقع الأمن من واحد دون الآخر لما كان هناك أمن.

ثم أردفه بجواب الشرط في قوله سبحانه(**فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ**)وقعت فيه الفاء رابطةً للجواب لعدم وجود مجانسة لفظية مع فعل الشرط ؛ ووجود لام الأمرفيه دلالة على الأمر بضرورة أداء الأمانة وجوبًا، لعدم وجود مايدفع الوجوب في الأمر.

ولمّا كان الدَّين أو القرض غير موثّق بكتاب أو وثيقة سمّاه تعالى (أمانة) عند المدين ؛والضمير في (أَمَانَتَهُ) عائد عليه، وأمر تعالى بضرورة أن يُرجع ما بذمته من الدين لصاحبه.

ثم قال تعالى :(**وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ**)في إعادة ما بذمته من المال من غيرِ مطل أو تسويف.

ونهى بعد ذلك عن كتم الشهادة وإخفائها عند طلبها، والذي يكتمها سيكون آثمًا قلبهُ لأنَّ في ذلك ضياعًا لحقوق الناس،وأن اللّه تعالى معاقبه على ذلك، وعَدَّ عمله إثمًا يُعاقب عليه الشرع ولعل في إضافة الإثم إلى القلب أبلغ في الذم،كما أنّ إضافة الإيمان إلى القلب أبلغ في المدح.

وقد تبين من قوله سبحانه (**فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**)على أنّ الإشهاد والكتابة في المداينة ليس بواجب، ولكن إيقاعه يكون من جهة الاحتياط[٧١]في حفظ أموال الناس وعدم التفريط في حقوقهم، والإنسان قد يغلب عليه السهو والنسيان فتكون الكتابة حافظة لكل ذلك.

---

(١) ظ : الجامع لأحكام الشرعية / السبزواري :٣٢١.
(٢) ظ : الجامع لأحكام القرآن / القرطبي : ٣٤٧/٢ ؛ التفسير الكبير / الفخر الرازي : م ٣/ ١٠٠- ١٠١.
(٣) ظ :
(٤) ظ : الاتقان / السيوطي : ١/ ٣١٢.
(٥) ظ : معاني النحو / د. فاضل السامرائي :٦١/٤.
(٦) م. ن.
(٧) ظ : الجامع لأحكام القرآن / القرطبي : ٣٤٧/٢.
(٨) التبيان / الطوسي : ٣٨٠/٢.
(٩)ظ : الجامع لأحكام القرآن / القرطبي : ٣٤٧/٢.
(٠١) البحر المحيط / أبو حيان : ٢ / ٥٧٢ ؛ لسان العرب / ابن منظور : ٥/ ٣٤٨ – ٣٤٩ – رهن.
(١١)ظ : أعراب القرآن / النحاس : ١١٧- ١١٨.
(٢١) لسان العرب / ابن منظور : ٥/ ٣٤٩- رهن.
(٣١) ظ : شرح النظام / النيسابوري : ٥٥ ؛ شذا العرف / الحملاوي : ٤٩.
(٤١)كنز العرفان / السيوري : ٤٢٢.
(٥١) ظ : م. ن.
(٦١) ظ : البحر المحيط / أبو حيان : ٥٧٣/٢.
(٧١) ولمزيد من الإيضاح استعمالات (إن) و(إذا) الشرطيتين. ظ : شرح المفضل للزمخشري / ابن يعيش : ٩ /٤ ؛ الأتقان / السيوطي : ١/ ٣١٢- ٣١٣ ؛ المكليات / الكفوي : ٥٨ – إذا ؛ ١٦١- إنْ ؛ معاني النحو / د. فاضل السامرائي: ٥٩/٤- ٦٢.
(٨١) ظ : التبيان / الطوسي : ٣٨١/٢.

ملامح أسلوبية في سورة المسد

م. م. رائد حامد المرعبي •
معهد إعداد المعلمين/ الديوانية

ينابيع

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ *تَبَّتْ يَدَا أَبِـي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)(سورة المسد)

ليس ثمة تعبير أروع من وصف الرسول الكريم ﷺ للقرآن بأنه (مأدبة الله)[1] ووصف أراد به ﷺ اختزال عدة دلالات يحملها الحديث بين طياته.

فإذا كان الناس على اختلاف ألوانهم ومشاريعهم يختلفون في تخير الأطعمة، كل حسب ذوقه وقدرته، فهم أيضاً يقفون أزاء تلك المأدبة وتنوع أطعمتها مختلفين باختلاف أذواقهم، فالفقيه يأخذ من مأدبة القرآن ما يشبع حاجته، واللغوي ما يسد رمقه، والمؤرخ ما يتصل بالأحداث التاريخية....الخ.

والحال كذلك مع سعة المتلقي على استيعاب تلك الفيوضات الإلهية، بوصفه أي المتلقي ـ طرفًا قاصرًا أمام النص القرآني مهما كانت درجة وعيه وعلمه، ومن ثم فإن ما يستحصله من تلك الفيوضات تزداد أو تقل مصداقًا لقوله تعالى: (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا)(الرعد:١٧).

وفي رحاب مأدبة القرآن وتخير أطعمتها فإن سورة المسد تعد شكلاً من أشكال إعجاز القرآن، لا لكونها تمثل مصداقًا لقوله تعالى: (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ)(البقرة: ٢٣)، في تحدي العرب وعجزهم على أن يأتوا بمثلها أو بقية السور، بل بما تملكه هذه السورة من مقومات وعناصر أسهمت في تشكيل بنائها اللغوي والفني، وأحسب أنه يمكن أن نقسم هذه العناصر وفق محورين:

الأول: التوظيف البلاغي:

إن أول ما نراه من آيات تلك السورة المباركة هو جمالية التوظيف البلاغي ودقته، إذ يبدو للوهلة الأولى لمن يطالع تلك الآيات أن ثمة تكرارًا قد حصل في قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) وبين قوله تعالى: (وَتَبَّ)، بيد أن هذا الإحساس

سر عان ما يكشف عن حقيقة تبين مدى هذه الدقة، إذ خرجت الجملة الفعلية: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي هو الدعاء[٢]، الدعاء على أبي لهب بالخسران، ليأتي بعدها الفعل الماضي (وَتَبَّ) مؤكداً حقيقة الخسران ـ هذا المعنى أسهمت في تكوينه جميع آيات السورة المباركة ودارت حوله ـ إذ خرج الفعل فيها عن معناه الحقيقي إلى معنى الخبر، وهذا الأسلوب للآية أعطى بعدًا جماليًا، عدولًا عن كل مكرور أو مألوف اعتاده السمع، وهذا ما نراه في قوله تعالى: (تَبَّتْ يَدَا)، إذ وظفت الآية أسلوب المجاز المرسل في إعطاء ذلك البعد الجمالي، فهذا الأسلوب عرفته العرب على أنه: (استعمال اللفظ في سياق ليؤدي دلالة ليست مرتبطة به في أصل بنائه. وإنما هي دلالة يتطلبها السياق الذي يحيط باللفظ)[٣]، وهذا يتطلب مجموعة من العلاقات بين هذين الطرفين: دلالة اللفظ الأساسية، والدلالة السياقية[٤]، والجزئية هي إحدى تلك العلاقات التي يتطلبها الطرفان، إذ أطلقت الآية لفظ الخسران على اليد وأريد من خلالها (أبو لهب)، وقد يكون سبب هذا التخصيص أن يد الإنسان هي (عضوه الذي يتوصل به إلى تحصيل مقاصده، وينسب إليها جل أعماله)[٥].

وهذا العدول عن ذكر الكل إلى الجزء صاحبه عدول آخر عن استعمال الاسم (عبد العزى)[٦] إلى الكنية (أبو لهب)، وهذا الاستعمال له دلالات وأغراض قصدت السورة توظيفه بشكل دقيق، فضلًا عن الجانب الصوتي الإيقاعي فإنها ـ أي السورة ـ قد وظفت أسلوب الجناس بين

الكنيــة (أبو لهب) وصفة النار (ذات لهب)، ليخبر هذا الأســلوب البلاغي عن المصير النهائي الذي ســتؤول إليه تلك الشــخصية نهاية المطاف، وهذا يعد ضربًا من ضروب الإعجــاز إذ حوت هذه الآية إخبارًا للغيب، إذ أخبــرت عن مصير أبي لهــب في كونه ســيموت كافــرًا دون أن يرضــخ لتعاليــم الرسالة السماوية وهذا ما حدث فعلًا.

ولــم تكتف الســورة بتصوير المشــهد النهائــي لهذه الشــخصية، بــل حاولت أن تحط مــن قدرها عن طريق أســلوب آخر من أساليب البلاغة، إذ خرج الاستفهام في قوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)، عن معناه الحقيقي إلى معنى الاستهزاء[٧]، وهذا الخروج جاء اســتنكاريًا لسلوك هذه الشخصية، ليبين هذا الأسلوب مستفهمًا أن المال أو الأولاد لن يغنيا عنه من الله شيئًا. عند من ذهب إلى أن الكسب المقصود في السورة المباركة هو الأولاد[٨].

وفي قبال هذه الشخصية نجد شخصية (أم جميــل)[٩] زوجــة أبــي لهــب، هــذه الشــخصية نجدها قد رســمت في السورة بأسلوب كنائي فمن (أجمل ما مثلوا للكناية تلبــس المعقــول ثوب المحســوس... فقد كنــى الله تعالــى بذلك عن المــرأة النمامة التــي تهيــج الشــر، وتفســد ذات البين، بهذه العبارة، التــي تحمل من لطف التعبير وجمــال التصويــر، مــا يخيــل إلينــا أنها تمســك الحطب، وتلقيه فــي النار، لتزيد مــن ضرامها كمــا تفعل إذ تؤجــج العداوة والبغضــاء بين الناس وتؤلــب بعضهم على بعضهــم الآخر، فهي تســعى إلــى النميمة ومصيرها أن تكون حطبًا لجهنم)[١٠].

ولم تكتف السورة في استثمار أسلوب الكناية في رســم شــخصية (أم جميل). بل لجأت إلى توظيف أسلوب آخر من أساليب البلاغة، إذ كانت التورية حاضرة كملمح من ملامح هذه السورة، وذلك في قوله تعالى: (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَــدٍ)، إذ صوّر هذا الأســلوب هذه الشخصيةَ بالحطّابة تحقيرًا لها[١١]، في الوقت الــذي ذهب فيه بعضهم إلى أن الحبل المقصود في الآية جاء تعبيرًا عن الأغلال التي ســتغل بها هذه الشخصية يوم القيامة[١٢].

ومهما يكن مــن تعبير فــإن المعنى قد تشظى إلى معان إيحائية تدور حول حقيقة واحدة ركزت السورة عليها منذ الآية الأولى ألا وهي حقيقة الخسران.

وإذا ما نظرنا إلى الفاصلة في هذه الآية (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) لوجدنا خروجًا إيقاعيًا على مســتوى الفاصلة القرآنية. إذ خالفــت هذه الآيــة الفاصلــة المعهودة في الســورة المباركة، وأحسب أن سبب ذلك ـ والله أعلــم ـ يعود إلى خــروج معنوي آخر صاحبَ الآية.

فالجيــد هو موضــع القــلادة. وما هو منتظر أو متوقع من المرأة هو أن تستعمل جيدهــا للزينة كعادة النســاء، غير أن أفق التوقع ينكســر محدثًا مفارقة على مستوى المعنــى، إذ إن الجيــد هنا أصبــح موضعًا لحبــل من ليف بدل الزينــة، وهذا الخروج المعنوي صاحبه خروج صوتي، إذ خرجت الفاصلــة عن ســياقها لتحــدث توافقًا بين هذين المستويين.

الثاني ـ البناء القصصي:

لو أمعنا النظر في ســياق هذه السورة لوجدنا أنها قد وقعت ضمن إطار النصوص المغلقــة[١٣]، إذ إن أحداث هذه الســورة لم تتكرر في موضــع آخر من القرآن كغيرها من القصص، وهذا يعطي السورة وأمثالها نوعًا مــن التفــرد والتميز، وقــد وظفت الســورة أســلوب الســرد بدل الحوار في عرض سير الأحداث، متخذة من شخصية أبــي لهب وزوجتــه محورًا تــدور حولهما

أحداث هذه القصة.

وقد رسمت لنا السورة الملامح الخارجية للشخصية الرئيسية (أبو لهب) في توظيفها هذه الكناية، إذ كانت وجنتاه تلتهبان حسنًا[١٤]، هذا الوصف يشكل نوعًا من التضاد بين الجمال الخارجي وقبح الذات، فضلًا عن كون الآية قد وظفت عنصر السخرية[١٥] الذي يعد (من أهم المنبهات أو المحركات التي يستجيب لها المتلقي)[١٦]، ونجد هذا العنصر في استعمال السورة لكنية أبي لهب وعدولها عن ذكر اسمه، كي تتجانس الكنية مع (ذات لهب) التي يصلاها بصفة أن الأب هو الأكثر لصوقًا بالشيء، فالجريمة هي مثلًا ظاهرة انحرافية، وأما إذا أطلق على صاحبها مصطلح (أبو الجريمة) فهذا يعني أنه أكثر جريمة من سواه، بل هو صاحب سلسلة كبيرة من الانحرافات، بحيث يصبح أبًا لها[١٧].

وهذا العنصر ـ أي عنصر السخرية ـ امتدت ظلاله إلى الشخصية الثانية في السورة

(أم جميل)، إذ إنها عزفت عن استخدام الزينة إلى وضع الليف، فضلًا عن عرض ملمح خارجي لشخصية هذه المرأة وهو نمط سلوكها المنحرف، إذ كانت تمشي بين الناس بالنميمة، ومثلما رسمت لنا السورة الجزاء الأخروي للشخصية الرئيسية في القصة (أبو لهب)، نجدها كذلك مع هذه الشخصية عند من يذهب إلى عد الحبل رمزًا للأغلال التي ستغل بها يوم القيامة[١٨].

ويبقى هذا التعدد في تأويل هذه الآية والآيات الأخر مصدرًا من مصادر الإثراء الدلالي والجمالي، وشكلًا من أشكال الإعجاز الذي يضاف إلى الأوجه السابقة.

ومما يجدر الإشارة إليه في سورة المسد أنها تعد واحدة من الدلائل الواضحة على صدق دعوة النبي الأكرم ﷺ وأن القرآن هو المعجزة الخالدة له، وذلك أنها نزلت في حياة أبي لهب وليس بعد موته، الذي كان هاجسه الوحيد هو تكذيب النبي ﷺ وبطلان دعوته، فلو لم تكن هذه السورة قد نزلت من لدن حكيم عليم، لقام أبو لهب ودخل الإسلام كغيره من المنافقين الذين دخلوا الإسلام، وكان أبو لهب يعرفهم وهم من حزبه، وبذلك يثبت بطلان هذه السورة التي بشرته بالنار، ومن ثم بطلان دعوة النبي ﷺ. إلا أن الله سبحانه يعلم أنه لن يسلم حتى نفاقًا، فتحدته بهذه النبوءة، وأثبتت ضلاله، وصدق دعوة النبي الخاتم ﷺ.وبقيت هذه السورة تتلى من حين نزولها إلى يوم يبعثون.

---

(١) بحار الأنوار: مج ٣٧/ ١٧

(٢) ينظر: إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٨وأسرار التكامل في القرآن: ٢٢٧

(٣) جماليات الأسلوب: ١٦٠

(٤) ينظر: م. ن: ١٦٠

(٥)تفسير الميزان: ٢٠/ ٤٤٤

(٦)ينظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ٢٣٨.

(٧) ينظر: التبيان في تفسير القرآن : ٢/ ٢٩٦.

(٨)ينظر: إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٩.

(٩)ينظر: صفوة التفاسير: ٥٥٥/٣

(١٠) أساليب البيان في القرآن: ٧٤٦

(١١)ينظر: تفسير البيضاوي: ٤/ ٤٦٢.

(١٢) ينظر: قصص القرآن دلاليًا وجماليًا: ٢/ ٥٢٠

(١٣) إعجاز اللغة السردية في القرآن الكريم: ١٠٧.

(١٤) ينظر إعراب ثلاثين سورة: ٢٣٨،ومجمع البيان: ١٠/ ٥٣٧.

(١٥) ينظر قصص القرآن جماليًا ودلاليًا: ٢/ ٥١٨

(١٦) م. ن: ٢/ ٥١٨.

(١٧) م. ن: ٢/ ٥١٩

(١٨) ينظر: قصص القرآن جماليًا ودلاليًا: ٢/ ٥٢٠

المضامين والعبر

في قصة البقرة

مصعب مكي زبيبة •
طالب ماجستير/لغة عربية

ينابيع

قال تعالى في سورة البقرة:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ* قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ* وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ* فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الآية ٧٦- ٣٧).

إن هذه القصة التي ورد ذكرها في سورة البقرة تحتوي من المضامين والعبر والأساليب ما تحتاج إلى المزيد من الوقوف والتفكر والتأمل من أجل بلوغ الغايات التي من ورائها تهدف هذه القصة، وليصدق قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)(يوسف:٣)، إن هذه القصة تنوعت واختلفت أساليبها وطرق أدائها من أجل الوصول إلى تلك الغاية، غاية أن تكون العبرة والموعظة من خلال قص أخبار الأقوام السابقة. فتنوعت

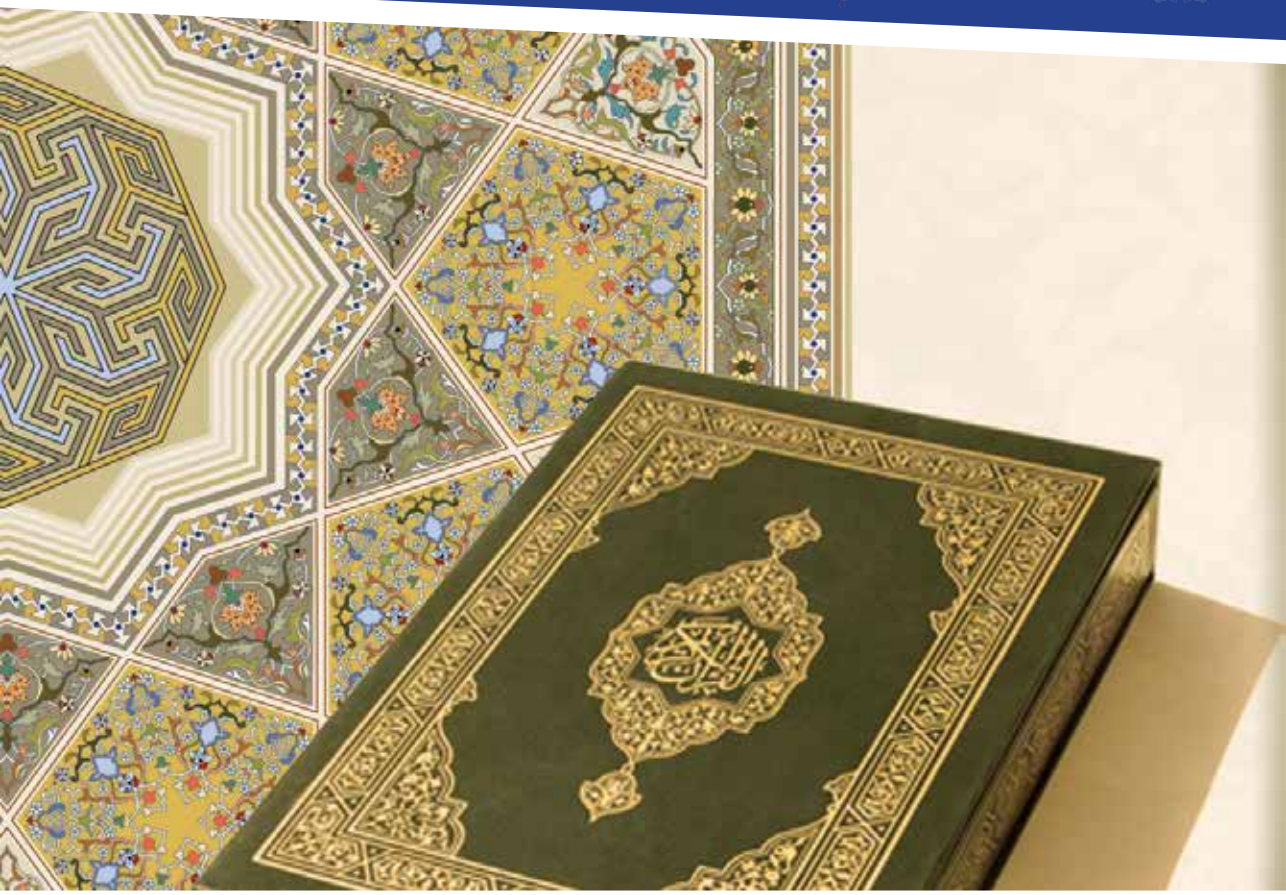

الأساليب في قصة البقرة بين توكيد وبين دليل على إعجاز أسلوب القرآن الكريم، ونسق آياته البيّنات.

ونحن نلحظ في هذه القصة التي وردت في سورة البقرة خصائص ومقومات تتكئ عليها، تتعاضد من أجل إيصال الفكرة والموعظة التي تريد إيصالها، فمن هذا الخصائص: قوله تعالى (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**) إن القول بهذا الأسلوب القوي كان يكفي لردعهم وثنيهم عن جهالتهم، لأن الأمر جاء من الله، ألا تكفي فقط هذه الجملة للامتثال التام؟!.(كان هذا القول بهذه الصيغة يكفي للاستجابة والتنفيذ. فنبيهم هو زعيمهم الذي أنقذهم من العذاب المهين، برحمة من الله ورعاية وتعليم، وهو ينبئهم أن هذا ليس أمره وليس رأيه، إنما هو أمر الله، الذي يسير بهم على هداه)[1].

وقوله تعالى:(**عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**)و(بين) يقضي الموازنة بين شيئين أو أكثر فجعلها الله سبحانه مقترنة مع (ذلك) وما جاز هذا لأن (ذلك) تشير إلى شيئين في الحقيقة إلى (الفارض) البقرة المسنة، وإلى (البكر) البقرة الفتية. وكأنه يقول سبحانه تعالى عوان بين الفارض والبكر، ولأنه أشار إليهما في الآية الكريمة استعاض عنهما بـ(ذلك)[2]. اختصارًا

وبلاغة في الإيجاز. ونلاحظ أسلوب النبوة الأبوي فلا يرد عليهم بالزجر والنهر بل يجيبهم على قدر أسئلتهم على الرغم من صفاقتها ووقاحتها (يردهم موسى الى الجادة، بأن يسلك في الإجابة طريقًا غير طريق السؤال. إنه لا يجيبهم بانحرافهم في صيغة السؤال كي لا يدخل معهم في جدل شكلي.. إنما يجيبهم كما ينبغي أن يجيب المعلم المربي من يبتليه الله بهم من السفهاء المنحرفين. يجيبهم عن صفة البقرة)[٣].

واستعاض بذلك عن مؤنثين هما (الفارض، البكر) وهما صفتان للمؤنث (البقرة) علمًا أن (ذلك) اسم إشارة إلى واحد، وإنما جاز هذا لأنها بدلالة هاتين الكلمتين (الفارض، البكر) مثلما نقول: فعل نائبًا عن أفعال كثيرة ومثلما نقول للرجل: (نعمَ ما فعَلت)، أو (قد ذكر لك أفعالًا كثيرة وقصة طويلة) وكما تقول (ما أحسن ذلك، وما أروع ذلك)، وقد أشار صاحب الكشاف إلى أن الضمير يجري مجرى اسم الإشارة في هذا متمثلًا بقول الشاعر:

فيها خطوط من سواد وبلق
كأنه في الجلد توليع البهق

وربما يقول قائل: إن أراد الشاعر بـ (كأنه) الخطوط ينبغي أن يقول كأنها، وإن أراد السواد والبلق ينبغي أن يقول: (كأنهما). وهذا كله وهم لأن الشاعر أراد من (كأنه) في البيت الشعري (ذاك) اختصارًا وإيجازًا. وكذلك ينطبق هذا الكلام على أسماء الإشارة والأسماء الموصولة التي تكون تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على نحو الحقيقة الدلالية. مثل قوله تعالى (مَا تُؤْمَرُونَ) الذي بمعنى الجمع كأنه يقول سبحانه: ما تؤمرونه أو (تؤمرون به).

وكل ذلك يدلل على جواز أن تجيء ذلك وهي للإشارة للمفرد للمؤنث في انزياح دلالي سياقي بليغ يدل على التنوع الأسلوبي والإيجاز والاختصار في الألفاظ مع سطوع الدلالة في أبهى صورها وأجملها[٤].

وقوله تعالى:(**فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ**) أسلوب أمر يجب الالتزام به فلو كان قوم موسى عليه السلام يريدون الإيمان حقيقة لكفاهم هذا الأمر فقط، فما بالك بالأوامر السابقة واللاحقة والإشارات والأساليب الحاثة على المبادرة؟ لأن (في هذا كفاية لمن يريد الكفاية، وكان حسبهم وقد ردهم نبيهم إلى الجادة مرتين، ولمح لهم بالأدب الواجب في السؤال وفي التلقي، أن يعمدوا إلى أيّة بقرة من أبقارهم، لا عجوز ولا صغيرة، متوسطة فيخلصوا بها ذمتهم، وينفذوا بذبحها أمر ربهم، ويعفوا أنفسهم من مشقة التعقيد والتضييق)[٥].

وهذه صورة أخرى لعدم إيمانهم وجهالتهم بحق نبي الله المتمثل بقولهم (**أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**) ولا يخفى ما لهذا القول من وصف للنبي موسى بالجهالة واللغو ليسرع موسى عليه السلام إلى نفي هذه التهمة الظالمة الجاهلة بقوله: (**أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**)، وقوله على لسانهم: (**الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ**) (الدال على نفي الحق عن البيانات السابقة المستلزم لنسبة الباطل إلى طرز البيان الإلهي والتبليغ النبوي)(٥٢). وإنما قالوا ما قالوا لنقصانهم لروح الإذعان واستقرار الإيمان في قلوبهم وهم القائلون: (**لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ**

جَهْـرَةً)، (وإنما وقعوا فيما وقعوا من جهة استقلالهم في الحكم والقضاء فيما لهم ذلك، وفيما ليس لهم ذلك فحكموا بالمحسوس على المعقول فطالبوا معاينة الرب بالحس الباصرة)[٦].

وهذه الآية تبين لنا أسلوب الأنبياء الصالحين الذين يسعون إلى إصلاح الأمة وبناء المجتمع الصالح وليس السيطرة ومحاولة التميز، فقد كان الرد النبوي على الرغم من وقاحتهم من اتهامهم فقد (كان رد موسى على هذه السفاهة أن يستعيذ بالله! وأن يردهم برفق، وعن طريق التعريض والتلميح، إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق جل علاه، وأن يبين لهم أن ما ظنوه به لا يليق إلا بقدر الله، لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخاه)[٧]، فكان الرد في أسلوب عجيب علينا، أسلوب هادئ إنساني إيماني (**أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**)..

وجاءت هذه القصة بعد بيان أنهم تولوا عن قول الحق وحرفوا قول الله بما أتاهم من التوراة، فجاء التفصيل الكامل لهذه القصة وذكر قولهم وقول نبي الله موسى عليه السلام، لأن هذه القصة غير مذكورة في التوراة الموجودة عند اليهود بعدما حرفوا وغيروا فأورد سبحانه وتعالى هذه القصة بعد قوله تعالى: (**ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**). دلالة على أنهم غيّروا وحرفوا. وقد ورد جزء من هذه القصة في: (الفصل الحادي والعشرين من سفر تثنية الاشتراع: إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتمتلكها واقعًا في الحقل لا يعلم من قتله يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون إلى المدن التي حول القتيل فالمدينة القريبة من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها لم تجر بالغير وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى واحد دائم السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عنق العجلة في الوادي ثم يتقدم الكهنة بني لاوي لأنه إياهم اختار الرب إلهك ليخدموه ويباركوا باسم الرب وحسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من القتيل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي ويصرخون ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم وأعيننا لم تبصر اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يا رب ولا تجعل دم برئ في وسط شعبك إسرائيل فيغفر لهم الدم)[٨].ونلاحظ أن القصة هنا (في التوراة) هي على نحو الإجمال وليس على نحو التفصيل ثم إنها ترد موردًا واحدًا ليس إلا، وهو مورد قوله تعالى: (**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا**). بينما جاء أسلوب القصة في سورة البقرة في القرآن الكريم أسلوبًا فيه نوع من التفصيل والتركيز على مواضع تخاذلهم.

الفعلان (تثير) و(تسقي) جاءا صفتين لذلول وكأنه قيل: لا ذلول مثيرة وساقية وهو نفي لذلها في السقاية وإثارة التراب بالحرث. وهذه الصفات الواردة جاءت لترسيخ الدلالة التي أرادها القرآن الكريم من التمييز لتلك البقرة حتى تتضح لهم غاية الإيضاح بعد إصرارهم وإعادتهم السؤال أكثر من مرة وتشديدهم على أنفسهم، وبهذين الصفتين أكملا الصورة التي يريد أن يبينها القرآن الكريم، صورة

فاعلة ومتحركة توضح الفعل وردة الفعل والسؤال والجواب ولكن بأسلوب يوضح حالهم في صورة صادقة جلية[٩].

وقوله تعالى (**لَا شِيَةَ فِيهَا**) دلالة أخرى على نفس الصورة التي أرادها القرآن في بيان حالهم ووصفهم المعاند. ولا شية فيها أي لا لمعة في لونها من لون آخر سوى الصفرة، وهي تعضد القول السابق (فاقع لونها) فهي صورة تساند أختها، لتتضح قصة بقرة موسى وقومه[١٠].

بعد إيراد هذه الصفات الكثيرة والتوكيدات العديدة، والصور الفاعلة، وكنتيجة لكثرة الأسئلة والردود، جاء قوله: (الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) بعد استكمال جميع الصفات والمميزات الخاصة بتلك البقرة.

وكتأكيد على ما بينه سابقًا قال تعالى: (**وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**) إيضاحًا لاستثقالهم واستقصائهم واستبطائهم ولتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم،أي ما كادت أسئلتهم تنتهي وما كادوا يذبحون البقرة. هذا القول منهم تعبيرًا وتأكيدًا لكل ما سبق من عنادهم وعدم إيمانهم بالموضوع ذاته فما كادوا يذبحونها، وما كادوا يفعلون، وما كادت تنتهي سؤالاتهم، وما كاد حبل إسهابهم ينقطع في السؤال والرد والمعارضة، وما كادوا ينهون هذا الموضوع بعد ارتفاع ثمن البقرة، وما كادوا يفعلون خوفًا من فضيحتهم في ظهور القاتل الحقيقي.. كل هذه الاحتمالات وسواها: تلخصها عبارة (**وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**)، فهل هناك عبارة تنطوي على هذه الاحتمالات وأكثر على قِصَرِها وإيجازها؟.. فقد جاءت في مورد التوكيد على حالهم المتذبذب وغير المتزن، وعدم إيمانهم الحقيقي والمبدئي. وتوكيد ما قررته القصة من وصفهم المتذبذب (وتعقيبًا على هذا المشهد الأخير من القصة، الذي كان من شأنه أن يستحضر في قلوب بني إسرائيل الحصاسية والخشية والتقوى، وتعقيبًا كذلك على كل ما سلف من المشاهد والأحداث والعبر والعظات، تجيء هذه الخاتمة المخالفة لكل ما كان يتوقع ويرتقب)[١١].إذ قال تعالى: (**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ**).

وقوله تعالى: (وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) أي مظهر ما كتمتم من أمر القتل، فلا يدعه خافيًا على طول الخط. وقد أورد (مخرج) في معنى المضي ولم يقل (يخرج) في الاستقبال، فإنما يظهر كتمهم في المستقبل وليس في الماضي. ولكن القرآن الكريم في أسلوبه المعجز يختار الأفضل والأحسن دلالة وعمقًا في الأسلوب، فقد حاكى ما كان مستقبلًا في وقت اختلافهم واختصامهم في شأنهم، وفي الوقت ذاته حاكى الحاضر كما في قوله تعالى: (**وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ**)[١٢].

وقوله تعالى:(**اضْرِبُوهُ**) يحتمل الضمير احتماليين، إما إلى النفس والتذكير العائد إلى النفس والإنسان (أي القاتل)، وإما إلى القتيل المجني عليه[١٣].

وقوله: (**بِبَعْضِهَا**) اختلف في هذا البعض هل المقصود به لسان البقرة؟، أم فخذها اليمنى أم العظم أم الأذن أم البضعة بين الكتفين. إلى آخره مما قيل في هذا البعض[١٤] ولكن كل هذا لا يهم

وإنما يهم العبرة والإعجاز بأن الضرب في جزء من أجزاء هذا الحيوان إنما يحيي القتيل ليعترف على القاتل. ويبين أن الله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء ليأتي الحقيقة الساطعة التي مفادها (**كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى**) بهذا السهولة وعدم الإعياء، وتكون هذه العبارة محصلة مستفادة من إيراد تلك القصة، أو في الأحرى جزء من المحصلة المستفادة من هذه القصة.

فهذه من آيات الله الساطعة المبينة التي لا تخفى على ذي لب وعقل ولتنتهي الآيات الكريمة والقصة بالجملة المحصلة المفيدة الموجزة: (**وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**).

ونلاحظ أيضًا أسلوب الالتفات في القصة إذ كان الكلام مع بني إسرائيل في الآيات (**قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**) (بنحو الخطاب، فانتقل بالالتفات إلى الغيبة (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ**) ليتنقل مرة أخرى إلى الخطاب ثانيًا بقوله: (**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا**). ففي الخطاب نبي الله موسى عليه السلام لبني موسى: (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**) (ففيه صرف الخطاب عن بني إسرائيل وتوجيهه إلى النبي في شطر من القصة وهو أمر ذبح البقرة وتوصيفها ليكون كالمقدمة الموضحة للخطاب الذي سيخاطب به بنو إسرائيل)[١٥]. وهذا من أساليب التوكيد التي تعضد وتساند المعنى الذي يريده سبحانه وتعالى.

(١) في ظلال القرآن: ج١، ص٧٧.

(٢) ينظر الكشاف/الزمخشري ج١ ص٩٤١.
(٣) في ظلال القرآن ج١ ص٨٧.
(٤) م.ن: ج١ص٠٥١٩٤١.
(٥) في ظلال القرآن ج١ ص٨٧.
(٦) الميزان: ج١ ص:٩٩١.
(٧) م.ن: ج١ص٠٠٢.
(٨) في ظلال القرآن: ج١ ص٨٧.
(٩) الميزان: ج١ ص٠٠٢٩٩١.
(١٠) ينظر: الكشاف ج١ ص١٥١.
(١١) ينظر: م.ن: ج١ ص١٥١.
(١٢) في ظلال القرآن ج١ ص٠٨.
(١٣) ينظر الكشاف ج١ ص٣٥١.
(١٤) م.ن.
(١٥) الميزان/ الطباطبائي: ج١ ص٨٩١.

المحاججة
في فكر الإمام الصادق عليه السلام
عند الطبرسي

د. مرتضى عبد النبي الشاوي
كلية التربية/ جامعة البصرة

ينابيع

إنّ مفردة المنهج بشكل عام تعني لغة الطريق الواضح، كما جاء معناها في مادة (نهج) في المعاجم العربية، وهي تعني الطريق أو السلوك،وقد ورد هذا المعنى في لسان العرب لابن منظور(طريقٌ نَهْجٌ بَيِّنٌ واضحٌ وهو النَّهْجُ... وطُرُقٌ نَهْجَةٌ وسبيلٌ مَنْهَجٌ كَنَهْجٍ ومَنْهَجُ الطريق وضَحُه والمنهاجُ كالمَنْهَجِ وفي التنزيل (**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**) المائدة / ٤٨ ، وأَنْهَجَ الطريقُ وضَحَ واسْتَبانَ وصار نَهْجاً واضحاً بَيِّناً....)[١]، واصطلاحاً بشكل عام يعني (فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة من أجل الكشف عن الحقيقة)[٢].

أو يراد به (مجموعة الأسس والقواعد التي تعتمد في استنطاق النص القرآني ولبيان معناه والكشف عن معطياته)[٣].

مناهج المحاججة

ويمكن أن نميز ثلاثة مناهج مهمة في التنوير المعرفي لدى أئمتنا المعصومين عليهم السلام ويتضح ذلك جلياً في فكر الإمام الصادق عليه السلام فيما يأتي :

١ـ المنهج الوصفي العلمي في بيان الحقائق وإقناع عامة الناس:

إنّ من سمات الدراسة العلمية الدقة والوضوح والتنظيم والموضوعية والشمول واليقين[٤] والتجربة وهي سمات ضرورية لا بُدَّ منها، ويمكن أن نلاحظ هذا المنهج في فكر الصادق عليه السلام علمياً في شتى العلوم التي بحوزته بوصفه حاملاً إرث النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وآبائه عليهم السلام، وقد تلمذ على يديه كثير من العلماء ونهلوا من علمه مزايا العلوم ودقائقها فمثلاً ورد عنه في كتاب الاحتجاج للطبرسي:

(قال : دخل أبو شاكر الديصاني وهو زنديق – على أبي عبد الله (جعفر الصادق)عليه السلام وقال : يا جعفر بن محمد دلّني معبودي !

فقال أبو عبد اللهعليه السلام : اجلس ! فإذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها.

فقال أبو عبد اللهعليه السلام: ناولني يا غلام البيضة !، فناولها إياها

فقال أبو عبد الله : يا ديصاني هذا حصن مكنون، له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهبة مايعة، وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها، لا يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن إصلاحها، ولا يدخل إليها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها، ولا يدرى للذكر خلقت أم للأنثى، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترى له مدبراً ؟

قال : فأطرق ملياً، ثم قال : أشهد أنّ لا إله إلا وحده لا شريك وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وأنك إمام وحجة من الله على خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه)[٥].

٢ـ المنهج اللغوي في البحث الدلالي لمعرفة الحقائق وإقناع عامة الناس :

يعتمد هذا على بيان وتوضيح الأمور

المعرفية باستعمال أدوات اللغة المختلفة في الكشف عن حقيقتها كإبراز المعنى المعجمي وكيفية اشتقاق الكلمات لأدراك معانيها العميقة. ونجد ذلك في ما يأتي في

كتاب الاحتجاج للطبرسي

عن هشام بن الحكم، قال : سألت أبا عبد الله(الإمام جعفر الصادق)عليه السلام عن أسماء الله (عز ذكره) واشتقاقها.

فقلت : الله، ممّا هو مشتق ؟

قال : يا هشام، الله : مشتق من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المسمّى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى : فقد كفر وعبد الاثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم : فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟.

قال: فقلت : زدني، فقال : إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً، فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كلّ اسم منها إلهاً، ولكن لله معنى يدلّ عليه، فهذه الأسماء كلّها غيره.

يا هشام : الخبز اسم للمأكول، والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس، والنار اسم للمحروق، أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعدائنا، والمتخذين مع الله غيره ؟

قلت : نعم

قال : هشام فو الله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتى قمت مقامي هذا)[٦]٣ـ المنهج التفسيري في كشف الحقائق وإقناع عامة الناس :

ويقصد بالمنهج التفسيري هو مجموعة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن الكريم التي من خلالها يتبين معنى الآية ومقصودها والحصول على نتائج مشخصة[٧]

ويلاحظ هذا المنهج بارزاً في رؤياه التفسيرية لآيات الذكر الحكيم ومدى تبصير المسلمين بتوضيح معاني النص القرآني، وهناك بعض الأمثلةفي البحث القرآني للإمام تؤكد هذا المنهج ؛ لأجل تبصير الناس على حقائق الأمور كما نقلاً في كتاب الاحتجاج للطبرسي(عن يونس بن ظبيان قال : دخل رجل على أبي عبدالله (جعفر بن محمد الصادق) عليه السلام قال : أرأيت الله حين عبدته ؟

قال : ما كنت أعبد شيئاً لم أره.

قال : فكيف رأيته ؟

قال : لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقايق الإيمان لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بغير تشبيه.

وعن عبدالله بن سنان عن أبي عبد الله (جعفر بن محمد الصادق)عليه السلام في قوله تعالى (**لاَّ تُدْرِكُهُالأَبْصَارُ**) الأنعام : ١٠٣، قال : إحاطة الوهم، ألا ترى إلى قوله : (**قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ**) الإنعام : ١٠٤، ليس يعني بصر العيون، (**فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ**) الأنعام : ١٠٤ وليس يعني من أبصر نفسه (**وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا**) الأنعام: ١٠٤، ليس يعني عمي العيون، إنما عني: إحاطة الوهم - كما يقال : فلان بصير بالشعر وفلان بصير بالفقه وفلان بصير بالدراهم وفلان بصير بالثياب – الله أعظم من أن يرى بالعين) [٨].

وكذلك كما نقل عن حفص بن غياث قال : شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله عن قوله تعالى : (**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ**) النساء : ٥٦، ما ذنب الغير ؟

قال : ويحك هي هي وهي غيرها !

قال : فمثل لي ذلك شيئاً من أمر الدنيا ؟ قال، نعم أرأيت لو أن رجلاً أخذ لبنة فكسرها، ثم ردها في ملبنها، فهي هي وهي غيرها.

وروي أنّه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله (عز وجل) في قصة إبراهيم عليه السلام: **(قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ)** الأنبياء : ٦٣ ، قال : ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم عليه السلام، قيل: وكيف ذلك.

فقال :إنما قال إبراهيم : فَاسْأَلُوهُمْ إن كَانُوا يَنطِقُونَ، فإن نطقوا فكبيرهم فعلَ، وإن لم ينطقوا فكبيرهم لم يفعل شيئاً، فما نطقوا، وما كذب إبراهيم عليه السلام.

فسئل عن قوله في سورة يوسف :**(أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ)** (يوسف : ٧٠) ؟

قال : إنّهم سرقوا يوسف من أبيه. ألا ترى أنّه قال لهم : **(مَّاذَا تَفْقِدُونَ * قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ)** (يوسف :٧١- ٧٢)، ولم يقل سرقتم صواع الملك، إنما سرقوا يوسف من أبيه.

فسئل عن قول إبراهيم : **(فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ*فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ)** (الصافات : ٨٨ – ٨٩).

قال : ما كان إبراهيم سقيماً، وما كذب إنما عني سقيماً في دينه أي مرتاداً)[٩].

مسك الختام :

وخلاصة القول في ذلك إنّ ما قدمناه من قبسات من نور الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الساطع قد تجلت في آليات منهجية يتضمنها أسلوب المحاججة في إقناع عامة الناس هو شيء يسير ونزر قليل من معالم التفكير كان يمتاز به، وقد اقتصرت على هذه النماذج التطبيقية من أجل التوضيح فقط، لأنّ علوم الإمام كثيرة ووسائله متنوعة، وقد عرفها العقل العربي والإسلامي ودان بها العقل الغربي.

---

(١) لسان العرب (نهج): ٢ / ٣٨٣.
(٢) مناهج البحث اللغويين التراث والمعاصرة : ٩٤.
(٣) منهج التفسير عند الشيخ البلاغي (بحث) : ١٤٩.
(٤) ينظر : مناهج البحث اللغوي : ٧٣ – ٨٢.
(٥) الاحتجاج : ٢ / ٦١.
(٦) المصدر نفسه : ٢ / ٦١ - ٦٢.
(٧) ينظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن : ١٨.
(٨) الاحتجاج : ٢/ ٦٥.
(٩) المصدر نفسه : ٢ / ٨٧- ٨٨.

حل إشكالية فقدان القدرة الإلهية

على النبي يونس عليه السلام من منظور الإمام الرضا عليه السلام

د. سيروان عبد الزهرة الجنابي
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

إذا كان الله تعالى يبعث الرسل والأنبياء بغاية إنقاذ البشرية من سباتها الأبدي فإنه من الواجب بمكان أن يكون ذلك المبعوث على درجة عالية من اليقين العقائدي ومكانة رفيعة من الإيمان القلبي والعقلي إلى الحد الذي لا يمكن معه أنْ يشك بباعثه أو يخرج على طاعته أو واجبه السماوي المكلف به البتة، غير أننا على الرغم من إيماننا بهذا المنطلق العقائدي العقلي فإنّنا إذا ما نظرنا في بطون المدونات التفسيرية فإنّنا سنجد بأنَّ من المفسرين من مال إلى القول بخلاف هذا المنحى فشكك بعقيدة الرسل وغاير كسار لإثبات في مسألة الإيمان بأنَّ الأنبياء على درجة عالية من اليقينية إلى حد الانصهار بالمطلب الإلهي مهما عسرت تأديته؛ إذ نلحظ أنَّ من علماء التفسير من شكك بإيمان النبي يونس عليه السلام؛ بل طعن به وعده خارجًا عن قدرة السماء وبأنّه كان مؤمناً بأنَّ السماء لا تقوى على ردعه إن أرادَ فعل شيء ما؛ ذلك بأنَّ أولئك المفسرين قد آمنوا بمسألة اعتقاد النبي يونس عليه السلام بعدم قدرة الله تعالى عليه في قوله تعالى (**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**) (سورة الأنبياء: ٨٧)؛ إذ يكاد يكون هذا الاتجاه التفسيري من الشيوع بمكان إلى الحد الذي غدا أحد المعاني المعتمدة التي تعرض بوصفها دلالة تفسيرية مقبولة عند بعضهم لهذه الآية الكريمة؛ ويبدو أنَّ هذا المنطلق العقائدي – إمكانية القول بخطأ النبي – هو ما دعا لأنَّ يقول بها غير مفسر؛ إذ ذهبوا إلى أنَّ معنى الآية (أنّه

وقــع في ظنِّــه أنَّ اللّٰه تعالــى لا يقدر على معاقبته)[1]، فكأنَّ يونس (ظنَّ أنَّه يعجز ربه فلا يقدر عليه[2] البتة، ولهذا خرج من قومه من دون أنْ يأخذ إذنه سبحانه و

تعالى وهو غير مبالٍ بما يحدث لأنَّ اللّٰه تعالى غير قادر على معاقبته؛ بل غير قادر عليــه البتة، فنجد أنَّ الفعــل (يقدر) مُقيَّدة بـ (الظن) بعدم القــدرة عليه، وهذا القيد هو الذي دفع النبي يونس عليه السلام لترك قومه بعد أنْ مكث فيهم هادياً شــوطاً طويلاً من الزمن، وتأسيسًــا على وجود القيد (ظن) المســلط على نفي القدرة عليــه (يقتضي ذلك كونه شاكاً في قدرة اللّٰه تعالى)[3] البتة.

ويبدو أنَّ من المفســرين من ذهب إلى محاولــة تجميــل موقف يونــس عليه السلام حيث قال إنَّ العبارة تتضمن معنى الاستفهام؛ إذ التقديــر: (أفظــنَّ أنَّه يعجز ربــه فلا يقدر عليه)[4]، وســواء أكانــت العبــارة مقــروءة من دون اســتفهام أم كانــت مضمنة دلالة الاســتفهام إضماراً؛ فــإنَّ هــذا لا يُخرِجُ يونس عليه السلام من دائرة اتهامه بالظن في قدرة اللّٰه تعالى عليه.

ذلــك بأنَّه إذا كانت عبارة (**فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**) من دون استفهام فإنَّ دلالة هذه العبارة ســتحال على معنــى التعليل لخروج يونس أي إنَــه خرج مغاضباً لأنَّه ظنَّ أنْ لن نقدر عليه؛ فتكون (الفاء) في بداية العبارة سببية الدلالة؛ وبهذا يكون ذنب يونس في ظنه هذا أكبر لأنَّه مســلِّم بأنَّ اللّٰه ســبحانه فاقد القــدرة عليه تماماً، وإنْ كان ثمة أداة استفهام في العبارة مُقدَّرة وهي الهمزة أي إنَّ العبارة في الأصل:

(**أ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْه**) ؛فان دلالة العبارة ستكون توبيخية ليونس، فكأنَّ الخطاب يشي بالتساؤل: لِمَ خرجَ أ فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْه، فإنْ كان قد ظنَّ ذلك فهو مخطئ، فنجد في تقدير الاستفهام شيئاً من الاتهام ليونس لأن السماء لا تطلق كلامها على أساس الاعتباط أو الظن المتردد فيه، وإنما يجري هذا على الخطاب الصادر من الإنسان فحسب.

وبهذا ننتهي إلى أنَّ كلا الخطابين بالاستفهام أم من دون الاستفهام يكون فيه النبي يونس عليه السلام في موضع الشك في قدرة الله تعالى، سواء صدر منه ذلك فعلاً أم ظنَت السماء به ذلك فعلاً، وعليه يعد هذا – والحال هذه - تجنياً على قدرة السماء المطلقة وتحدٍّ لله تعالى من النبي يونس؛ لأنه قد خَرَجَ عن قدرة الله تعالى؛ بل خرج عن طاعته واجتاز الأمر إلى تحديه والظن بفقدانه القدرة على أن يتغلب عليه.

نقول إنّ هذا تأويل بعيد ومنحى مُتكلَّف لا يتفق ومكانةَ النبي يونس عليه السلام عنده سبحانه ومدى إيمانه بالله تعالى، فليس من الحكمة الإلهية اصطفاء أحد من البشر متردد أو شاك في قدرته تعالى؛ كي يكون نبياً له على الناس، فمن كان شاكاً في قدرة الله تعالى كيف يؤمن به حتّى يهدي الناس للإيمان ؟!.

وعليه يكون هذا الظن التفسيري بعقيدة يونس عليه السلام محل نظر وإعادة تأمل، وإن مدعاة ذلك النظر وهذا التأمل هو أنَّ دلالة المأثور من المرويّات التفسيرية عن الإمام الرضا عليه السلام تغاير ما ذهب إليه القائلون بشك يونس؛ ذلك بأن هذه الروايات تخرج النبي يونس من حيز الاتهام إلى حيز الإيمان بالله تعالى؛ إذ يقول الإمام الرضا عليه السلام ما نصه: (وأما قوله (**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ ان لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْه**) إنما ظنَّ أنْ لن نضيق عليه رزقه ألا تسمع إلى قول الله عز وجل (**وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْه رِزْقَهُ**)(سورة الفجر: ١٦) ؛ أي ضيق عليه رزقه)[٥]، فنجد أنَّ الإمام يُبرِّيء يونس عليه السلام ويُنزِّهُه من تهمة الشك بالله تعالى؛ فالإمام عليه السلام أدرك أنَّ مآل الظن في الآية بأنَّ يونس قد شك بالله تعالى هو الفعل (نقدر)، ؛ولهذا حَسَبَ جملة من المفسرين بأنَّ معنى (القدرة) في قوله تعالى (لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْه) إنما هي مشتقة من المقدرة والإمكان[٦]، بيد أن الإمام وجَّه دلالة مفردة الفعل (نقدر) في الآية الكريمة وجهتها الدلالية المرادة حقاً في النص الكريم والموافقة تمامًا للمعتقد الأصل المأخوذ عن الأنبياء عليهم السلام؛ إذ أرجعها عليه السلام إلى اشتقاقها المضموني الأصل فهي مأخوذة من (التقدير) الذي يدل على معنى التضيِّق أو التحديد[٧]؛ وسندُ هذا الترجيح من الإمام هو قوله تعالى (**وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْه رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن**) (سورة الفجر: ١٦) وهذا المعنى يتجاوب مع ذا النون[٨]، فالمعنى ظنَّ أنْ (لن نضيق عليه)[٩]،وأنَّنا سنعامله كما كنا نعامله في السابق بفضل رعاية ورزق مديد.

وفي هذا التوجيه من الإمام الرضا عليه السلام تنزيه لمقام النبوة وإثبات لعصمة النبي يونس عليه السلام، لأنه لو ظن عدم القدرة عليه لا عدم التضييق عليه؛ لخرج من حيز العصمة أصالة ودخل في حيز الكفر؛ لأنَّه سيكون متحدياً لله تعالى من أنه لا يقدر عليه وحاشا له من أن يظن هذا الظن مطلقاً؛ بل ظن أنَّ الله تعالى سيعامله بالرزق واللطف كما كان يعامله من ذي قبل

حينما كان يدعو قومه؛ لأنَّه خرج منهم مغاضباً لله وحده[10]، فـ (ظنَّ أنَّ ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضباً له وأنفة لدينه وبغضاً للكفر وأهله)[11] فحسب - والحال هذه- أنَّ الله تعالى سينظر إليه بعين اللطف والرحمة كما كان من ذي قبل وأنه يفيض عليه من فضله وسكينته كعهده حينما كان قبل خروجه لأنَّ مدعاة خروجه كانت مغاضبةً لقومه من أجل الله تعالى[12]، ولعلَّ ظنَّ النبيِّ عدم تضييق فضل الله تعالى عليه كان بداعي أنه خروجه مغاضباً لله، فتكون عبارة (**ذَهَبَ مُغَاضِباً**) تعليلية لعبارة {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} أي إنَّه حَسِبَ أنَّ الله تعالى لن يقلل رزقه لأنَّه خرج بداعي الحفاظ على دينه سبحانه وأنَّ غضبه كان من إجله تعالى؛ وبهذا ستكون عبارة (**فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**) نتيجة وليست سبباً لعبارة(**ذَهَبَ مُغَاضِباً**) كما حَسِبَ ذلك من ظن بالنبي يونس أنه كان شاكًا بالله تعالى.

بهذا نجد أنَّ الفعل (ظن) قد وقع على معنى التضييق لا معنى القدرة وهذا أنسب وأنزه لمقام النبوة ليونس؛ فمن المحال -عقلاً- أنْ يصدر منه ظنٌ بضعف قدرة الله تعالى عليه أو أنَّه يخال أنَّ الله تعالى لا يعاقبه إنْ هو خالف أمره وخرج من قومه بلا إذن منه سبحانه.

وثمة سند نصي في الآية التي تلت هذه آية الكريمة – موضع البحث- يثبت المنحى التوجيهي الذي وظفه الإمام لنقد المعتقد التفسيري المخطوء بحق النبي يونس وهو قوله تعالى (**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**)(سورة الأنبياء: ٨٨)، فإذا كان النص يصف يونس عليه السلام بأنَّه من المؤمنين ولهذا أنجاه سبحانه؛ فكيف يخرج مغاضباً على ربه ويظن بأنه قد خرج من قدرة الله تعالى، فلو كان كذلك لحق عليه العذاب ولوصف بأنَّه من الكافرين لأنَّه قد خرج من طاعته سبحانه وشك بمقدرته كحال من كفر.

ويبدو أنَّ الطباطبائي قد تنبه إلى هذا المنطلق الاستدلالي لبراءة يونس؛ إذ يقول ما نصه: (إنَّ ظاهر الكلام لا يقتصر في تشخيصه على الفهم العامي المتعلق بنفس الجملة المبحوث عنها؛ بل للقرائن المقامية والكلامية المتصلة والمنفصلة... وخاصة في الكلام الإلهي الذي بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض، ويصدق بعضه بعضاً، والغفلة عن هذه النكتة هي التي أشاعت بين عدة من المفسرين وأهل الكلام إبداع التأويل بمعنى صرف الكلام إلى ما يخالف ظاهره، وارتكابه في الآيات المخالفة لمذهبهم الخاص على زعمهم، فتراهم يقطعون القرآن قطعاً ثم يحملون كل قطعة منها على ما يفهمه العامي السوقي من كلام سوقي مثله فإذا سمعوه تعالى يقول: (**فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**) حملوه على أنَّه عليهم السلام - وحاشاه - زعم أو أيقن أنَّ الله سبحانه يعجز عن أخذه مع أنَّ ما في الآية التالية: (**وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**)يعده من المؤمنين، ولا إيمان لمن شَكَ في قدرة الله فضلاً عن أنْ يرجح أو يقطع بعجزه)[13] ؛ فلو قال سبحانه: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْسائلين} لفُهِمَ بأنَّ يونس لم يكن مؤمناً بالله وأنَّه كان يظن بعدم قدرة الله تعالى عليه لكنه حينما وقع في شدة وكان مُسبحاً وسأل الله تعالى النجاة بإخلاص أنجاه، ففي هذا دليل على أنَّه لم يكن مؤمناً قبل ابتلاع الحوت له، ولكن بمقولته تعالى :(**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ**

نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)دل على أنَّ يونس كان مؤمناً ولولا إيمانه وعِلْمُ الله تعالى بذلك الإيمان لما أنجاه البتة؛ ولو كان قد كفر بخالقه لاستحق عدم الاستجابة مطلقاً؛ ذلك بأنَّ الله تعالى قد أرسلَ على يديه المعجزات والأدلة فإذا صَدَرَ منه الكفر بلحاظ الإيحاء وكثرة المعجزات والأدلة التي شهدها بنفسه هو فإنه يستحق ضعف العذاب - والحال هذه- ولكن لإيمانه الشديد أنقذه الله تعالى لتكون عبرة له ليقوم بالأوْلى ابتداءً.

فضلاً عن أنَّ الناظر في الآية الكريمة يجد أنَّ هناك روعةً عاليةً في صياغة التعبير واختيار اللفظ المناسب في موضعه دون غيره مما يسهم في عدم القول بشك يونس في الله تعالى؛ إذ استعمل سبحانه مفردة (الغم) بدلاً من (العذاب) فقال (**فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ**) ولو كان ابتلاع الحوت ليونس عقاباً؛ لأنَّه كفرَ وليس عظةً له؛ لقال سبحانه (**فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ من العذاب**) دون مقاله (من الغم)؛ فلما قال: (من الغم)؛ فُهِمَ أنَّ يونس كان في حزن وغم شديدين وليس في عذاب وعقوبة أليمتين، والظاهر أنَّ هذا الغم مدعاهُ هو الخروج غضباً لله ظناً منه بانَّ هذا مسوغ، وثمة دليل آخر وهو استعمال الفاء في قوله (**فَاسْتَجَبْنا لَهُ**) والفاء العاطفة تستعمل للدلالة على سرعة الأداء في الفعل من دون تأخير وهذا يدل على سرعة استجابته سبحانه ليونس؛ فهو لم يمكث في بطن الحوت سوى ثلاثة أيام فقط؛ ذلك بأن سرعة الاستجابة له من السماء كانت بسبب تسبيحه وما تسبيحه إلا بسبب إيمانه بالله تعالى، ولو كان كافراً لما سبح ولبقي فيها إلى يوم يبعثون، يزاد على هذا أنَّ استعماله سبحانه لـ (نا) الضمير الجمعي المعبر عنه تعالى يدل على مدى اهتمامه سبحانه بيونس وبعملية إنقاذه؛ إذ لا يستعمل سبحانه هذا الضمير على هذه الشاكلة إلا في المواضع الجليلة القدر؛ ولما كان ابتلاع يونس وهو نبي من أنبياء الله تعالى في بطن الحوت أمراً جللاً -حتى وإن كان على سبيل العظة- استعمل سبحانه ضمير الجمع (نا) احتراماً ليونس وبياناً لمدى أهميته عند الله تعالى إلى الحد الذي تطلب فيه الأمر أن يتدخل الله تعالى ذاتاً لإنقاذه فهذا يدل على شدة المأزق الوعظي الذي كان فيه من جهة ويدل أيضاً على مدى رعاية الله تعالى لبه وشدة رحمته عليه ورأفته به من جهة أخرى، فمن المحال أنْ يتركه الله تعالى في ذلك الوضع وفي ذلك الموضع؛ ذلك بأن علة عدم الترك هي أنه ما زال نبيًا وأنه ما زال مؤمنًا بالله تعالى؛ بيد أنَّه سبحانه أراد أنْ يعلمه شيئاً ليبين له مدى فضله عليه وانه يجب أن لا يخرج إلا بأمر منه تعالى حتى وإنْ حَسِبَ أنَّ خروجه كان مسوغًا غضبًا لله تعالى، ؛ لذا استعمل الضمير الجمعي (نا) اعتزازًا بيونس واحترامًا له ودليلًا على أنه ما زال مؤمنًا.

بهذا نجد أن الإمام الرضا عليه السلام قد حل الإشكال الذي يمكن أن يرد على النبي يونس عليه السلام بتوجيهه الاستدلالي النقدي البديع عن طريق توظيفه منهج القرآن بالقرآن لإيضاح الإشكال التفسيري الكامن في فهم الفعل (يقدر) الذي هو موضع الخلاف أصالة في النص الكريم؛ فضلاً عن أنَّ الإمام باستعماله منهج تفسير النص بأخيه منح المتلقي مفتاحًا استدلاليًا يفضي به إلى توظيف نصوصٍ أخرى تسهم

في حلحلة هذا الإشكال على الرغم من أنَّ الإمام قد حسم الموقف بمقاله ووقف على المراد بكلامه الاختزالي القاطع للنزاع؛ فأثبت إزاحة الشك عمن شك بأن يونس كان شاكاً به سبحانه، وحاشا له من ذلك البتة.

---

(١) الشوكاني: فتح القدير: ٦٠١/٣، وينظر: ابن الجوزي: زاد المسير: ٣٨٣/٥، والآلوسي: روح المعاني: ٨٤/١٧، وابن عاشور: التحرير والتنوير: ٢٧٣٥/١، والطباطبائي: الميزان: ٣٦٨/٦.

(٢) ابن الجوزي: زاد المسير: ٣٨٣/٥.

(٣) الرازي: التفسير الكبير: ٢١٤/٢٢.

(٤) ينظر: البغوي: معالم التنزيل: ٣٤٩/١، وابن عاشور: التحرير والتنوير: ٢٧٣٥/١.

(٥) الصدوق: عيون أخبار الرضا: ٢٠١/١، وينظر: الفيض الكاشاني: الصافي: ٣٥٢/٣..

(٦) ينظر: الفراهيدي: العين: ١١٢/٥.

(٧) ينظر: الشوكاني: فتح القدير:٦٠١/٣، والبغوي: تفسير البغوي:٣٤٩/١، والرازي: مختار الصحاح:٥٦٠.

(٨) ينظر:عبد السلام زين الدين: مراجعات في عصمة الأنبياء من منظور قرآني: ١٠٨.

(٩) الطبرسي: مجمع البيان: ٦٠/٤.

(١٠) ينظر: غفران ياسين محمد الهاشمي: دور السنة المطهرة في تأصيل علم التفسير، رسالة ماجستير، كلية الفقه – جامعة الكوفة، بإشراف: ا.م.د. علي خضير حجي، و ا.م.د. سيروان عبد الزهرة الجنابي، ٢٠١٢م:١٧٨

(١١) الزَّمخشري: الكشاف: ١٠٤/٣.

(١٢) ينظر: القرطبي: تفسير القرطبي: ٣٢٩/١١.

(١٣) الطباطبائي: الميزان: ٢٨٧/٦- ٦٨٨.

حكم وأقوال مأثورة

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

* العلم يرشدك إلى ما أمرك الله تعالى به والزهد يسهل لك الطريق إليه .
* السعيد من خاف العقاب فآمن ورجا الثواب فأحسن .
* الحكمة ضالة كل مؤمن فخذوها و لو من أفواه المنافقين .
* الصمت يكسيك ثوب الوقار و يكفيك مؤنة الاعتذار .

عيون الحكم والمواعظ للواسطي

مع الفقيه..

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س: هل يجوز إعطاء الحقوق المالية من الخمس والزكاة إلى أي مرجع أم لا يجوز إلا إلى مرجع التقليد أو أعلم الموجودين إن كان متوفى؟

ج: يجب على من عليه الحق إعطاؤه لمن هو الأوثق في نفسه في الأمانة والمعرفة وحسن التصرف وبعد النظر والأقدر على إيصال الحق لمستحقه وصرفه في مصرفه.

س : هل يجب الخمس في الهدية، وإذا كان الواهب ليست له سَنة شرعيّة يستخرج فيها خمسه، فهل يجب إخراج خمسها، وهل يجب الخمس في سنة شراء أم يوم رأس السنة الشرعية؟

ج: الهدية كباقي الأرباح يجب تخميسها بعد مرور السنة، إذا لم تكن مستعملة أو مصروفة في المؤنة خلال السنة، كما أنها إذا كانت باقية بعينها ولم تستعمل تحسب بسعرها وقت دفع الخمس.

س : إذا كان الولي له مال متعلق به خمس، ولا يريد استخراجه، وقد نصحه ابنه باستخراج الخمس ووضح له ذلك، لكنه لم يقتنع بدفع الخمس. هذا الابن يستطيع استخراج الخمس من مال أبيه بدون علمه وبدون موافقته فهل يجوز ذلك ؟

ج: لا يجوز له إخراج الخمس من دون موافقة أبيه.

س : ما هي حكم الحاجيات الكمالية من ناحية التخميس، وما هو حدود الحاجات الكمالية؟

ج: لا يجب تخميس المؤنة وهي ما ينفقه الإنسان للاستعمال ويصرفه لأمور معاشه ومعاش عياله ومن يتعلق به وما يحتاج إليه في حياتهم. ولا يجب أن يكون ضرورياً له.

س : مؤمن بنى بيتًا ووهبه لزوجته من دون أن يدفع الخمس، أو تدفع هي الخمس، فإذا أرادت الحج دون أن تدفع الخمس الواجب عليها من جهة البيت، فهل في صحة حجها إشكال؟ مع العلم أنها وزوجها وأولادهم يسكنون ذلك البيت وليس لديهم غيره.

ج: يجب على الزوج دفع الخمس إذا كان البيت خارجًا عن مؤنته حين تمليكها، كما يجب عليها دفع الخمس بعد تمليكه لها إذا لم يكن مؤنة لها، أما إذا كان من المؤنة فلا يجب فيه الخمس، وإذا وجب فيه الخمس ولم تدفعه يصح منها الحج إذا كانت مستطيعة للحج من غير جهة مقدار الخمس الذي وجب عليها.

س : إذا كان للإنسان المكلف مال أخرج خمسه، وأرباح جديدة لم يخمسها، فهل يخرج مؤنة سنته ومصارفه من المال المخمس أو من غير المخمس أو من الأرباح الجديدة؟

ج: يجوز أن يخرج من أرباح سنته.

س : شـــخص عليه دين مبلغ ١٤ ألف دولار ويحصل كل ســـنة على مبلغ ١٢ ألف دولار فهل عليه الخمس ما دام مطلوبًا أم ماذا؟

ج: إذا وفـــى دينه في أثناء ســـنته لم يجب عليه الخمس فـــي مقدار الوفاء، وإذا لم يفه فإذا كان الدين من نفس سنة الربح لم يجب الخمس، وإذا كان الدين لسنين سابقة وجب الخمس في الربح.

س : شـــخص اشـــترى بعض الهدايا لأصدقائه وقد حالت الظروف دون ســـفره إليهم وبقيت عنده تلك الهدايا لأكثر من ســـنة، فهل يجب فييها الخمس؟

ج: نعم يجب الخمس فيها.

س : ســـيد يريد أن يتزوج ولـــم يكن لديه المهـــر الكافي، والعرف يقتضـــي في ليلة العقد تقديم الحلويـــات والفواكه، هل يجوز إعطاؤه من حق السادة؟

ج: لا بأس بذلك.

س : وفي الفرض لو كان لديه مال آخر لصرفه فيما يقدمه للصرف ليلة العقد حســـب المتعارف، هل يجوز إعطاؤه من حق السادة للمهر، أو لابد أن نقول له اترك عادة العرف واصرف هذا المبلغ في المهر؟

ج: لا بأس بدفع سهم السادة له.

س : شخص يعزل خمس أرباحه ويدفع إلى السادة الفقراء، ونصف حق الإمام إلى من يراه فقيراً من السادة والعوام، وبعد مرور مدة طويلة علم أنه لا يجوز له التصرف بحق الإمام إلا بإذن الحاكم الشرعي، فهل تبرأ ذمته على ما فات بدون مراجعة الحاكم الشرعي؟

ج: يجب عليه مراجعة الحاكم الشرعي وعرض الأمر عليه، فإن رأى في ذلك مصلحة أجاز التصرف المذكور وتبرأ الذمة.

س : هل يجوز إعطاء العلوية التي كان زوجها عاميًا من حق السادة؟

ج: نعم يجوز إذا كانت فقيرة ولا يسد زوجها حاجتها.

س : هل يجوز جمع سهم السادة وإقراضه للمحتاجين منهم؟ ثم إعادة المبلغ لإقراض الآخرين منهم، وذلك للتبرع بعمل أو مهلة أو غير ذلك؟

ج: لا يجوز ذلك.

س: ما قول سماحتكم في مبلغ من المال دفع إلى أحد طلاب العلم على أنه من الحقوق الشرعية (الخمس وردود المظالم وكفارات) فقام طالب العلم بإنفاق ذلك المبلغ على المستحقين وحسب الموازين الشرعية وقد دفع جزءًا من المبلغ إلى الفقراء بحضور صاحب المال، وبعد إنفاقه طالبَ صاحب المال بإعادة المبلغ بأي صورة، فهل يحل له تغريم طالب العلم؟

ج: إذا كان دافع الحق قد أطلق لطالب العلم التصرف في الحق، فليس له مطالبته به بعد صرفه له.

أما إذا قيده بمصرف خاص، أو طلب منه إيصاله لمرجع خاص، أو ألزمه بأن يأتيه بوصل له من أحد المراجع، فلم يفعل طالب العلم ذلك وصرفه بقناعته الشخصية فللدافع الحق في مطالبته به.

وكذا إذا ادعى طالب العلم الوكالة عن أحد المراجع فدفع له الحق اعتمادًا على الوكالة المدعاة، ثم لم يثبت طالب العلم الوكالة، فإن لصاحب الحق مطالبته به.

س : لو أعطي الخمس لسيد من السادة ، فهل يجب عليه إعطاؤه إلى من هو أفقر منه بكثير؟

ج : إذا كان فقيرًا وأعطي له على أن يكون له ، لم يجب عليه أن يعطيه لمن هو أفقر منه ، أما إذا أعطي له على أنه أمانة بيده يدفعه للأحوج، فاللازم عليه دفعه لمن هو أفقر منه.

س : هل يجوز إعطاء الخمس للمتجاهر بالفسق؟

ج: الأحوط وجوبًا عدم دفع سهم السادة للشخص المذكور، وأما سهم الإمام عليه السلام فلابد من مراجعة الحاكم الشرعي فيه.

يصح الوجهان

ضياء حسن ●

ارتكب عمرو بن العاص فعلًا مشينًا

(المشين) هو العائب القبيح . يرفض بعضهم هذا الاستعمال لأنه وصفٌ من الفعل (أشان) الذي لم يرد في المعاجم، بل ورد الفعل الثلاثي (شان) حيث يقتضي السياق استعمال (الشائن). ويجيزه آخرون اعتمادًا على ما ذكره ابن منظور من أنَّ (فَعَلَ) و(أفعلَ) كثيرًا ما يتعاقبان على المعنى الواحد، نحو: (جَدَّ) الأمرُ و(أجدَّ)، و(صددتُه) عن كذا و(أصددتُه)، و(قَصَرَ) عن الشيء و(أقصَرَ)، وعَقَد ابن قتيبة في كتابه: (أدب الكاتب) بابًا بعنوان: (فَعَلتُ) و(أَفْعلتُ) باتفاق المعنى. وذكر في هذا الباب أكثر من مئتي فِعل مسموع عن العرب، فضلاً عمَّا في صيغة (أفعل) المزيدة بالهمزة من الإسراع إلى إفادة التعدية. وقد صَوَّب مجمع اللغة المصري كلمات مزيدة بالهمزة وردَ نظيرُها المجرَّد متعديًا بنفسه إلى المفعول؛ وذلك لكثرة ما ورد عن العرب من ذلك.

لذلك يصح الوجهان في قولنا:
ارتكب عمرو بن العاص فعلًا شائنًا
ارتكب عمرو بن العاص فعلًا مشينًا
مع التنويه بفصاحة الأول

* * *

حديثُ الثقلين لا يخفى عن الجاحدين

يرفض بعضهم هذا الاستعمال : لأن الفعل (خفيَ) يتعدى بحرف الجر (على) بناء على ما ورد في المعاجم كقوله تعالى:(نَّ اللّه لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ)./(آل عمران/٥)،

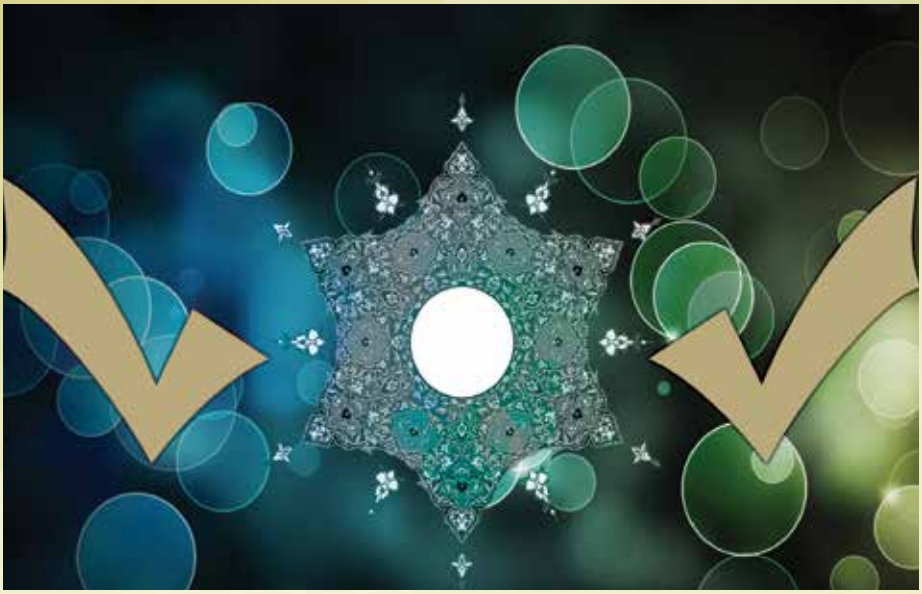

ويخالفهم آخرون بالمقابل.

لأن حلول (عن) محل (على) كثير في لغة العرب، ومنه قوله تعالى: (فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ)./ (محمد) ٣٨، كما ورد تعدية الفعل(خَفيَ) بالخصوص بحرف الجر(عن) في شعر للشريف الرضي، وفي قول ابن عبد ربه: نسمع بعضَ كلامهم، ويخفى عنّا بعضُه.

لذلك يصح الوجهان في قولنا:

لا يخفى على المسلمين حديثُ الثقلين.

لا يخفى عن المسلمين حديثُ الثقلين.

وكلاهما من الفصيح.

* * *

يشتُم النواصبُ الرسولَ وآلَ بيتهﷺ

اقتصرت بعض المعاجم على ضبط عين الفعل بالكسر(يشتم) وقد توهم البعض أن هذا كافٍ للاعتراض على استخدام مضارع الفعل بضم العين، مع أنه ورد لفظه في معاجم أخرى بضم التاء وكسرها في المضارع، على أنه من بابي (ضَرَبَ) و(نَصَرَ)، كما ذهب بعض كبار اللغويين كأبي زيد وابن خالوييه إلى قياسية الانتقال من فتح عين الفعل (شتم) في الماضي إلى ضمها أو كسرها في المضارع.

لذلك يصح الوجهان في قولنا:

يشتُم النواصبُ الرسولَ وآلَ بيتهﷺ

يشتِم النواصبُ الرسولَ وآلَ بيتهﷺ

* * *

غبطتُه على ما تسنى له من النعيم

نقول: (غبطت الرجلَ) من باب ضَرَبَ وعَلِمَ: إذا أردتَ مالَهُ من النعمة دونَ أن تتمنى زوالَها عنه، ففي المصباح: (الغبطة: حسن الحال، وهي اسمٌ من: (غبطتُه غَبْطًا) من باب ضرب: إذا تمنيت مثل ما ناله من غيرِ أن تريدَ زواله عنه).

يرفض بعضهم هذا الاستعمال لتعدية الفعل (غَبَطَ) إلى مفعوله الثاني بحرف الجر (على) لأنه يتعدى بالباء كما في حديث مروي (يُغبَطُ الرجلُ بالوَحدة) ، وقول ابن عبد ربه: (لا يغبطني رجلٌ منكم بجزيل عطاء، فإنه إلى نفاد) وكما جاء في الصحاح : (غَبطتُهُ بما نال أغبِطُهُ غَبْطًا وغِبطةً) فعدَّى الفعل بالباء. لكن آخرين يصوبون المثال المرفوض بناء على ما ورد في التاج: (وأنزلْنا منزلةً نُغْبَط عليها) ، فعدَّى الفعل (غَبَطَ) إلى مفعوله الثاني بـ(على). وقال ابن الأثير في{ (النهاية): (يُغَبِّطُهُم بتشديد الباء) ؛ أي يحملُهُم على الغَبْط، ويجعلُ هذا الفعل عندَهم مما يُغبَطُ عليه} ، فعدّى بـ (على). وكذلك فعل في شرح الدعاء: (اللهم غَبْطًا لا هَبْطًا ؛ أي : أوِّلْنا منزلةً نُغبَطُ عليها، وجَنِّبنا منازل الهبوط والضعة) ، وكأنه أراد السبب. وفي حديث : (أقوم مقامًا يغبطني فيه الأولون والآخرون) ، فعدّى بـ(في) ، وكأنه أراد الظرف المجازي.

لذا تصح الوجوه في قولنا:
غبطته بما تسنى له من النعيم
غبطته على ما تسنى له من النعيم
غبطته فيما تسنى له من النعيم
وجميعهن من الفصيح .

* * *

عَلَّقَ يافطة مضاءة اليافطة

لوحة من خشب أو معدن أو نحوهما يُكْتَبُ عليها اسْمٌ أو شعارٌ لتوجيه النظر إليه. يرفضها الكثيرون لعدم ورودها في المعاجم.

وكشف البحث أن أصل الكلمة فارسي (يافتة) وهي اسم مفعول معناه (الموضَّح) بفتح الضاد المشددة والمصدر (يافتن) بمعنى الكشف والتوضيح ، ووصلت إلينا بطريق العاميَّة.

وقد اصطلح بعض اللغويين على إطلاق (اللافتة) على ما تعنيه(اليافطة) وشاع استعمالها عند الكثيرين ، وأقر ذلك(المعجم الوسيط) فقال: (اللافتة : لوحة من خشب ونحوه يكتب عليها اسم أو شعار لتوجيه النظر إليه) ثم ذكر أنها محدثة. وعند بعضهم أنه اصطلاح لا بأس به يغني عن استعمال (اليافطة) ، أما عند آخرين فلا بأس من استخدام (يَافِطة) لورودها في (المنجد) ، و(الأساسي).

وبناء عليه يصح الوجهان في قولنا:
علَّقَ (لافتة) مضاءة .
علَّقَ (يافطة) .
وكلاهما مقبولان.

* * *

يحكى أن أعرابيًا صاد قطًّا ولم يكن يعرفه.
سأله الأول: ما هذا السِّنَّوْر؟
سأله الثاني: ما هذا القط؟
والثالث: ما هذا الهِرّ؟
والرابع: ما هذا الضَّيون؟
والخامس: ما هذا الحيطل؟
فمنَّى الأعرابي نفسه بربح طائل من ورائه، وما عتّم أن قال بعد أن خاب أمله:
لعنة الله عليه ما أكثر أسماءه وأقل ثمنه !.

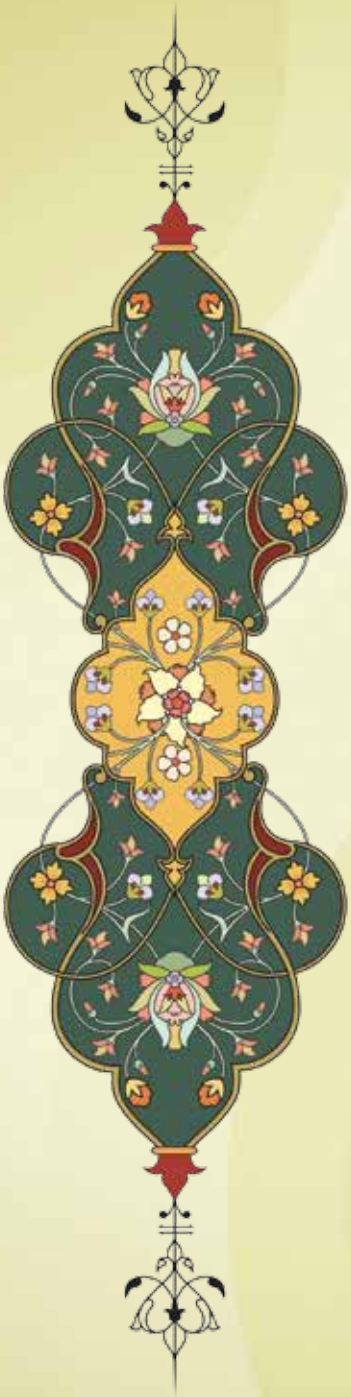

المصادر :

* أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين/ أحمد مختار عمر/عالم الكتب – القاهرة ٢٠٠٦.

* النحو والأساليب اللغوية المعاصرة / تأليف د. مزيد نعيم - د. شوقي المعري- د. محسن العبيد / منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٥.

* معجم الصواب اللغوي - دليل المثقف العربي / د. أحمد مختار عمر- منشورات عالم الكتب - القاهرة ٢٠٠٨.

* معجم الأخطاء الشائعة / محمد العدناني - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٣.

* معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة / محمد العدناني - مكتبة لبنان - بيروت ٢٠٠٩.

* معجم تصحيح لغة الإعلام / د. وليد النجار- مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٧.

* معجم تعدي الأفعال في اللغة العربية / أنطون قيقانو- دار الراتب الجامعية - بيروت ٢٠٠٥.

* معجم أخطاء الكتّاب / صلاح الدين زعبلاوي- دار الثقافة والتراث - دمشق ٢٠٠٦.

* معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية / محمد محمد حسن شراب- دار المأمون للتراث دمشق ١٩٩٠.

* معجم تصحيح لغة الإعلام العربي/ أ.د. عبد الهادي بو طالب – النسخة الإلكترونية.

* معجم اللغة العربية المعاصرة/ أحمد مختار وفريق عمل/ عالم الكتب/ القاهرة/ ٢٠٠٨.

* اللغة العربية بين الخطأ والصواب / أحمد طهطاوي - محمد البنا - مركز الإسكندرية للكتاب - إسكندرية ٢٠٠٨.

* قل ولا تقل / د. مصطفى جواد - دار المدى للثقافة والنشر - دمشق ٢٠٠١.

* ٢٠٠٠ خطأ شائع بين العامة والخاصة / د. فهد خليل زايد- دار النفائس - عمّان - ٢٠٠٦.

* نحو إتقان الكتابة باللغة العربية / أ.د. مكي الحسني – النسخة الإلكترونية.

موقف القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام (من الشعر)

د.جواد غلام علي زاده •
جامعة زابل (سيستان) ـ إيران

ينابيع

لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن الشعر يحتل مساحة كبيرة في خارطة الفنون الأدبية في جميع العصور التي مرت وتمر بنا. سرّ ذلك يعود إلى أن الشعر من جانب يقترن بعنصر الإيقاع، الوزن والقافية، ومن جانب آخر يقترن بالعنصر العاطفي، ولكل منهما تأثير عميق في النفوس بحيث يهزّها ويبعث فيها الحركة والمتعة والنشاط، فالشعر له أثر كبير في توجيه مشاعر الناس وأهوائهم، ولذلك نراه في الحقيقة وسيلة إمالة الناس نحو كل أمر حق أو باطل. من هذا المنطق رأينا من الواجب تعيين معايير الشعر وجودته في نظر القرآن وكذا عند النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، لكي يكون للشعراء منطق قرآني وإسلامي وراء ما ينشئونه من الأشعار.

موقف القرآن الكريم من الشعر:

لقد جاء الإسلام ليحدد موقفًا مبدئيًا من كل الأحوال والقضايا التي كانت تشغل الإنسان، وبالأخص العربي الذي نزل القرآن بلسانه، وفي ذروة تلك القضايا الشعر الذي هو مظهر البلاغة في حياة العرب وسجل أمجادهم، وقد وردت في القرآن الكريم آيات تناولت الشعر والشعراء حملها بعض الباحثين على معنى آخر وبنوا على تصورهم لها أحكامًا واهية، حيث رأوا أن القرآن وقف من الشعر والشعراء موقف العداء والمناجزة، مما أدى إلى انحسار الشعر أو ضعفه على الأقل في فجر الإسلام، ويمكن أن نرصد الآيات التي ذكرت الشعر والشعراء، وهي قوله تعالى: (**بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ**

كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ)(الأنبياء: ٥)، وقوله تعالى: (وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ* إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) (الشعراء: ٢٢٤و ٢٢٥و ٢٢٦و ٢٢٧)، وقوله تعالى: (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ)(الصافات:٣٦)، وقوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) (الطور:٣٠)، وقوله تعالى: (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ* وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)(الحاقة:٤١و ٤٢)، أما الآية التي ذكرت الشعر فهي: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) (يس:٦٩).

وبالرجوع إلى استقراء الآراء التي أدلى بها المفسرون في هذه الآيات نجد أنها منصبة على نفي الشاعرية عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله لا على ذم الشعر كما يعتقد البعض، وباعتبار السياق التاريخي الذي نزلت فيه هذه الآيات، والذي احتدم الصراع فيه بين الشرك والإيمان، وازدادت فيه حيرة المشركين حيال هذا النمط المعجز (القرآن)، يمكن اعتبار هذه الآيات رداً على العرب الذين دفعتهم حيرتهم إلى وصم القرآن بأنه شعر، ووصف النبي صلى الله عليه وآله بأنه شاعر لعظمة الشعر في نفوسهم وفخامته في قلوبهم، ولأن كلمة (شاعر) مرادفة

عندهم لكلمة مجنون وساحر وكاهن (لأن الناس كانوا يعتقدون أن للشاعر الجاهلي شيطانًاأو قرينًا من الجن يلهمه أحيانًا، وأحيانًا كان يدفعه بغضاضة إلى الإنشاد[1] ويظهر أن القرآن وصف نمطًا خاصًا من الشعراء وسمهم (بالكذب والغلو في الادعاء وتزييف القول، وهم فئة الشعراء التي كانت تزعم أنها على اتصال بالجن والشياطين تتلقى منهما الإلهام وتستوحي منها الأفكار والآراء)[2] وأساطيرهم في ذلك كثيرة لا تستقصى.

لقد أصبح من الممكن الآن أن نقول: إن مدار الآيات الآنفة هي نفي صفة الشعر عن القرآن الكريم. ونفي صفة الشاعرية عن الرسولﷺ، كما أنها اعتنت بمفهوم الشعر عند العرب المشركين وبموقفهم من القرآن، وأنها كذلك وضعت حدًا فاصلاً بين الشعر والنبوءة،(**وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ**) الشعر انفعال، وتعبير عن هذا الانفعال، والانفعال يتقلب من حال إلى حال. والنبوءة وحي، على منهج ثابت، على صراط مستقيم يتبع ناموس الله الثابت الذي يحكم الوجود كله، ولا يتبدل ولا يتقلب مع الأهواء الطارئة تقلب الشعر مع الانفعالات المتجددة التي لا تثبت على حال، والنبوءة اتصال دائم بالله، وتلقّ دائم عن وحي الله، ومحاولة دائمة لرد الحياة إلى الله. بينما الشعر في أعلى صوره أشواق إنسانية إلى الجمال والكمال مشوبة بقصور الإنسان وتصوراته المحدودة بحدود مداركه واستعداداته، فطبيعة النبوءة وطبيعة الشعر مختلفتان من الأساس. هذه في أعلى صورها أشواق تصعد من الأرض. وتلك في صميمها هداية تتنزل من السماء.

أما فيما يتعلق بالمعيار القرآني الذي نراه في بعض الآيات المذكورة، لابد أن نقول إن القرآن لم يحرّم الشعر في ذاته بل أراد أن يكون الموقف الجمالي خاضعاً للموقف الديني متأثرًابالمثُل الجديدة التي جاء بها الإسلام، وحاول أن يوفق بين الموقف الجمالي وبين الموقف الديني، حتى لا يجد الفنان خصومة بين الدين الجديد والجمال الفني، وبهذا السبب قد تغير الميزان الذي يوزن به الشعر بعد نزول قوله تعالى: (**وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ* أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ* وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ**). والقرآن الكريم يستدعي في الآيات السابقة موقفًا إيمانيًا اعتقاديًا، ويحكم على الشعراء بأن أتباعهم هم الضالون، وهو كالهائمين على وجوههم منحرفين عن سبيل الحق وطريق الرشاد، لما يغلب عليهم من الهوى ويخوضون في كل فن من الكلام، ويقولون من لغو وباطل في مدح وذم، ومن ثم ينهون عن أشياء يرتكبونها. ثم يواصل حكمه على الشعراء بكلامه: (**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**) فيستثني من الحكم السابق ومن تلك الحملة التي حملها على الشعراء، عدداً من الشعراء المؤمنين الملتزمين بأوامر الله ونواهيه، والذين يؤمنون بالله ويتبعون الرسول ويكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، ويحدد لنا خصائصهم، وهي الإيمان والعمل الصالح وهذا يعني أن لا يشغلهم الشعر عن ذكر الله.

ومما يستفاد من هذه الآيات أن الميزان الذي يوزن به الشعر يتمثل في مدى

مطابقــة التجربة الجمالية للتجربة الإيمانية والأخلاقية، فالشعر الحسن الذي يسمح به المجتمع الإسلامي هو ما يخلو من الكذب ويوافق الحق ويدعو إلى الفضائل، والشعر الــرديء الخبيث الــذي ينهى عنــه القرآن هوما يوافق الباطل والكذب.

موقف الرسول الأعظمﷺمن الشعر:

لقد بســطنا كيفية تناول القرآن الشعر فلــم نعــد نحتاج للاســتفاضة فــي موقف الرســول ﷺ من هذا الفــن إذ إنه موقف القــرآن عينه، اللهــم إلا إذا أوردنــا آثارًا من الســنة تشــرح وتعضد موقف التنزيل. لــم يكن رســول الله ﷺ بغافل عــن تأثير الشــعر في النفوس حيث قال في الشعراء ومكانتهم في المجتمع: (هؤلاء النفر أشــدّ علــى قريش من نضح النبــل)[٣]، وقال في الشــعر: (لا تــدع العرب الشــعر حتى تدع الإبل الحنيــن)[٤]. وهذا يدل على أنه F كان يدرك أن الشــعر صار جــزءًا من طبيعتهم التــي فطــروا عليهــا ولذلك لم يكــن عليه الصلاة والســلام نابذًا للشــعر ولا مجافيًا له وجّههُ وجهةً دينيةً وأخلاقيةً وأنار ســبيل سالكيه، وكان يقول:(الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام)[٥]. ويقول:(إنما الشــعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيّب)[٦]. وكان يسمع الشعر ويثيب عليه ويستنشد حسان هجوه لقريش ويقول له:(اهجهم ومعك جبرائيل وروح القدس)[٧] كما استمع لشعر كعب بن زهير وخلع عليه بردتــه[٨]، ولعل المواقف التي أشــاد فيها الرســول أكثر من المواقف التي ذمه فيها، وقد قال ﷺ:(لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتــى يريه خير له من أن يمتلئ شــعرا)[٩]، كما ورد عنه في سياق الذم قوله عندما ذُكر امرؤ القيس :(إنه أشــعر الشعراءوقائدهم إلى النــار)[١٠]، وقوله: (ذلــك رجل مذكور الدنيا ومنسيٌ في الآخرة، يأتي يوم القيامة ومعه لواء الشعراء حتى يوردهم النار)[١١].

فمما لا شــك فيه هو أن هذه الأحاديث لا تقصد إلا أولئك الشــعراء الذين يتخذون الشــعر لهوًا ولعبًــا، أو يوقــدون به نيران العــداوة بين الأمة الإســلامية التي وحّدها الإسلام بعد أن كانت قبائل متفرقة.

ويبــدو مما تقــدم أن المعيــار النقدي فــي الشــعر عنــد رســول اللهﷺ يتصل بالمضمون الشعري أكثر من

اتصاله بالشــكل، فأحسن الشعر عنده مــا دعا إلــى الفضائل والحق وأسوأشــعر عنده ما يخالف الحق ويدعو إلى الرذائل.

موقف الأئمة الطاهرينعليهم السلام من الشعر:

لو تأملنــا فــي آراء نقديــة رُويت عن الأئمة المعصومينعليهم السلام لرأينا أنهم ســاروا سيرة رســول الله ﷺ في نقدهم للشعر، ونهجــو منهجــه فــي تقييمه على أســاس المعيار والمقياس الخلقي.

ورد عــن الإمام الصادقعليه السلام (يا معشــر الشــيعة علّموا أولادكم شــعر العبدي فإنه على دين الله)[١٢].

وممــن تجدر الإشــارة إليه مــن الأئمة المعصومينعليهم السلام بهذا الصددالإمام عليعليه السلام حيــث نــرى آراء نقديــة تــدلّ علــى ذوق أدبي ومعرفة واســعة وبصر ثاقب بالشعر والشــعراء فقد حكــي أنهعليه السلام قــال: (لو أن الشــعراء المتقدمين ضمّهــم زمان واحد، ونصبــت لهــم راية، فجــروا معــاً، علمنا الســابق منهم، وإن لم يكن، فالذي لم يقل لرغبــة ولا لرهبة. فقيل: ومــن هو؟ ، قال: (الكنــدي). قيل: ولــمَ؟ ، قال: لأنــي رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة)[١٣].

فنرى أن الإمام عليًاعليه السلام لم يصدر حكماً

نقديًا غير معلل، ولم يقف عند القول بأن هذا أشعر الشعراء أو أفضل الشعراء كما كان يفعل نقاد الجاهلية وصدر الإسلام، إنما يرى أن الشاعر الذي تدفعه الرغبة أو الرهبة إلى إنشاد الشعر لابد أن يكون كاذباً في كلامه، إما تحقيقًا لرغبة يرغب فيها أو خوفًا من خطر يهدّده، فإذن الشاعر المقدّم عند الإمام علي عليه السلام هو الذي ينشد شعره مجرداً عن الهوى والخوف، حتى يكون كلامه تعبيرًا عن عواطف أصيلة وليد مشاعر صادقة.

ونذكر هنا حكاية تجدر بالإشارة وهو أن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام استنشد ذات يوم دعبل بن علي الخزاعي، فأنشده دعبل قصيدته التائية المعروفة التي مطلعها:

مدارس آيات خلت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر بالعرصات

فقال الإمام عليه السلام: (أحسنت)(١٤).

فمما بعث تحسين الإمام الرضا عليه السلام هو ما تحتوي عليه القصيدة من قوة التأثير وحرارة العاطفة وصدق المعاني، حيث استطاع الشاعر أن يبكي الإمام بها، وإننا نرى أن القصيدة تخلو من التأنق اللفظي والزخرف البديعي وإنما تشيع فيها البساطة وإنها تختلف عن القصائد التي كانت متعة يستمتع بها الناس في أنديتهم وأسمارهم، كما تختلف عن المدائح التي كانت وسيلة لا كتساب المال.

وكذلك قد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في السيد الحميري أنه قد فضل الشاعر على غيره بقوله: (أنت سيد الشعراء)(١٥).

فليس من شك في أن الأئمة عليهم السلام قد حاولوا أن يجعلوا الأدب يتحول إلى لسان صدق، يهدي الناس إلى الله، ويحثهم على الخير والإحسان.

الخاتمة:

نستحصل مما تقدم أن المعيار النقدي للشعر في نظر القرآن الكريم، وكذا عند الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام هو الدين، وما رسمه القرآن من المبادئ الأخلاقية والإسلامية حتى يتحلى الأديب بالفضائل التي أوصاهُ بها الإسلام، ويبتعد عن مساوئ الأخلاق التي نهاهُ عنها القرآن، إلى جانب هذا المعيار الرئيسي نرى معيار العاطفة الصادقة التي يحتاج إليه الشاعر لأن يؤثر تأثيراً مباشراً وعميقاً في قلوب الناس للوصول إلى أهدافه السامية.

---

(١) غرنباوم، دراسات في الأدب العربي، ترجمة إحسان عباس وزملائه، ص١٣٧
(٢) قضية الإسلام والشعر، إدريس الناقوري ص١٩
(٣) ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج١، ص٩٢
(٤) المصدر نفسه، ص٩٢
(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، المجلد ١٣، ص١٥٠
(٦) ابن رشق القيرواني، العمدة ج١، ص٨٥
(٧) المصدر نفسه، ص٩٢
(٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٩١
(٩) المصدر نفسه، ص٩٢
(١٠) المصدر نفسه، ص٢٠٢
(١١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص٦٨
(١٢) العلامة الأميني، الغدير، ج٢، ص٤١٥
(١٣) ابن رشق القيرواني، العمدة، ج١، ص١١٢
(١٤) أبو الفرج الاصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص١٦٣
(١٥) العلامة الأميني، الغدير، ج٢، ص٣٢٢.

زيارة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها)
في شهر جمادى الأولى

من المناسب في الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، من جمادى الأولى زيارة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) وإقامة مأتمها فقد روي بسند صحيح أنها عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً وقد كانت وفاة النبي صلى الله عليه وآله في الثامن والعشرين من صفر على المشهور فيلزم أن تكون وفاتها عليها السلام في أحد هذه الأيام الثلاثة.

ما يقال في زيارتها سلام الله عليها:

[السَّلامُ عَليكِ ياسَيِّدَةَ نِساءِ العالَمِينَ السَّلامُ عَلَيْكِ ياوالِدَةَ الْحُجَجِ عَلى النّاسِ أَجْمَعِينَ السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها المَظْلومَةُ المَمْنُوعَةُ حَقَّها].

ثم يقول: **[اللّهُمَّ صَلِّ عَلى أَمَتِكَ وَابْنَةِ نَبِيِّكَ وَزَوْجَةِ وَصِيِّ نَبِيِّكَ صَلاةً تُزْلِفُها فَوْقَ زُلْفى عِبادِكَ المُكَرَّمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّماوات وَأَهْلِ الأَرْضِينَ].**

فقد روي أن من زارها بهذه الزيارة واستغفر الله غفر الله له وأدخله الجنة.

إقبال الأعمال/ ابن طاووس ج٣ص١٦١

شاعر وقصيدة

أبو فراس الحمداني

(نقل بتصرف من موسوعة الغدير /للشيخ الأميني ج٣ص٤٠٥)

ينابيع

من فحول الشعراء، وفارس مقدام في الهيجاء ربما يرتج القول فيه، فلا يدري القائل ماذا يصف، أيطريه عند صياغة القول؟ أو يصفه عند قيادة العسكر: وهل هو عند ذلك أبرع؟ أم عند هذا أشجع؟ وهل هو لجمل القوافي أسبك؟ أم لازمة الجيوش أملك؟ والخلاصة أن الرجل بارع في الصفتين، ومتقدم في المقامين، جمع بين هيبة الملوك، وظروف الأدباء، وضم إلى جلالة الأمراء لطف مفاكهة الشعراء، وجمع له بين السيف و القلم، فهو حين ما ينطق بفم كما هو عند ثباته على قدم، فلا الحرب تروعه، ولا القافية تعصيه، ولا الروع يهزمه، ولا روعة البيان تعدوه، فلقد كان المقدم بين شعراء عصره كما أنه كان المتقدم على أمرائه،كان من السنة الصادقين الصادعة بالحق ونصرة أهل البيت هو الشاعر البطل والثائر المخضرم الحارث بن سعيد بن حمدان المكنى والمشهور (بابي فراس الحمداني) رحمه الله، لا اعتقد أن هناك من لم يسمع بأبي فراس فهو أشهر من نار على علم. وأبو فراس الحمداني من مواليد عام ٣٢٠ هجرية وقد عاش يتيماً، قتل أبوه سعيد بن حمدان وكان عمره ثلاث سنوات فربته أمه وأحسنت تربيته، أحسنت تربيته وكانت توصيه: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فنشأ بطلاً فارساً شجاعًا شاعرًا وعالمًا، قاتل في صد الغزاة المناوئين للدولة الحمدانية وهاجم جيوش الرومان الطامعة في قلعة حلب، في هذه المواجهة أسر وسجن أسيرًا سبع سنوات. وكان بعدها لفترة أميرًا على قلعة ماردين. وكان

سـبب ثقافته اتصاله الكثير بعلماء الإمامية حيث كان يتـردد بكثرة علـى منطقة جبل عامل المشـهورة بكثرة العلماء والشعراء، ومن خـلال الدولة الحمدانيـة كان يرتبط ببعض العلماء الكبار فأصبح ذا ثروة علمية وأدبيـة وذا عقليـة وضـاءة وكان بعد ذلك احد الألسـنة الصادعة في نشر أفكار أهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم)، ولما طبعـت العملة أيام الدولة الحمدانية طبعت الدنانيـر في جانب منها أسـماء الخمسـة أهل العباء (سـلام الله عليهـم) وكان هذا الابتكار بسعي وباقتراح منه. شوش البعض وقـال إن أبا فراس الحمداني زيدي الهوى وبعضهم قال إنه إسـماعيلي، لكن اعتناقه للمذهب الإمامي الاثني عشري أوضح من الاحتمالات والتخميـن أو الاتهام،ويظهر ذلـك جليًا مـن خـلال قصيدتـه الميمية التي هي رسـالة بحد ذاتهـا دافع فيها عن أهـل البيت عليهم السلام وفضـح العباسـيين على ادعاءاتهـم الزائفة لأنهم كانوا يسـخرون بعض الشعراء يمدحوهم ويفضلوهم على أهل البيت فاضطر أبـو فراس رحمه الله أن ينظـم القصيدة الميميـة التي هي ثورة بحد ذاتها، حيث وصفها الحاكم العباسـي المعتصم قائـلاً: أضر علينا مـن مئة ألف سـيف مشـهورة، والإمـام الصـادق عليه السلام

يقول:(أفضل الجهاد كلمة حق أمام سلطان جائر) فأصبحت القصيدة الميمية من أروع ما يفتخر به عالم الشعر والأدب بعد عالم الثورات، قصيدة ثائرة أربعين بيتاً أو أكثر تسمى الشافية ومطلعها:

الحق مهتضم والدين مختـرم
وفيءُ آل رسول الله منقسم

الشاعر المعروف الصاحب بن عباد له كلمة رائعة في وصف أبي فراس الحمداني يقول : (بدأ الشعر بملك وختم بملك)، بدأ بشعر امرؤ القيس وختم بشعر أبي فراس رحمه الله، له ديوان مطبوع وقد طبع أربع عشرة مرة ربما أكثر.

على أي حال الحديث طويل عن أبي فراس الحمداني توفي شاباً هذا الشاعر البطل دون أن يكمل العقد الرابع من عمره عام ٣٥٧هـ بعد مرض عضال يخاطب ابنته الصغيرة بأبيات مؤلمة يقول:

بنيتي لا تجزعي
كل الأنام إلى ذهاب
نوحي علي بحسرة
من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلمتني
وعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فراس
لم يمتع بالشباب

أؤكد هنا أن هذا الشاعر لو لم يكن له إلا قصيدته الميمية التي سبق أن تحدثت عنها لكفاه ذلك فخراً أمام الله، وأي زاد أعظم عند الله من الدفاع عن مظلومية أهل البيت ونشر فضائلهم عليهم السلام..

وإليكم أبياتا من هذه القصيدة :

الحقُ مهتَضمٌ والدينُ مختَرمُ
وفيءُ آل رسولِ الله مقتَسمُ
وفتيةٌ قلبُهم قلبٌ إذا ركبوا
وليس رأيُهم رأيا إذا عزموا
يا للرجال أما لله منتصرٌ
من الطغاة ؟ أما لله منتقمُ
بنو علي رعايا في ديارهُمُ
والأمرُ تملكُه النَسوانُ والخدمُ
للمتقين من الدنيا عواقبُها
وإنْ تعجَّلَ منها الظالمُ الأثِمُ
أتفخرون عليهم لا أباً لكُمُ
حتى كأن رسولِ اللهِ جدَّكمُ
ولا توازنَ فيما بينكم شرفٌ
ولا تساوت لكم في موطنٍ قدمُ
قامَ النبيُ بها (يومَ الغدير) لهم
والله يشهدُ والأملاكُ والأممُ
*وصَيَّروا أمرهُم شورى كأنهُم
لا يعرفون وُلاةَ الحقِ أيَّهمُ
تاللهِ ما جَهلَ الأقوامُ موضعَها
لكنهم ستروا وجهَ الذي علموا
ثم ادعاها بنو العباس ملكَهُم
ولا لهم قَدمٌ فيها ولا قَدمُ
كم غدرة لكم في الدين واضحة
وكم دم لرسولِ الله عندكمُ
لا بيعةٌ ردعتكم عَن دمائهم
ولا يمين ولا قربى ولا ذممُ
هيهات لا قَرَّبتْ قُربى ولا رحمٌ
يوماً إذا أقصت الأخلاقُ والشيمُ
كانت مودةُ سلمانٍ لهم رحمًا
ولم يكنْ بين نوح وابنه رحمُ
ليس الرشيد كموسى في القياس ولا
مأمونكم كالرضا لو أنصف الحكمُ
يا عصبة شقيت من بعد ما سعدت
ومعشرًا هلكوا من بعد ما سلموا
أي المفاخر أمست في منازلكم
وغيركم آمر فيها ومحتكمُ ؟
أنى يزيدكم في مفخرٍ علمٌ ؟

وفي الخلاف عليكم يخفق العلمُ
إذا تلوا سـورة غنـى إمامكم

ياباعة الخمر كفوا عن مفاخركم
قفوا بالطلول التي لم يعفها القدمُ

لمعشـر بيعهم يوم الهياج دمُ
ما في بيوتهم للخمر معتصرٌ

خلوا الفخار لعلامين إن سئلوا
ولا بيوتكم للسـوء معتصم

يوم السؤال وعمّالين إن علموا
ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم

لا يغضبون لغير الله إن غضبوا
ولا يُرى لهم قرد ولا حشُـم

ولا يضيعون حكم الله إن حكموا
الركن والبيت والأستار منزلهم

تنشى التلاوة في أبياتهم سحرًا
وزمزم والصفا والحجر والحرمُ

وفي بيوتكم الأوتـار والنغمُ
وليس من قَسَم في الذكر نعرفُهُ

منكم علية أم منهم ؟ وكان لكم
إلاّ وهم غير شكٍ ذلك القسم

شيخ المغنين إبراهيم أم لهمُ ؟

مساجلات شعرية

كتب نجم الدين الهرثي الشاعر الواسطي ، وقد أبل من مرض وألزمه الحمية ومنعه الغذاء، إلى الطبيب ابن البرخشي الواسطي وكان شاعرًا:

صبحـت فخـرًا بالمنـى واغتـدى ... قـدرك فـوق النجـم مرفوعـا
يـا منقـذي مـن حلقـات الـردى ... حاشـاك أن تقتلنـي جوعـا

فكتب ابن البرخشي إليه الجواب:

تبعـت مرسـومك يـا ذا العـلى ... لا زال مرسـومك متبوعـا
لكـن إشـفاقي عـلى مـن بـه ... أمسـى غريـب القـول مسـموعا
أوجـب تأخـيرا الغـذا يومنـا ... وفي غـد نسـتدرك الجوعـا
أصـبر فـما أقصرهـا مـدة ... وإن تلـكأت فاسـبوعا

فأجابه هو:

يـا عالمًـا أيـن ثـوى ر حلـه ... أجـرى مـن العلـم ينابيعـا
لم عنـدك الأعـمار موصولـة ... يضحـى ويمسـي الـرزق مقطوعـا
والله إن بـت ولم يجـدني ... شـعري يـا ذا الفضـل منفوعـا
ليخلعـن الجـوع منـي الحيـا ... وأوسـعن العلـم تقطيعـا

عيون الأنباء في طبقات الأطباء
ابن أبي أصيبعة ص٣٤٦

قصيدة:

بين الزهراء وأم البنين

علي الصفار الكربلائي •

أُمُّ البنينِ وَكَـربَـلا تَكْفِيني ... فَـخْـراً فَفِيها يَـسْـرَتـي وَيَمِيني
فِيها الـفُـراتُ ودَمـعُ عَيني نَبْعُهُ ... فِيهَا الـوُجُـودُ بِـسِـرِّهِ المَكْنُونِ
فِيها فُـؤادِي قَـدْ أَنـاخَ بِـرَحْـلِـهِ ... مَـا بَينَ أَضْـلاعٍ وَفَـيـضِ وَتِينِ
فِيها وَدِيـعَـةُ فاطِمٍ سِبْطُ الهُدَى ... بَـابُ النَّجاةِ وَمُـحْـكَـمُ التَّبْيِينِ
فِيها الحُسَينُ وبِالضُّبَا أوداجُـهُ ... شُخِبَتْ فَفَاضَتْ بِالدِّماءِ عُيُوني
أَفْـدِيـهِ أَقْـمـارِي وأَبـهـاهَـا سَناً ... عَـبَّـاسَ رَشْـفَـةَ مُهْجَتِي وَمَعِيني
يالَيتَ سِبْطَ المُصْطَفَى قَدْ عَادَ لي ... فَتَقِرُ في وَجْـهِ الحُسَينِ عُيُوني
يَالَيْتَهُ قَـدْ قَـالَ لي لا لِلضُّبَا: ... أُمَّـاهُ مِـنْ هَـذِي الهُمُومِ خُذِيني
فَيَضُمُّهُ قَلْبِي، يُضَمِّدُ جُرْحَهُ الـ ... دَّامِـي، فَتَسْكُنُ أَنَّتِي وَحَنِيْنِي
أَبُـنَـيَّ مَـا عُـذرِي وَأُمُّـكَ فَاطِمٌ ... أَنَّـى سَـأَقْـضِـي لِـلْـبَـتُـولِ دُيُـونـي
أَقُـولُ أَودَعْـتُ الحُسَينَ بَكرْبَلا ... مَـا بَينَ مُصْطَلَمٍ وبَـيـنَ طَعِينِ
سَأَضُجُّ لِلزَّهراءِ أَشْكُو مَا جَرَى ... وَأَبُـثُّ لِلقَبْرِ الخَفِيِّ شُجُونِي
وأَصِـيـحُ: يَـا بِنْتَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... قُتِلَ الحُسَينُ وَحُـزَّ نَحْرُ الدِّينِ
وَلِـصَـدْرِكِ الدَّامِي تَهشَّمَ صَـدْرُهُ ... وَجَـبِـيـنُـهُ دَامٍ لَـخَـيـرِ جَبِينِ
وَلِحَقِّكِ المَسْلُوبِ غُـودِرَ جِسْمُهُ ... عَـارٍ بِـلا غُـسْـلٍ وَلا تَكْفِينِ
فَـأَجَـابَـهـا ضِـلْـعُ الـبَـتُـولِ بِـأَنَّـةٍ ... بِـاللـهِ يـا أُمَّ الـبَـنِـيـنِ ذَرِيـنـي

أَبْكِي عَلى العَبَّاسِ حَالَ سُقُوطِهِ ... وَعَـلَـيـهِ مَـحْـنِـيّـاً ذُرا يَـاسِـيـنِ
وَالـلـهِ قَـدْ كَـسَـرَا فُـؤَادِي حِينَها ... أَوقَـفْـتُ نَـهْـرَ العَلْقَمِيِّ أَنِيني
وَهَـويْـتُ فَوقَهُما بِقَلْبٍ مُكْمَدٍ ... وَكَمَا هَـوَى فَـوْقَ التُّرَابِ جَنِيني
أَبْكِي الحُسَينَ بَأَعْيُنٍ تُدمِي السَّما ... وَأَنُـوحُ عَيْناً سَهْمُهَا يُدْمِيني
فَـالَّـلـيْـلُ يَهْدِيني لِـبَـدْرٍ عَـافِـرٍ ... والصُّبْحُ يُسْفِرُ دُونَ شَمْسِ حُسَيني
أَرْنُـو إلى الـحَـوْرَاءِ وَهْـيَ أَسِيرَةٌ ... وَتَصيحُ: مَنْ بَعْدَ الكَفِيلِ مُعِيني؟
طُـوفِـي أيـا أُمَّ البَنِينِ بِكَرْبَلا ... وَابْكِي عَلى آلِ الهُدَى وَابْكِيني
ابْكِي عَلَى السِّبْطِ المُرَمَّلِ بِالدِّما ... وَأَنَـا عَلَى العَبَّاسِ تَبْكِي عَينِي
أَوْفيتِ في يَومِ الطُّفُوفِ وَلَم تَزَلْ ... تِـلْـكَ الـبُـدُورُ دمَـاؤُهَـا تَرْوِيني
ضَحَّيْتِ بَالعبّاسِ حَسْبُكِ قَولُهُ: ... يَا نَفْسُ مِـنْ بَعْدِ الإمَـامَـةِ هُونِي
سَـأَطُـوفُ يا أُمَّ البَنِينِ بَكَرْبَلا ... حَـوْلَ الحُسَينِ وَلِلكَفيلِ حَنِيني
وَأَقُـولُ لِلدُّنْيا وَفَـاؤُكِ شَاهِدٌ ... لِـلـدِّيـنِ وَالإيـمَـانِ وَالسِّبْطَيْنِ
وَعَلى رؤُوسِ الخَلْقِ عِنْدَ مَلِيكِنَا ... سَـأَطُـوفُ بِالكَفَّينِ يَـومَ الدِّينِ

في الذاكرة ..

شهر جمادى الأولى

٥ مولد السيدة زينب بنت الإمام علي عليها السلام سنة ٥ هـ .

٦ استشهاد جعفر بن أبي طالب (جعفر الطيار) عليه السلام في معركة مؤتة سنة ٨ هـ .

٨ وفاة السيد محمد باقر الخونساري صاحب كتاب (روضات الجنات) سنة ١٣١٣ هـ .

٩ استشهاد الشهيد الأول (محمد بن مكي العاملي) سنة ٧٨٦ هـ .

١٠ وقعة الجمل سنة ٣٦ هـ .

١١ ولادة الخواجة نصير الدين الطوسي سنة ٥٩٧ هـ .

١٣ استشهاد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام سنة ١١ هـ على رواية خمسة وخمسون يوما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

١٤ دفن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ليلاً حسب وصيتها .

١٥ هذه الليلة ولادة الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام سنة ٣٨ هـ .

١٥ فتح البصرة على يد أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل سنة ٣٦ هـ .

١٦ غزوة ذات الرقاع سنة ٤ للهجرة واستمرت ثلاثة أيام .

١٩ شهادة زيد بن صوحان رضي الله عنه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل عام ٣٦ هـ.

٢٧ وفاة عبد المطلب جد النبي الخاتم صلى الله عليه وآله توفي وللرسول ثماني سنوات وشهران وعشرة أيام، وتولى تربيته عمه أبو طالب.

٢٧ الفاجعة الثانية في تفجير منارتي الإمامين العسكريين عليهما السلام عام ١٤٢٨ هـ .

٢٩ وفاة محمد بن عثمان العمري السفير الثاني للإمام الحجة (عجل الله فرجه).

شهر جمادى الثانية

٣ استشهاد فاطمة الزهراء عليها السلام (على رواية) سنة ١١ هـ .

٣ هلاك هارون الرشيد سنة ١٩٣ هـ .

٤ وفاة السيد عبد الحسين شرف الدين (صاحب كتاب المراجعات) سنة ١٣٧٧ هـ .

٩ خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر سنة ٧ هـ .

١٢ وفاة فاطمة بنت حزام (أم البنين) زوجة أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٦٤ هـ .

١٣ تهديم الكعبة وحرقها على يد عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ هـ .

١٥ ولادة الإمام السجاد عليه السلام سنة ٣٨ هـ (على رواية).

١٥ هلاك الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ .

١٨ وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري قدس سره سنة ١٢٨١ هـ .

٢٠ ولادة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام السنة الخامسة للبعثة ، وقبل الإسراء بثلاث سنوات.

٢١ وفاة السيدة أم كلثوم بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام سنة ٦١ هـ بعد ٤ أشهر من واقعة الطف ورجوعها إلى المدينة.

٢٣ وفاة الشيخ جعفر بن سعيد (المحقق الحلي) سنة ٦٧٦ هـ .

٢٦ استشهاد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام (على رواية) سنة ٢٥٤ هـ .

٢٩ وفاة السيد محمد البعاج (سبع الدجيل) ابن الإمام علي الهادي عليهما السلام سنة ٢٥٢ هـ .

وقفة مع الذكرى..

ولادة السيدة زينب عليها السلام بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ٥ جمادى الأولى.

أمّها سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وآله. ولدت بالمدينة المنوّرة في الخامس من جمادى الأولى عام ٥ هـ . نشأت زينب عليها السلام في بيت النبوة ومهبط الوحي والتنزيل، بيت الشرف والكرامة والرحمة والمودة وتغذت به العفّة والكرامة ومحاسن الأخلاق والآداب، وتعلّمت أحكام الإسلام، حتى صارت صورة صادقة عن أمها. وأحيطت بهالة من التعظيم والتبجيل من أبيها وأخوتها، فهي حفيدة النبي صلى الله عليه وآله، ووريثة مُثُله وقيمه وآدابه، كانت في فجر الصبا آيةً في ذكائها وعبقريتها، فقد حفظت القرآن الكريم، كما حفظت أحاديث جدّها الرسول صلى الله عليه وآله فيما يتعلّق بأحكام الدين وقواعد التربية وأُصول الأخلاق، وقد روت خطبة أُمّها التي ألقتها في المسجد النبوي،وخطبتها على السيّدات من نساء المسلمين حينما عُدنها في مرضها الذي توفّيت فيه، وممّا يدلّ على مزيد فضلها أنّها كانت تنوب عن أخيها الإمام الحسين في حال غيابه فيرجع إليها المسلمون في المسائل الشرعية، ونظراً لسعة معارفها كان الإمام زين العابدين عليه السلام يروي عنها، وكانت عليها السلام عالِمَة غير مُعَلّمة ، وفَهِمة غير مُفَهَّمة ، وكانت في فصاحتها وزهدها وعبادتها كأبيها أمير المؤمنين وأمّها الزهراء عليها السلام.. حدّثت عن أمّها الزهراء عليها السلام،

وقد سُمّيت أم المصائب ، فقد شهدت وفاة جدّها النبي صلى الله عليه وآله، وشهادة أمّها الزهراء عليها السلام، وشهادة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، وشهادة أخيها الحسن عليه السلام، وأخيراً المصيبة العظمى ، وهي شهادة أخيها الحسين عليه السلام، في واقعة الطف مع باقي الشهداء من أهل بيتها وأتباعهم (رضوان الله عليهم) .

وقفة مع الذكرى..

الفاجعة الثانية في تفجير منارتي الإمامين العسكريين عليهما السلام في ٢٧ جمادى الأولى عام ١٤٢٨هـ

مرور الذكرى السنوية لجريمة الاعتداء الآثم على المرقد المقدس للإمامين العسكريين في مدينة سامراء، للمرة الثانية بتفجير منارتي الإمامين عليهما السلام، فقد كان الاعتداء الأول في ٢٣ محرم ١٤٢٧هـ والثاني في ٢٧ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ، ولا تزال آثار الجريمة التي قام بها أعداء الله والدين والإنسانية قائمة على حالها، وما يعمق الحزن في النفوس هو عدم وجود ذريعة لبقائها مهدمة كل هذه المدة من الزمن، في وقت مازال محبو أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم يتطلعون إلى رؤية تلك القبة الشريفة والمنارتين مرة أخرى سامقةً مضيئة متلألئة تعانق عنان السماء وهي تتشرف باحتوائها واحتضانها لتلك الأجساد الطاهرة .أن أولئك التكفيريين ليس هدفهم الوحيد هدم أضرحة سامراء المقدسة، بل يمتد هدفهم إلى هدم جميع الأضرحة المقدسة في العراق وخارجه كما فعلوا من قبل بتهديم مراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام في البقيع وصولاً إلى هدم مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهذا غاية ما يتمنون من خلال فعلهم وقولهم (**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**). ولكن ليعلم التكفيريون أن مكانة أهل البيت عليهم السلام هي في القلوب والعقول والضمائر،وليست في الأبنية ، ولكن رغم ذلك علينا عدم التفريط بتلك المقدسات لأن التفريط بها تفريط بالدين، والعمل المستمر والدؤوب في الحفاظ عليها وصيانتها. وليس فقط لحماية الموجود منها ، بل لبناء ما هدمه الحاقدون في سامراء ولبناء مراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام في البقيع في المدينة المنورة، ونقول لهم :

قل للذي أفتى بهدم قبورهم
أن سوف تلقى في القيامة نارا
أعلمت أي مراقد هدمتها؟
هي للملائك لا تزال مزارا

كما ينبغي علينا أن نجدد استذكار هذه الجريمة وننقلها إلى الأجيال اللاحقة لكشف زيف من يدعون الإسلام زورًا وبهتانًا ، وهم ينفثون حقدهم الأسود على أهل بيت العصمة والرسالة .(**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُون**).

وقفة مع الذكرى..

واقعة الجمل في ١٠ جمادى الأولى سنة ٣٦ هـ.

بعد مقتل عثمان ومبايعة المسلمين للإمام علي عليه السلام جعلت الأمور تتّخذ مجرًى آخر، حيث إنَّ عدالة الإمام علي عليه السلام وتمسُّكه بالإسلام، لا تروق لأولئك الذين اكتنزوا الكنوز، وامتلكوا الضياع، وبنوا القصور من أموال المسلمين[1]. فقاموا متَّحدِين لمقاومة عَدالة الإسلام التي لن تكتفي بحِرْمانهم مما ألِفوه من النهب، بل ستأخذ منهم حتى تلك الأموال التي نالوها بطريقة غير مشروعة. وتجعل أولئك الذين تمنَّوا الموت لعثمان وحرضوا الناس ضِدَّه حتى أودوا بحياته، متحدين يطالبون بدمه. حيثُ اتَّفَق طَلْحَة والزبَير ومعهما عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله، وخرجوا إلى البصرة لجمع الأنصار، وإثارة الفتنة[2]. وقد بذل الإمام جهداً كبيراً لتحاشي هذه الفتنة، فلم يألُ جهداً في بَذْل النصح لهم، وتحميلهم مغبة ما سيكون إذا نشبت الحرب، وهذه إحدى نصائحه لِطَلحة والزبير إذ يقول عليه السلام: (أمَّا بَعد، يا طَلْحة، ويا زُبير، فقد عَلِمتُما أنِّي لم أرِد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى أكرهوني، وأنتما أول من بادر إلى بيعتي، ولم تَدخُلا في هذا الأمر بسلطانٍ غَالب، ولا لعرض حاضر. وأنت يا زبير، ففارس قريش، وأنت يا طلحة فشيخ المهاجرين، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسَع لكما من خُروجِكما منه. ألا وهؤلاء بنو عثمان هم أولياؤه المطالبون بدمه، وأنتما رجلان من المهاجرين، وقد أخرجتما أمكما (عائشة) من بيتها التي أمرها الله تعالى أن تقرّ فيه، والله حسبكما)[3]. وفي البصرة - المكان الذي دار فيه القتال - استمرَّ الإمام علي عليه السلام يبذل نصحه من أجل حَقْن الدِّماء. فأرسل

للناكثين يدعوهم للصُّلح ورَأْبِ الصدع ، والتقى بالزبير وذكَّره بما قال النبي صلى الله عليه وآله له في حق علي عليه السلام :(. ولتخرجَنَّ عليه يوماً وأنت ظالم له)،فقال الزبير للإمام عليه السلام: بلا ، ولكني نسيت ذلك ، وبعد أن تذكر انصَرفَ إلى خارج البصرة ، ولم يحارب ، فقتله ابن جرموز ، ودفنه في وادي السباع.

وبعد أن فشلت المحاولات لإخماد الفتنة التي أثارها الناكثون في البصرة ، تفجَّر الموقف ، وأُعلِنَ القتال بين جيش الإمام علي عليه السلام، وجيش الناكثين .لكن الإمام عليه السلام ظلَّ ملتزماً بالصبر والأناة ، وبِما امتاز به من الروح الإنسانية ، موضِّحاً لجماعته أحكام الشريعة الإسلامية في حَقِّ البُغاة ، ثم دعا ربَّه مُستجيراً مِن الفِتنَة . أما عن مصير طَلحة ، فقد جَاءَه سَهْم عند الهزيمة ، لا يُعرف رامِيه ، فَجَرَحه ثم مات .وأسْفَرَت هذه الفتنة عن قتل عشرة آلاف من جيش الناكثين ، وخمسة آلاف من جيش الإمام عليه السلام. وقد جَرَتْ المعركة في العاشر من جمادى الأولى سنة (٣٦هـ)، وسُمِّيَت بحرب الجمل ، لأنَّ عائِشة كانت تَركبُ فيها جملاً .وبعد أن وَضَعتْ الحربُ أوزارَها ، بانتصار ساحقٍ على أهل الجمل، أعلن الإمام عليه السلام العفو العام عن جميع المشتركين بها .وإنَّه حقاً موقِّف جسَّد فيه حكم الله تعالى ،ثم واصل الإمام عليه السلام خطواته الإنسانية إزاء الناكثين. إذ قام بإعادة عائشة إلى المدينة المنورة معزَّزَة مُكرَّمة ، على الرغم من موقفها المعانِد لوليِّ أمرِها .[٤]

هامش:

(١)المناقب لابن شهراشوب ج١ص٣٧٨

(٢) أسد الغابة ج٤ص٣٣

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٣٨٦

(٤) للمزيد يراجع وقعة الجمل/ المدني

قبسات من مناجاة الراجين

حسين جودي كاظم الجبوري •

ينابيع

وردت هذه المناجاة ضمن أدعية الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام.

إن معنى الرجاء الذي اختصت به هذه المناجاة يرادف الأمل والطمع ،أي تعلق القلب والنفس أو انتظارها لحصول أمر محبوب عندها[1]، ووردت لفظة الأمل في بعض مقاطع الأدعية من الصحيفة السجادية ،كقول الإمام زين العابدين عليه السلام: (وَأَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيْفُ عَمَلًا الجَسِيْمُ أَمَلًا) والمراد بالأمل هنا هو الأمل لرحمة الله تعالى وعفوه ورضوانه [2] وكذا وردت لفظة الرجاء في الصحيفة السجادية، منها قوله عليه السلام:(فَإلَيْكَ أَفِرُّ ، ومِنْكَ أَخَافُ ، وبكَ أَسْتَغِيثُ ، وإيَّاكَ أَرْجُو) ورجاء الله تعالى عبارة عن توقع إحسانه ورحمته ومغفرته[3]، وبما أن الأمل والرجاء مترادفان فلا يستبعد استعمال اللفظتين في نفس هذه المناجاة للراجين ، فقد ورد ذكر الأمل والرجاء فيها على أنه غاية كل رجاء، ولامرجو فوقه فيتعدى إليه رجاء الراجين بخلاف من سواه من المرجوين، إنه الغاية عند انقطاع الراجي من جميع من دونه أو أنه المحبوب الذي لايتعلق القلب بحصول محبوب سواه[4].

بدأت مناجاة الراجين بالنداء، ومعنى النداء هو طلب ودعوة، فعندما تدعو غيرك تناديه بأحرف النداء ومنها الياء :فيقول عليه السلام:(يا مَنْ إذا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطاهُ وَإذا أَمَّلَ ما عِنْدَهُ بَلَّغَهُ مُناهُ وَإذا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَّبَهُ وَأَدْناهُ وَإذا جاهَرَهُ بالعِصْيانِ سَتَرَ عَلى ذَنْبِه وَغَطَّاهُ وَإذا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَكَفاهُ) ، هذه القضايا التي بدأت بها المناجاة هي مقدمات وتمهيد لمعرفة أخرى تترتب

ينابيع

عليها، جعلت تلك المقدمات تهيئة للنفوس والأذهان وشحذ الهمة في القلوب أو التذكير بآثار الحق سبحانه وتعالى وأفعاله بالعباد وتفضله على البرية من العطية منه تعالى وبلوغ المأمول والتقرب منه عند الإقبال علية والستر على الذنوب والكفاية عند التوكل،فهذه القضايا تمهد الباب لبيان فضل الله تعالى ونعمه وإحسانه على الجميع وذاك من أهل عالم الإمكان أهل الفقر والحاجة فلا يعثر على شيء من آماله ولعله يخيب في سعيه وتغلق الأبواب في وجهه.

إن المعارف الحقة هي التي تبني فكر الإنسان وباطنه وتكون لها آثار على مستوى الإيمان، فما تعكسه هذه المناجاة في بدايتها هو البحث عما تتعلق به القلوب وتميل إليه هو الغني المطلق ،إن الحاجة والمحدودية هي من سمات موجودات عالم الدنيا وجميع أبناء البشر سواء في ذلك، فالمناجاة تبحث عن بعد مهم من أبعاد المعرفة المعنوية ألا وهي الالتجاء إليه دون غيره وتوقع حصول الأمر المرجو منه تعالى وتفويض الأمر إليه، فإن كانت هذه الأمور هي من آثار الحق وصنعه الجميل بالعباد فهل يرجع أحد عن بابه بالخيبة مصروفًا، فقول عليه السلام:(إلهي مَن الَّذي نَزَلَ بكَ مُلْتَمساً قراكَ فَما قَرَيْتَهُ وَمَنِ الَّذي أَناخَ بِبابكَ مُرْتَجياً نَداكَ فَما أَوْلَيْتَهُ؟ أَيَحْسُنُ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ بابِكَ بالْخَيْبَةِ مَصْرُوفاً).

إن في هذه المناجاة وغيرها حقائق تناسب أحوال معينة لدى المؤمنين، فالمؤمن يجاهد لأن يشعر بالجانب المعنوي والالتفات إليه،وهو يعيش في هذه الدنيا المليئة بالمنغصات والابتلاءات النفسية التي يضعف قلبه أمامها وتعلقه بالآمال والطموحات التي تدفعه من جانب إلى جانب ويبحث عن بر السلامة عند هذا ما تشعر به تلك المقدمات، إن الله تعالى تفضل على العبد وأعطاه، وعلى الإنسان معرفة تلك النعم وإرجاعها إليه تعالى بمايتناسب مع مستوى الراجين الذين عرفوه وإحسانه، فيقول عليه السلام:(وَلَسْتُ أَعْرِفُ سِواكَ مَوْلىً بِالإِحْسانِ مَوْصُوفاً؟ كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ وَالخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ وَكَيْفَ أُؤَمِّلُ سِواكَ وَالخَلْقُ وَالأَمْرُ لَكَ أَأَقْطَعُ رَجائي مِنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَني ما لَمْ أَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ، أَمْ تُفْقِرُني إِلى مِثْلي وَأَنا أَعْتَصِمُ بِحَبْلِكَ؟).

الإحسان هو مصدر أحسَنَ :أي فَعَلَ الحسن، فإن كان الفعل متعديًا إلى الغير قيل :أحسنَ إليه، وإن كان لازمًا بالفاعل قيل :أحسن[٥] - قال في المفردات :(والإحسان يقال على وجهين أحدهما الإنعام على الغير يقال أحسن فلان والثاني إحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا حسنًا أوعمل عملًا حسنًا)[٦] ولعل قول (إحسان في فعله) هو أن الإحسان وصف لنفس الفعل،أي بمعنى إتيان الفعل حسنًا وقد أشار العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان إلى ذلك،كما هو من ظاهر كلامه في قوله تعالى:(**إِنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحسانْ**) (النحل:٩٠)المراد به الإحسان إلى الغير – دون الإحسان بمعنى إتيان الفعل حسنًا – وهو إيصال خير أو نفع الغير لاعلى سبيل المجازاة أي يجازي الإحسان بالإحسان ،والمقابلة كان يقابل الخير بأكثر منه ويقابل الشر بأقل منه ،بل ويوصل الخير إلى الغير مُتبرعًا به ابتداءً، قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه في الشكر من الصحيفة : (وذَلِكَ أَنَّ سُنَّتَكَ الإِفْضَالُ، وعَادَتَكَ الإِحْسَانُ، وسَبِيلَكَ الْعَفْوُ)[٨]وفيه أيضًا من نفَس الدعاء:(فَتَبَارَكْتَ أَنْ تُوصَفَ إِلَّا بِالإِحْسَانِ)[٩].إن هذا المقطع ينقلنا مع الراجين إلى مرحلة الشهود والحضور وعلاقة الراجي بالله تعالى – وسيأتي في المقطع الآتي الإشارة إلى ذلك تلك العلاقة والصلة جذورها المعرفة التوحيدية ومعرفة الوجود بأن كل سبب هو منه تعالى وهو مسبب الأسباب بل كل شيء منه تعالى حتى أنفسنا التي ننخدع بها ونتصور أن لنا نسبة معينة من الاستقلال، فنحن وجودات عين الحاجة إليه تعالى كما يحتاج الضمير الهاء في كلمة (منه) لبيان منعاه إلى الاتصال والربط مع الحرف (من)، فالكل يعاني من علامات الضعف والحاجة فلذا هذا المقطع يذكر معرفة الإحسان وفي قبالها الفقر لي ولأمثالي.وكذا من خلال المقطع الآخر يقول عليه السلام:(وَكَيْفَ أَلْهُو عَنْكَ وَأَنْتَ مُراقِبِي؟) يعكس مرتبة الحضور الإلهي لديهم وعدم الغفلة عنه تعالى أو نسيانه عند حركتهم في مجالات الحياة والعمل من خلال التوكل والتفويض إليه أو إلى مراتب أعلى من الرضا والتسليم بحسب درجات إيمان المؤمنين وتكاملهم ، وهناك فرق كبير بين أن يتحول عالم الغيب إلى فكرة في ذهن الإنسان ومجرد تصورات دون أن تكون حالة تشهدها النفس وملكة تصدر عنها الأفعال.ويقول عليه السلام أيضًا:(إِلهِي بِذَيْلِ كَرَمِكَ أَعْلَقْتُ يَدِي وَلِنَيْلِ عَطَايَاكَ بَسَطْتُ أَمَلِي، فَأَخْلِصْنِي بِخالِصَةِ تَوْحِيدِكَ

وَاجْعَلْنِي مِنْ صَفْوَةِ عَبِيدِكَ). إذا كان الله تعالى حاضرًا ويراقبنا في السر والعلن والأمور كلها بيديه فيحتاج المؤمن إلى هداية ونور يضيء له طريقه لكي يخلص له من شبهات التعلق بغير الله تعالى بعد أن بينت له المناجاة فقر الجميع ، فنرى المناجاة تشير إلى التوحيد والعبودية وهي وسيلة تطهير النفس والقلب من المتعلقات وسد الطريق على سطوات الشيطان ،ولعل المناجاة تشير إلى التوحيد والعبودية فهذه من الأمور المهمة في حياة الإنسان المعنوية وهي المعينة في الرجاء بقرينة ما ذكرته المناجاة في آخرها (أَسْأَلُكَ بِكَرَمِكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ مِنْ عَطائِكَ بِما تَقَرُّ بِهِ عَيْنِي وَمِنْ رَجائِكَ بِما تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسِي وَمِنَ الْيَقِينِ بِما تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيَّ مُصِيباتِ الدُّنْيا وَتَجْلُو بِهِ عَنْ بَصِيرَتِي غَشَواتِ الْعَمى)،فالمعارف الحقة مطلوبة ولها علاقة في الحياة الراجين، فطلب هذه الأمور تزيد في انبعاث الحياة المعنوية وتجعل المؤمن يتعالى بوضعه النفسي ويلتحق بالراجين الذين يدعونه دون غيره، وعلى هذا تكون حركة الإنسان وعمله.

إن الأمر المحبوب الذي تنتظره النفس وتتوقعه إن حصلت أكثر أسبابه الداخلة تحت اختيار للعبد، ولم يبق إلا ما لا يدخل تحت اختياره، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات، فهو الرجاء والأمل صادق عليه، وإذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة فالنفس هي الأرض وبذرها حب المعارف الإلهية ، وساير أنواع الطاعات جارية مجرى إصلاح هذه الأرض من تقليبها وتنقيتها وإعدادها للزراعة وسقايتها بالماء والنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل إليها كالأرض السبخة التي لاتقبل الزرع، ويوم القيامة يوم الحصاد، فلا حصاد إلا لمن زرع، ولا زرع إلا لمن بذر ،كما لاينفع الزرع في أرض سبخة كذلك لاينفع عمل مع خبث النفس وسوء الأخلاق المنافية للإيمان، فينبغي أن يقاس عمل العبد ورجائه لرضوان الله تعالى بأمل صاحب الزرع ورجائه، والناس على مراتب في ذلك، فلو بذر الإنسان الأرض بذرًا صالحًا وأمده بالماء وساير مايحتاج إليه ومنع مايفسده ثم انتظر فضل الله تعالى في تمام زرعة وبلوغ غايته فأمله ورجاؤه في محله، وهكذا حال العبد إذا بذر المعارف الإلهية في أرض نفسه في أيامه ومبدأ التكليف ودام على سقيه بالطاعات واجتهد في طهارة نفسه عن شوائب الأخلاق الرديئة التي تمنع نماء العلم وزيادة الإيمان وتوقع من فضل الله تعالى وكرمه أن يثبته على ذلك إلى زمان وصوله وحصاد عمله، وذلك التوقع هوالأمل المحمود والرجاء الممدوح وهو درجة السابقين [10]

---

(١)شرح الصحيفة السجادية السيد علي خان المدني ص٣٠٦وص ٣٥٥،نسخة حجرية.

(٢)المصدر السابق ص ٣٠٧

(٣)المصدر السابق ص ٥٢١

٤- شرح الصحيفة ص٢٨٦

(٥)المصدر السابق ص ٣٤١

(٦)مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٦٧الاميرة للطباعة والنشر بيروت الاولى ٢٠١٠

(٧)تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي ج ١٢ ص ٣٣٢ الأعلمي بيروت الأولى ١٩٩٧

(٨)الصحيفة السجادية ص ١١٨ مطبعة ثامن الحجج الأولى ١٣٨٧

(٩)المصدر السابق ١٢٠

(١٠)انظر شرح الصحيفة السجادية ص ٣٠٧

صفات
اختص بها رسول الله صلى الله عليه وآله

أ. م. د. عقيل جاسم دهش •
مركز دراسات الكوفة

ينابيع

محمد صلى الله عليه وآله..ماذا يكتب عنه القلم؟ وما تسطر فيه الكلمات؟وهل بوسعها أن تحيط به الأفكار أو تدرك كنهه العقول؟ ، إنه قيمة إنسانية عليا والصفحة المشرقة في تأريخ الإنسانية، وهو رقم صعب في معادلة الوجود البشري، كيف لا؟ وهو صانع تلك الحضارة العظيمة الممتدة عبر الزمن ومؤسس دولة الإسلام الكبرى التي غيرت مجرى التأريخ وأطاحت بالإمبراطوريات والأمم العريقة وسطرت أروع الملاحم وسجلت أزهى عصور المجد. لقد اختصت هذه الشخصية العظيمة الفذة بسمات جليلة مكنتها لتحظى بالشرف الأعلى والمقام الرفيع حيث بلغت (قاب قوسين أو أدنى) من عرش ربها أو ملكوته أو اسمه الأعظم.

ومن هذه السمات: كونه خاتم الأنبياء، قال تعالى: (**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَد مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**) (سورة الأحزاب: ٤٠)، قرأ الجمهور (خاتِم)، بكسر التاء[١]، بمعنى أنه ختمهم أي جاء آخرهم، في حين قرأ الحسن والشعبي وزيد بن علي وعاصم (خاتَم)، بفتح التاء[٢]، بمعنى أنهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود (**ولكن نبيًا ختم النبيين**)[٣]، وقوله:(**أَبَا أَحَد مِنْ رِجَالِكُمْ**) أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة ولكن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وكل رسول أبو أُمّته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء

والأبناء[٣].

ومنهـا رقة القلب وليـن الجانب، قال تعالـى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ سـورة آل عمران: ١٥٩)، الفض فـي اللغة: تفريقـك حلقة مـن الناس بعد اجتماعهم وتفضَّض الشيء تفرَّق وكلُّ شيء تفرَّق فهو فضض[٤]، قال الزمخشري: أي لو كنت جافيًا قاسـي الفؤاد لتفرقوا عنك حتـى لا يبقى أحد منهـم، ومعنى الرحمة ربطه على جأشـه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم[٥].

ومنهـا ولايته على النـاس، قال تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِـهِمْ**﴾ سورة الأحزاب: ٦)، أي أرأف بهم وأعطف عليهم، إذ هو يدعوهم إلى النجاة وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك، ومن حيث ينزل لهم منزلة الأب في الدين[٧].

ومنها شهادته على الأمة، قال تعالى﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَـلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيـرًا**﴾ سـورة الأحـزاب: ٤٥)، قـال الزمخشـري: أي شـاهدًا على مـن بعثت إليهـم مقبولًا قولك عنـد الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم[٨].

ومنهـا أُمَّتُـهُ الأُمَّـةُ المرحومـة، قال تعالى﴿**وَمَـا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْـتَغْفِرُونَ**﴾ سـورة الأنفال: ٣٣)، فمـن رحمته لهذه

الأمة أنه سبحانه أجّل عنهم العقاب إلى يوم يلقونه ورفع عنهم عذاب الاستئصال والهلاك إكرامًا لرسول الله ومقامه العظيم عند ربه، قال الطبرسي: أي ما كان الله يعذب أهل مكة بعذاب الاستئصال وأنت مقيم بين أظهرهم لفضلك ورحمتك يا محمد[٩]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به.

ومنها شفاعته لأُمّته، قال تعالى:(**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**) (سورة الضحى: ٥)، قال الطبرسي: وسيعطيك ربك في الآخرة من الشفاعة والحوض وسائر أنواع الكرامة فيك وفي أمتك ما ترضى به[١٠]ويروى عن ابن الحنفية قوله: إن أرجى آية في كتاب الله (**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**)، وهي والله الشفاعة ليعطينها في أهل لا إله إلاّ الله حتى يقول ربِّ رضيت.

ومنها الإسراء به إلى المسجد الأقصى، قال تعالى: (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى**)(سورة الإسراء: ١)، قال الزمخشري: لقد أسري برسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة وأن التنكير في (ليلًا)دلّ على معنى البعضية[١٢]، وذكر أبو حيان أن قوله (ليلًا) ذُكِرَ على سبيل التوكيد وأن الإضافة في (عبده) إضافة تشريف واختصاص وهو أشرف أسمائه ولو كان له اسم أشرف منه لسمّاه به في تلك الحالة[١٣].

ومنها أزواجه أمهات المؤمنين، قال تعالى: (**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**)(سورة الأحزاب: ٦)، ذكر الزمخشري أن هذا تشبيه لهنَّ بالأمهات في بعض الأحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن[١٤]، وقال تعالى: (**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا**)(سورة الأحزاب: ٥٣)، قال أبو حيان: وقوله (**وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ**) خاص بعد عام لأن ذلك يكون أعظم الأذى فحرم الله نكاح أزواجه بعد وفاته[١٥].

ومنها تقديم الصدقة بين يديه عند مناجاته، قال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**)(سورة المجادلة: ١٢)، وهو أمر لمن يرغب في مناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقدم قبل مناجاته صدقة[١٦]،وروي في كتب السير أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله بما يريدون حتى أملوه وأبرموه، فأريد أن يكفوا عن ذلك فنزلت الآية مشددة عليهم أمر المناجاة، وعن علي عليه السلام قوله: ما عمل بهذا الحكم أحد غيري ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس فنزلت الرخصة في ترك الصدقة.

ومنها تحريم رفع الصوت بحضرته، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**)(سورة الحجرات: ٢)، قال الزمخشري: المعنى أنه إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليًا لكلامكم وجهره باهرًا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة[١٧]، وقوله (**وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ**) أي خاطبوه بالنبوّة ولا تقولوا له يا محمد، وقيل المعنى غضُّوا أصواتكم عند مخاطبتكم إياه وفي مجلسه تعظيما وتوقيرا له من كل وجه[١٨].

ومنها صلاة الله وملائكته عليه صلى الله عليه وآله،

قال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**)(سورة الأحزاب: ٥٦)، الصلاة في اللغة: هي الدعاء والاستغفار وصلاة الله على رسوله رحمته له وحسن ثنائه عليه[١٩]، قال الطبرسي: المعنى إن الله يثني على نبيِّه بالثناء الجميل ويبجله بأعظم التبجيل وإن ملائكته يثنون عليه بأحسن الثناء ويدعون له بأزكى الدعاء، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قوله: صلاة الله على رسوله تزكيته له في السموات العلى.

ومنها صلاته سكن للمؤمنين، قال تعالى: (**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ**)(سورة التوبة: ١٠٣)، قال الفراء: أي استغفر لهم فإن استغفارك لهم تكن إليه قلوبهم وتطمئن بأن قد تاب الله عليهم[٢٠]، وذهب الزمخشري إلى أن المعنى: ادع لهم وترحَّم عليهم[٢١]، وقيل: صلِّ عليهم إذا ماتوا، وعن ابن عباس قوله: صلاة الرسول هي استغفاره لهم ومعنى (سكن) طمأنينة لهم بأن الله قبل صدقتهم [٢٢].

ومنها معاتبة الله له صلى الله عليه وآله، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ**)(سورة التحريم: ١)، قال أبو حيان: قوله (لِمَ تُحَرِّمُ) سؤال تلطف ومعنى (تُحَرِّمُ) تمنع وليس التحريم المشروع بوحي من الله[٢٣]، وذكر الطبرسي أن هذا القول لا يمتنع أن يكون خرج مخرج التوجع له إذ بالغ في إرضاء أزواجه وتحمل في ذلك المشقة أو يكون عوتب على ذلك لأن ترك التحريم أفضل من فعله ولأن تطييب قلوب النساء مما لا تنكره العقول[٢٤].

(١) النشر في القراءات العشر ٣٤٨/٢
(٢) البحر المحيط ٢٢٨/٧
(٣) معاني القرآن:٢٣٤/٢
(٤) الكشاف ٣٥٤٤
(٥) لسان العرب،مادة فضض
(٦) الكشاف: ٤٣١/١
(٧) البحر المحيط ٢٠٨/٧
(٨) الكشاف: ٥٤٦/٣
(٩) مجمع البيان: ٣٤١/٤
(١٠) مجمع البيان: ٢٩٤/١٠
(١١) الكشاف:٦٤٦/٢
(١٢) البحر المحيط: ٦/٦
(١٣) الكشاف: ٥٢٣/٣
(١٤) البحر المحيط: ٢٣٨/٧
(١٥) الكشاف: ٤٩٣/٤
(١٦) الكشاف: ٣٥٢/٤
(١٧) مجمع البيان: ١٦٦/٩
(١٨) لسان العرب،مادة صلا
(١٩) مجمع البيان: ٢٠١/٨
(٢٠) معاني القرآن ٣٠٣/١
(٢١) الكشاف: ٣٠٧/٢
(٢٢) البحر المحيط ١٠٠/٥
(٢٣) البحر المحيط: ٢٨٤/٨
(٢٤) مجمع البيان: ٤٢/١٠

صدقات فاطمة عليها السلام في وصيتها

حيدر الجد •

ينابيع

لقد نقل علماؤنا نصاً يبين أن لفاطمة الزهراء عليها السلام أراضيَ وضياعًا وهبها رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته، وبالرغم من ضخامة عائدات تلك الأراضي إلا أن السيدة فاطمة عليها السلام لم تهتم بها، ولم تأخذ حيزاً من تفكيرها باعتباراتها المادية الدنيوية، فقد جعلت ريعها في سبيل الله، حيث آثرت بنت المصطفى مواساة الجياع والفقراء من بني هاشم وغيرهم.

يقول النص: (روى أبو بصير، قال أبو جعفر-الباقر- ألا أحدثك بوصية فاطمة عليها السلام؟ قلت بلى، فأخرج حقاً أو سفطاً فأخرج منه كتاباً فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد، أوصت بحوائطها السبعة: العواف والدلال والبرقة والمثيب والحسنى والصافية ومال أم إبراهيم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فإن مضى عليّ فإلى الحسن، فإن مضى الحسن فإلى الحسين، فإن مضى الحسين فإلى الأكبر من ولدي، شهد الله على ذلك والمقداد بن الأسود والزبير بن العوام وكتب علي بن أبي طالب عليه السلام[1].قبل أن نخوض في هذا النص نجد مصطلحاً أطلق عليه (صدقات فاطمة)، وهي جمع صدقة، والصدقة ما تصدقت به على الفقراء، أو ما أعطيته في ذات يد للفقراء[2]، وقد يقال أوقاف فاطمة، حيث تؤدي كلمة الأوقاف إلى معنى الصدقات، والظاهر والله العالم أن هذه الصدقات هي ما حازته فقط مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام من إرث أبيها مما تركه القوم لها، وإن رأى بعض المؤرخين أن هذه الصدقات سلبت منها فقد سلبوها منها كما سلبوا (فدك) وغيرها من الصفايا

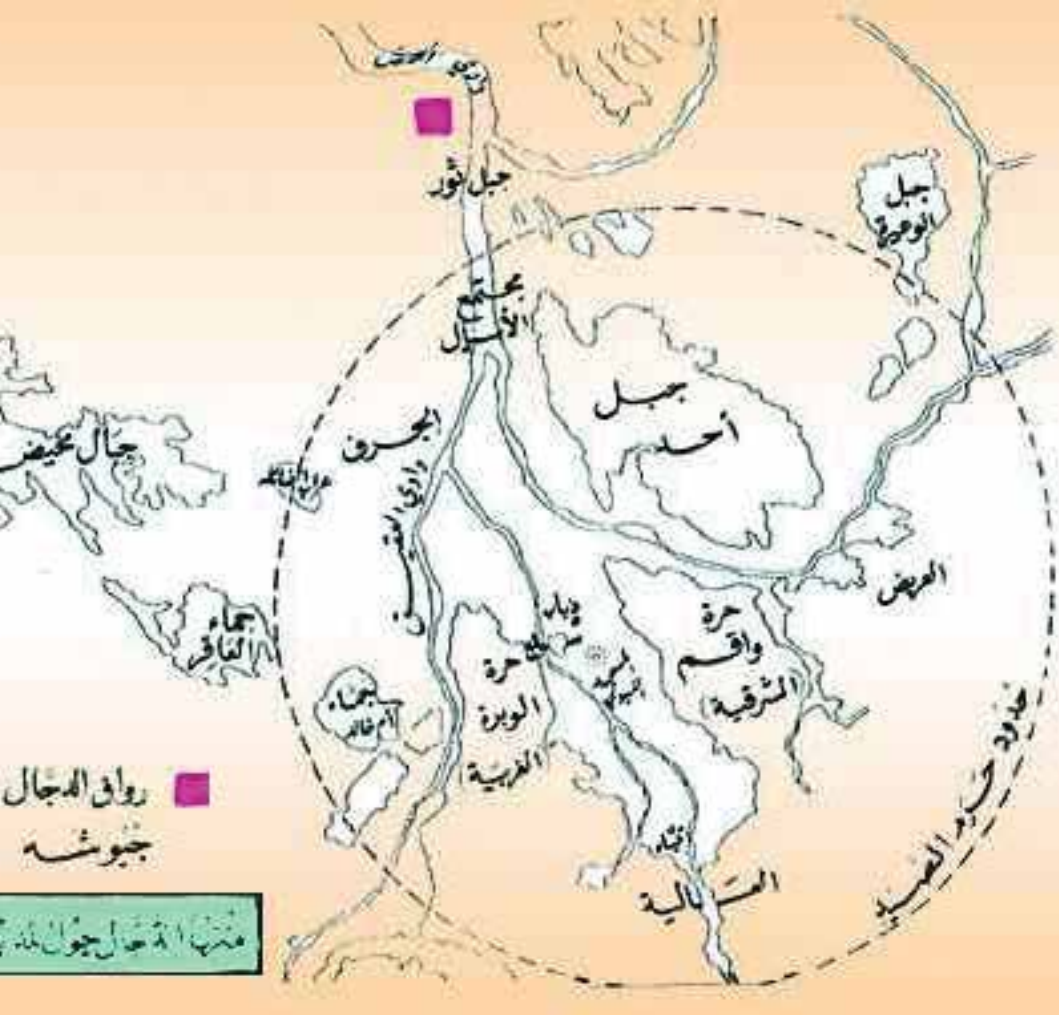

خريطة تبين حدود المدينة المنورة ايام نزول رسول اللّه صلى الله عليه وآله فيها ، وتبدو منطقة العالية وفيها بعض صدقات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

والأنفال، والتي أشار إليها الإمام علي في خطبتــه حين قال: (وما أفعــل بفدك وغير فدك...).

أما معنى الحوائط، جمع حائط، وهو بســتان النخيل، الذي يحده حائط، فيطلق عليه حائطاً أيضًا[٣].

أولاً: أصل هذه الصدقات: والصدقات عبــارة عن ســبع بســاتين وهــي المثيب، العــواف، برقــة، حســني، مشــربة أم إبراهيم، الدلال، الصافية.

كانت هذه البساتين ملكاً لحبرٍ من علماء اليهود وأغنيائهم، يدعــى (مخيريق) ولما وقعت واقعة أحد قال لليهود: ألا تنصرون محمداً، واللّه إنكم لتعلمون أن نصرته حق عليكــم، فقالوا اليوم يوم الســبت، فقال: لا ســبت، فأخذ ســيفه ومضى إلى النبي فقاتل، حتى أثخنتــه الجراح، فلما حضره الموت، قــال: أموالي إلــى محمد يضعها حيث يشاء[٤].

وقد اختلفت الآراء في إسلام مخيريق مــن عدمه، فقــال حمــاد بن زيــد: كان- مخيريق- أوصى بمالــه للنبي لمعرفته بأنه رسول اللّه ولم يســلم، وهي صدقاته عليها السلام بالمدينــة، بينما ذكر الزركلي في الأعلام:

أسلم وأوصى بأمواله للنبي، توفي سنة ٣هـ في واقعة أحد[٥].

كما اختلفوا في أسرتهن فمنهم من قال: من بني النضير، ومنهم من قال: من بني قينقاع، ومنهم من قال: من بني القطيون[٦].

وقد أثنى النبي صلى الله عليه وآله عليه بقوله: (مخيريق سابق اليهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة)[٧]، ولابد من هذه المقارنة بين مخيريق وسلمان وبلال أن تثبت صحة إسلام مخيريق، وانه كان عالماً بنبوة النبي فاتبعه لأنه لم يكن يهودياً عادياً من عامة اليهود بل كان من علمائهم كما ذكرنا آنفاً وقد أكد الحموي ذلك بقوله: وكان أسلم، فلما حضرته الوفاة أوصى بها لرسول الله.

ثانياً: التعريف بها، والبساتين كما يلي:

١) المثيب، أو الميثب: مال بالمدينة[٨]، والمال معناه البستان، وقد ارتبط اسم هذا المكان بسلمان المحمدي في رواية مفادها: (حيث كان يعمل عند بني النضير فكاتبوه على أن يغرس لهم كذا وكذا ودية حتى تبلغ عشر سعفات، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ضع عند كل نقير ودية، ثم غدا النبي صلى الله عليه وآله، فوضعها له بيده، ودعا له فيها، فكأنها كانت على ثبج البحر، علت منها ودية، فلما أفائها الله عليه جعلها صدقة، فهي صدقة بالمدينة)[٩].

٢) العواف، وقيل العوالي، أو الأعواف: جزع معروف بالعالية بقرب المربوع، يسقيها مهروز، وهي من أموال بني محمم[١٠].

٣) برقة: موضع بالمدينة، به مال كانت صدقات سيدنا رسول الله[١١].

٤) حسني: من ناحية تدعى القف[١٢]، والقف وادٍ بالمدينة عليه مال لأهلها، ويستقي بستان حسني من مَهْرُوز وهو أيضاً وادٍ بالمدينة يسيل منه المطر[١٣]، والظاهر أن مهروزاً هذا كان يغذي الكثير من الضياع والبساتين من المياه التي تجتمع فيه، يصدر وادي مهروز من حرة واقم حيث يأخذ من شرقي هذه الحرة ومن هكر ومن حرة صفة حتى يأتي أعلى حلاءة بني قريضة وهناك ينقسم شعبتين تختلط إحدهما بوادي مُذينيب وتذهب الأخرى حتى تتصل بوادي مذينيب بفضاء بني خطمة، ثم يجتمع مذينيب ومهروز ويدخلان صدقات رسول الله إلا مشربة أم إبراهيم، ويطلق على وادي مهروز اليوم أسم الغاوي لتشعب فروعه[١٤].

٥) مشربة أم إبراهيم: وقد تعرف أحياناً بالعالية، وردت في النص الأصلي للوصية التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام كلمة (مال) بدلاً عن كلمة (مشربة)، حيث تدل كلمة المال على البستان، أما المشربة فقد وجدنا له معنيين وهما:

المعنى الأول: الغرفة، حيث قالوا: المشربة الغرفة[١٥]، ومنها مشربة أم إبراهيم وإنما سميت بذلك، لأن إبراهيم- ابن النبي صلى الله عليه وآله- ولدته أمه (ماريا القبطية) فيها، وتعلقت حين ضربها المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة[١٦].

المعنى الثاني: البستان، فقالوا فيها: (وليس عليها بناء ولا جدار، وإنما هو عريصة صغيرة بين نخيل، طولها نحو عشرة أذرع، وعرضها أقل منه بنحو ذراع، وقد حوّط عليها برضم لطيف من الحجارة السود)[١٧].

والظاهر أنها غرفة مجاورة للعريصة المذكورة أو كانت فوقها لأن المشربة هي الغرفة العالية والله تعالى أعلم،

صورة لمضيف الإمام الحسن عليه السلام (بستان الشيخ العمري) في المدينة المنورة حيث موقع احدى صدقات السيدة فاطمة عليها السلام

وقد قال من ذكرها: إنها موضع مسكن رسول الله[١٨]، تقع مشربة أم إبراهيم بين مسجد قباء ومسجد الفضيخ، وقد ذكرها جل علمائنا في باب زيارة المساجد المباركة في المدينة المنورة، واليوم قد طمست آثارها، كما طمس آثار غيرها من المساجد والمزارات، حيث كانت مسجداً يقصده الزائرون، وفي تحديدها وتعريفها قالوا:(مسجد شمالي مسجد بني قريضة، قريب من الحرة الشرقية، في موضع يعرف بالدشت)[١٩].

وإذا كانت مسكناً لرسول الله، فهذا يعني أنه عليه السلام كان يسكن في بيته الملاصق لمسجده المبارك، وفيه حجرات حريمه، إضافة لذلك فهو يسكن المشربة بيت ماريا القبطية زوجته، ولا نعلم لماذا أسكن رسول الله صلى الله عليه وآله ماريا بعيداً عن مسجده؟، وقد ورد أنه صلى الله عليه وآله كان يقصد مسجد قبا في الأسبوع مرتين، وربما كان فيهما ينزل المشربة، حيث داره وعرصته التي وهبها إياه مخيريق اليهودي كما بينا، وقد أصبحت مشربة أم إبراهيم مسجداً –كما ذكرنا-يقصده العباد والزوار إلى أن تم تهديمه.

٦) الدلال: وقد ذكر ابن شبّة النميري: (إن بستان الدلال كان لامرأة من بني النضير، وكان سلمان الفارسي عندها عبداً فكاتبته إن أحياها أعتقته، فأُعلم النبي بذلك، فجلس النبي على فقير- حفرة كان يوضع فيها الغسيل- ثم جعل يحمل إليه

الـوادي فيضعه بيده، فمـا عدت منها ودية أن أطلعـت، فكانت مما أفـاء به الله على رسوله)[٢٠].

٧) الصافيـة: بسـتان يقـع شـرقي المدينة بجزع زهيرة[٢١]،والظاهر من كلام السـمهودي أن الصافيـة وبرقـة والدلال والميثب بسـاتين متجـاورات في منطقة يقال لها أعلى السورين[٢٢].

وخلاصة القول إن جميع هذه البساتين أصبحـت ملـكاً لمخيريق قبـل أن يهديها لرسـول اللهﷺ، فقد ملكها من اليهود – بنـي قريظة وبني النضيـر وبني محمم-، وقـد أوقفها النبي ﷺ سـنة ٧هـ، كما في رواية السمهودي.

وقد ذكر ياقوت في معجمه :(أم العيال: قريـة صدقة فاطمة الزهراء بنت رسـول اللهﷺ[٢٣]، ولكنهاعليها السلام لم تذكرها في نص الوصيـة التـي أوردها الإمـام الباقرعليه السلام، وربما أخذت منها حالها حال غيرها.

ثالثًا: كيف أصبحت البسـاتين لفاطمة: بعـد أن قتـل مخيريق فـي واقعـة أحد، وأوصى ببسـاتينه للنبيﷺ، أصبحت ملكاً محضاً لهﷺ، وقد سأل الإمام الرضا عن هذه الحيطان السـبعة التـي كانت ميراث رسـول الله لفاطمـةعليها السلام، فقـال: لا إنما كانـت وقفـاً وكان رسـول الله يأخذ منها ما ينفق على أضيافـه والتابعة تلزمه فيها، فلما قبض جاء العباس يخاصم فاطمة عليها السلام فيها، فشهد عليعليه السلام وغيره إنها وقف على فاطمة عليها السلام[٢٤].

رابعًا: من تولى شؤونها: بعد وفاتها قام أمير المؤمنين بإدارتهـا وصرف وارداتها فـي الوجـوه التـي كان رسـول اللهﷺ والزهـراءعليها السلام تنفق فيها، ثـم قام بالأمر بعد استشـهاد الإمام عليعليه السلام، باشر مهمة الإشراف عليها الإمام الحسنعليه السلام خصوصاً حينما رجع إلى المدينة من الكوفة واستقر بها، وبعـد وفاته قام الإمام الحسـينعليه السلام بأمرهـا تنفيذاً لوصيـة الزهراء، ثم تولى شؤونها الحسـن المثنى بن الحسن السبط باعتباره ابـن الأكبر، ولم يسـلط التاريخ عليهـا ضوءاً بعد ذلـك ولا ندري كيف كان وضعهـا خـلال الفترات التـي تلت ذلك، كما لم يوضح الإمـام الباقرعليه السلام الذي نقل الوصية لأبي بصير شـيئاً فـي حديثه عما آلت إليه.

خامسـاً: لمـاذا أوصـت الزهراءعليها السلام المقـداد والزبيـر؟: لقد كانـت الزهراء واجـدة علـى مـن ضمـه سـور المدينة، وكان هنـاك الصفـوة فقـط ممن رضيت بهم كسـلمان وعمـار وأبـو ذر والمقداد وغيرهـم من الثلة القليلـة، ولكنها أوصت إلى المقداد والزبير دون الغير فهل هناك ميزات لهذين الرجليـن أهلتهما لأن يكونا وصيي الزهراءعليها السلام؟ ، لنستعرض شيئاً من مواقف الرجلين:

أولاً: الزبير بن العوام:

١- أمـه صفية بنت عبـد المطلب، أي ابـن عمة أبيها رسـول الله وزوجها الإمام عليعليه السلام، فهو القرابة الوحيدة التي وقفت مع الزهراء في أزمتهـا، ولا نعلم أين كان الهاشـميون، فلم يقفوا بوجه الخطة التي حيكت في سـلب الخلافـة والإرث من آل الرسول.

٢- لـم يبايـع أبـا بكر خليفة لرسـول الله(ص)، مع العلم أنه كان متزوجاً بأسماء بنت أبي بكر.

٣- الظاهـر أن الزبيـر كانت له أراض مجاورة لهذه البسـاتين، فقد أقطعه النبي ﷺ(ماله الذي يقال له بنو محمم من أموال

بني النضير)[٢٥]،وعليه فالزبير أدرى بهذه البساتين من غيره لقرب أرضه منها، ولمعرفته بعائديتها لفاطمة عليها السلام، خصوصاً والزهراء قد منعت من باقي إرثها.

ثانياً: المقداد بن الأسود الكندي:

١- زوجته ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، أي كان صهراً للهاشميين[٢٦].

٢- من أوائل المسلمين الذين واكبوا نشر الإسلام وساندوا نبيه بالقول والفعل.

٣- شهد جنازة فاطمة والصلاة عليها، مما يدل على مدى تقدمه وفضله عند آل البيت عليهم السلام.

٤- قال الإمام الباقر عليه السلام لصاحب له:(إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء، فالمقداد) [٢٧].

٥- كان المقداد أعظم الناس إيماناً تلك الساعة، أي ساعة أن أخرجوا الإمام عليًا ملبباً ليبايع[٢٨].

٦- كان المقداد من القلة الذين أنكروا بيعة أبي بكر[٢٩]، لأنه وجد الخلافة قد زويت عن أهلها وقام لها آخرون.

كل ما تقدم أهّل الزبير والمقداد أن يكونا شاهدين على وصية الزهراء التي كتبها أمير المؤمنين علي عليه السلام بيده المباركة.

---

(١) الحلي، مختلف الشيعة، ٣٠٣/٦.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١٩٦/١٠.
(٣) الطريحي، مجمع البحرين، ٥٩٨/١.
(٤) ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٢٦٠/١٤.
(٥) تركة النبي، ص٧٨، الزركلي، الأعلام، ١٩٤/٧.
(٦) ابن حجر، الإصابة، ٤٦/٦.
(٧) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٩٨/٢٢.
(٨) الحموي، معجم البلدان، ٢٤١/٥.
(٩) الصنعاني، المصنف، ٤١٨/٨.
(١٠) السمهودي، وفاء الوفا، ١٥٢/٢.
(١١) ابن منظور، لسان العرب، ١٩/١٠.
(١٢) النميري، تاريخ المدينة، ١٧٤/١.
(١٣) ابن عبد البر، التمهيد، ٤١٠/١٧.
(١٤) الأنصاري، آثار المدينة المنورة، ص٢٣٥.
(١٥) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٣٠٢/٣.
(١٦) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٩٨/٢٢.
(١٧) النراقي، مستند الشيعة، ٣٤٠/١٣.
(١٨) المجلسي، بحار الأنوار، ١٢٠/١٩.
(١٩) النراقي، مستند الشيعة، ٣٤٠/١٣.
(٢٠) النميري، تاريخ المدينة، ١٧٤/١.
(٢١) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٩٩/٢٢.
(٢٢) النميري، تاريخ المدينة، ١٧٤/١.
(٢٣) ٢٥٤/١.
(٢٤) الأمين، أعيان الشيعة، ٣٢٠/١.
(٢٥) ابن شيبة الكوفي، المصنف، ٦٤٠/٧.
(٢٦) الإحسائي، عوالي اللئالي، ٣٤١/٣.
(٢٧) المفيد، الاختصاص، ص١٠.
(٢٨) المصدر السابق، ص١١.
(٢٩) أيوب، معالم الفتن، ص٢٩٣.

حكاية مستبصر..

أبو حيدر الكبيسي

(حنفي / العراق)

ولد عام ١٩٥٨م بمدينة (ذي قار) في العراق ، من عائلة تعتنق المذهب الحنفي ونشأ في أوساط هذا المذهب .

يقول الشيخ الكبيسي : (كنت منذ الصبى أجد قلبي ينبض بمحبّة أهل البيت عليهم السلام ، وكنت أهوى الحضور في المجالس التي تقام إحياء لذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام - لا سيما التي تقام في شهر المحرم الحرام - كما كنت أقصد حرمه الطاهر في كربلاء لأداء مراسم الزيارة أيام الأربعين مع مواكب المعزين من الشيعة ، مما أدّى إلى تعلقي بمعرفة أهل البيت عليهم السلام وقراءة تاريخهم وتتبع سيرتهم الشريفة .

وكنت بعد معرفتي لكل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام أقف منبهراً لعظمتهم وجلالة قدرهم ، حتى إنّني ولشدّة إعجابي بشخصية الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام صرت أذكره في الإقامة عند الصلاة ، رغم أنني كنت أؤدّي الصلاة وغيرها من الفرائض وفق المذهب الحنفي ! .

كنت مسروراً بإلمامي ومعرفتي بأهل البيت عليهم السلام .ولكن مصرع الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه من مآسي في كربلاء أوجد حرقة في قلبي ، فكنت أطفئها بدموعي من خلال مشاركتي في مآتم العزاء التي تقام حزناً عليه ، ولم أكن أبالي بالانتقادات التي كان يوجهها لي أبناء طائفتي ، لأنّني كنت أرى أنّ كل فرد يمتلك المشاعر الإنسانية و يتمتع بسلامة الوجدان يتأثر وينفعل بارتكاب أي ظلم أو جور بحق إنسان عادي ، فكيف به إذا سمع بوقوع ظلامة فادحة على قريب له أو عزيز كان يكنّ له المحبّة من خلال قرابة أو صداقة أو عقيدة ؟ ! .

وكان واضحًا لديّ أنّ البكاء لا ينافي الصبر ، بل هو يمثل حالة طبيعية للنفس إزاء الأحداث المؤلمة ، وأنّ بكاء الإنسان بسبب المآسي التي تحل به أو بأحد أحبائه أو أعزائه لا يتنافى مع الفطرة السليمة).

مشروعية البكاء على الميت :

قد أشاع البعض متوهمًا أنّ البكاء على الميت بدعة دخلت حياة المسلمين فيما بعد، ثم عمد إلى زرع الشك في الأذهان، لكن هذا التوهم يرتفع بمجرد أن يراجع

الباحث سيرة الرسول ﷺ والمسلمين .

وفي الحقيقة أنّ الذين قالوا بحرمة البكاء وجعلها ذريعة للتوهين والطعن ، غفلوا أو تغافلوا عن الفطرة التي أودعها الله في الإنسان ، فالإنسان إن تحققت آماله شعر بالفرح والسرور ، وإن أخفق في ذلك أو أصيب بنائبة فإنّه يحزن ويغتم وقد ينهار أمام ذلك ، ولهذا نجد أنّ سيد الكائنات نبيّنا محمّد ﷺ بكى على ابنه إبراهيم ، وعلى خديجة ، وعلى عمه أبي طالب ، وعلى أمّه آمنة بنت وهب ، وعلى عمه حمزة بن عبد المطلب ، وعلى جعفر الطيار وعلى الإمام الحسين عليه السلام ، وغيرهم فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال عند موت ولد إبراهيم: (إنّ العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلاّ ما يرضي ربّنا ، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون).

وورد أنّه ﷺ قال في حق جعفر عليه السلام: (على مثل جعفر فلتبك البواكي) .

وقال ابن سيرين : (لم تبك السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا ، إلاّ على الحسين بن عليّ) .

وإذا كان البكاء مصحوباً بصوت عال محرّمًا ، فلماذا انتحب رسول الله ﷺ على عمه حمزة حتى بلغ به بكاؤه حد الشهيق؟! .

أضف إلى كل ذلك ما ورد من أنّ المسلمين ضجوا بالبكاء كضجيج الحجيج على فقد رسول الله ﷺ، وأنّ أجواء المدينة ارتجت من الصياح على الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يوم وفاته.

وذكر أنّ عائشة بكت على أبيها بعد رحيله وناحت عليه.

منطلق الاستبصار:

يقول فضيلة الشيخ الكبيسي: (أدركت أنّ فاجعة الحسين عليه السلام لها بُعد مأساوي

لا يصمد أمامه أيّ إنسان سليم الوجدان مرهف الإحساس، ولذلك تفاعلت بكامل كياني مع أحداث كربلاء، واندمجت بها قلبًا وعقلاً.

ولقد شدني الإمام الحسين عليه السلام نحو مذهب أهل البيت عليهم السلام وأدركت أنّه صاحب الحقّ، وأنّ بكاء الرسول ﷺ عليه هو إعلان عن سلب الشرعية عمن ناوءه وقاتله ، حيث اعتبره رسول الله ﷺ سنخاً له حينما قال : (حسين مني وأنا من حسين).

فمن هنا تبيّنت لي الأهداف التي جاهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، فتأثرت بنهضته وأعلنت استبصاري عام ١٩٨٦ م وتشرّفت باعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٨٦ م ، بعد دراسات مكثفة ومعمّقة ومحاورات عديدة أجريتها مع العلماء .

نقل بتصرف عن: (موسوعة من حياة المستبصرين/مركز الأبحاث العقائدية ج١ ص٥٢٩)

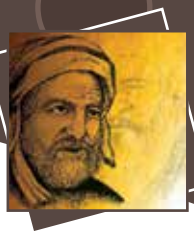

الشيخ جعفر القرشي

من أساطين الفقه

محمد دعيبل •
كاتب وإعلامي

امتازت الحوزة العلمية في مدينة النجف الأشرف بكونها الرائدة من بين الحوزات العلمية الأخرى في العالم منذ تأسيسها على يد شيخ الطائفة (الشيخ الطوسي)قدس سره إلى يومنا هذا، وما ذاك إلا لتشرفها بأنوار باب علم مدينة الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ألا وهو أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام كما ورد في الحديث الشريف الذي ذكره العامة والخاصة.

فإلى هذه المدينة المقدسة تُشد الرحال طلبًا للعلم والمعرفة من منهلها العذب الصافي. فعبر قرون عدة من الزمن تخرج من هذه الحوزة المباركة الكثير الكثير من رجالات الفقه والأصول، إذ إن منهم نال شرف مرتبة الاجتهاد ليكون مرجعًا للتقليد ليس لمن يقطن العراق فحسب بل إن مساحة التقليد ازدادت لتسع بلدانًا أخرى في العالم الإسلامي وغيره ممن تحتضن أتباع أهل البيت عليهم السلام ومن هنا فإن حوزة النجف الأشرف ومع أنها مرت بظروف حالكة حاولت أن تنال من مقامها السامي إلا أنها أبت كل الإباء إلا أن تزداد إشراقًا يومًا بعد يوم لتملأ فضاء العلم بنورها الوهاج الذي لا ينطفئ أبدًا. فكانت ولا تزال قطب رحى التشيع في العالم.

ومن أساطين الفقه الذي درس وتخرج من هذه الحوزة العلمية المباركة الشيخ جعفر القرشي الذي نود أن نورد له ترجمة مختصرة على صفحات هذه المجلة الغراء التي تعنى بالعلم والعلماء ليكون منا لعلمائنا الأبرار وفاء، أولئك النفر الذين آلوا على

أنفسهم أن يكونوا مصابيح وهاجة يشـق نورها الدجى كونهم ذوي العقل والحجى.

اسمه وأسرته:

هـو الشـيخ جعفر بن الشـيخ حسـن بن الشـيخ عبـد علي بن الشـيخ علي بن الشيخ محمد بن الشيخ مسعود القرشـي[1] وقبيلة القرشـي تعد مـن القبائل التي سـكنت مدينة النجف الأشرف واشتهرت بطلب العلـم والفضيلـة والتقوى والـورع. فمنهـا مـن كان عالمًـا مجتهـدًا ومنهـا الخطيب الحسـيني ومنها الأديب والكاتب فضلًا عن أن رجالاتها امتازت بالورع والتوى والتواضع وحسـن الخلق.

ولادته ونشأته:

كانت ولادة المترجم له في يوم الأربعاء المصادف العشرين من جمادى الأول عـام ١٢٨٠هـ فـي مدينة النجـف الأشـرف ونشـأ وترعرع بين أحضان هذه الأسـرة العلمية الشـريفة ليكون فيما بعد علمًا من الأعلام لا يرتضي لنفسه إلا الزهد وهداية الأنام.

دراسته وتلمذته:

قـال في حقه صاحب كتاب (مشـاهير المدفونيـن فـي النجف)[2] من أن الشـيخ جعفر ﷺ قرأ المقدمات الأدبية والشرعية علـى لفيف مـن الأفاضل ومـن ثم حضر الأبحاث العالية على كل من الشـيخ حسن الخليلي والشيخ محمد طه نجف وصاحب الكفاية الشـيخ محمد كاظم الخراسـاني. حتـى تخرج عليهم. فيمـا يحدثنا الخطيب

صورة من مخطوطة (شرح شرائع الإسلام) بخط المؤلف الشيخ جعفر القرشي موجودة في مكتبة الإمام الحكيم العامة تحت رقم ٢٧٤٢،٢٩٦٧

الحسيني فضيلة الشيخ شاكر القرشي والذي هو حفيد الشيخ جعفر لأمه من أن الأخير كان يباحث الشيخ الخراساني خارجاً في مسجد الطوسي وكان المسجد لا يسع للطلبة آنذاك، فكان قسم منهم يعتلي السطح ليستمع إلى درس الشيخ الآخوند والذي كان جوهري الصوت، بيد أنه لا يجرأ أحد للإشكال عليه إلا شيخنا المترجم له فكان كثيرًا ما يشكل على أستاذه وكان يتقبل منه ذلك، وما ذاك إلا دليل على غزارة علمه وذكائه ونباهته.

علمه وفضله:

بعد أن اجتاز الشيخ جعفر مرحلة البحث الخارج اشتغل بالتدريس مدة طويلة يحضر درسه جمع من العلماء والأفاضل فغدا يشار إليه بالبنان[٣] من خلال إتقانه لأحكام الدين ونشره السنن والآداب ومسائل الشريعة وكان ممن أجازه بالاجتهاد صاحب العروة الوثقى السيد كاظم اليزدي الذي كان مرجعًا للأمة آنذاك فكان الشيخ جعفر بحق عالمًا مجتهدًا واعظًا مرشدًا. وفي هذا النهج سلك المترجم له مسلك أبيه وحذا حذوه. فإنك تجده مرة في محرابه يؤم المصلين في الصحن الحيدري الشريف وفي أخرى قد اعتلى ذروة المنبر وانحدر كالسيل الجارف في إلقاء المسائل الشرعية وأصول العقائد، كما كان في الوقت ذاته كريمًا، سخيًا، طيب النفس، صافي الضمير، نقي السريرة، وكان من تواضعه وزهده في الدنيا أنه لم يعتن بملبوسه وزينته وعلى رأسه عمامة كبيرة لا يعتني بتنسيقها غير ملتفت للدنيا ولا لزخرفها بعيدًا عنها قريبًا من الله تعالى داعيًا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

ولما انتشرت ظاهرة المشروطة والمستبدة في النجف الأشرف كان رأي الشيخ جعفر أن يكون جنبًا إلى جنب مع أستاذه الشيخ الآخوند والذي كان راعيًا للمشروطة على خلاف السيد اليزدي والذي كان يرى الحق مع المستبدة في قضية حكم الناس لا المشروطة.

وبعد رحيل الشيخ الآخوند دون أن يحقق مراده في مقاتلة الروس آنذاك توجه المترجم له وبنصيحة من السيد اليزدي إلى مدينة الحيرة والتابعة للحدود الإدارية للنجف الأشرف حاليًا ليكون محلًا للإفتاء والإرشاد..

آثاره العلمية:

ورد في كتاب معارف الرجال[٤] في ترجمة للشيخ حسن والد الشيخ جعفر والذي كان هو أيضًا عالمًا فاضلًا.مشيرة إلى المترجم في الهامش (ترك آثارًا علمية رأيت منها مجلدين أحدهما في أحكام الخلل في الصلاة، قال في أوله الركن الرابع في التوابع وقد وقع الفراغ منه في شهر رجب سنة ١٣٤٦هـ على يد مؤلفه جعفر القرشي) وثانيهما في صلاة المسافر قال في أول الفصل الخامس من فصول الركن الرابع (ووقع الفراغ منه يوم الأربعاء في الأول من ربيع الثاني وابتدأ به في شهر رمضان من سنة ١٣٢٧هـ.).

وقد قال الشيخ عبد الله المازندراني في تقريظ له على كتاب الشيخ جعفر والذي يحمل عنوان صلاة المسافر ما نصه: (قد سبرت هذا المؤلف الشريف الكاشف عن طول باع مؤلفه المولى الأطهر جناب الشيخ جعفر القرشي في الاطلاع على القواعد وأقوال الأكابر....

الخ) وقد عد صاحب كتاب نقباء البشر[٥] مؤلفاته في: ١ـ أحكام الخللفي الصلاة.٢ـ كتاب في صلاةالمسافر.٣ـ كتاب الزكاة.

وفاته:

بعد أن قضى الشيخ جعفر ردحًا من الزمن من عمره في مدينة الحيرة(٢٥عامًا) بعد وفاة أستاذه الشيخ الخراساني لما تقدم ليقوم بتربية أهلها وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم حيث شهد له بذلك الكثير من أهل العلم والمعرفة آنذاك بالورع والتقوى ونبذ زخرف الدنيا وشهواتها. حيث كانت تجبى له الحقوق الشرعية من الأغنياء وذوي الجاه والمال نسبت إليه المقولة المشهورة: (لو أني استقطعت من الحق الذي يرد إلي (قران) أقل عملة آنذاك لصارت الآلافلدي) إذ كان ﷺ يقوم بتوزيع تلك الحقوق على مستحقيها وفق ما أراده الله تعالى ناسيًا نفسه مع شدة الحاجة إلى المالوحقه في ذلك.

وبعد وفاة السيد اليزدي عاد الشيخ جعفر إلى مدينة النجف الأشرف ليؤم المصلين في الصحن الحيدري الشريف حتى وافاه الأجل في اليوم الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني عام ١٣٥٥هـ ودفن في إحدى الحجرات في الصحن الحيدري الشريف.

فسلام عليه يوم ولد ويوم رحل إلى ربه ويوم يبعث حيًا ورزقنا الله تعالى السير على دربه والاستنارة بعلومه واتباع آثاره وما ذكرناإلا غيضًا من فيض رحم الله الشيخ جعفر القرشي ورحم علماءنا الأبرار إنه أرحم الراحمين.

---

(١) معارف الرجال: محمد حرز الدين، ٢٧٣/١.

(٢) مشاهير المدفونين في النجف: كاظم الفتلاوي، حرف الجيم ص٧٣.

(٣) ماضي النجف وحاضرها: جعفر محبوبة، ٧٧/٣

(٤) معارف الرجال ٢٧٣/١.

(٥) طبقات أعلام الشيعة أو نقباء البشر :آغا بزرك الطهراني ج١، ق١، ٢٨٣، ط النجف الأشرف، ١٣٧٣هـ .

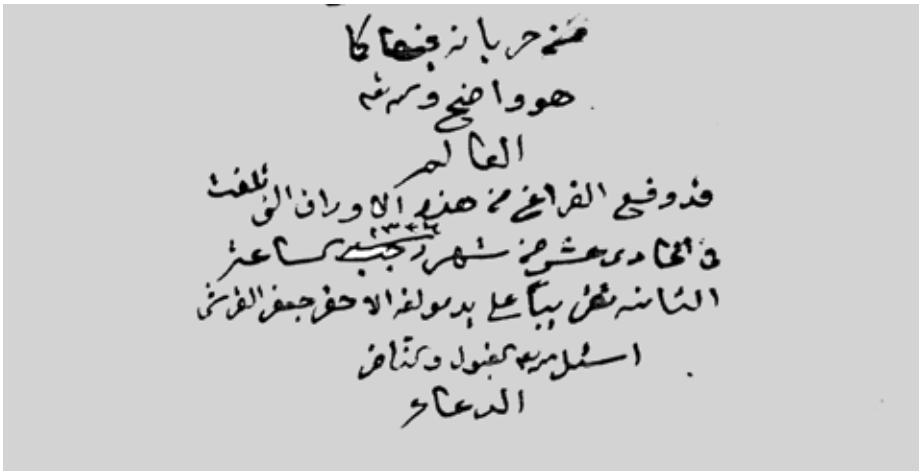

السيد محسن الحسيني الجلالي

١٣٣٠-١٣٩٦هـ

د. سلمان هادي آل طعمة •

ينابيع

هذا واحد من أعلامنا الخالدين الذين كرسوا حياتهم لخدمة الأمة الإسلامية، يلقاك بابتسامة هي العذب الزلال رقةً وصفاءً والسحر الحلال جمالاً وبهاءً، وعندما تجلس إليه يسحرك بحديثه الشيّق الذي لا يمل، ولا تخرج من عنده إلا وأنت حافل الوطاب.

هذا الرجل الصالح التقي الورع هو السيد محسن الحسيني الجلالي الحائري المولود سنة ١٣٣٠هـ في سامراء بحكم دراسة والده هناك. فمن عرف هذا الجهبذ الفذ حق المعرفة، رأى فيه بحراً زخاراً يغرق منافسيه بكل لجة، فهو نادرة زمانه في الحفظ، وآية من آيات الله في سلامة الذوق، والقياس الأتم في حسن المحاضرة، هذا إلى أخلاق رضية، ومنازع أبيَّة وصفاء سريرة ووفاء شيمة. ولا خير في علم لم يزينه خُلُق، فللسيد محسن الجلالي منزلته الرفيعة وله وزنه الراجح في العلم، والإحاطة الشاملة بالمعرفة، وقد عمل على الصعود بآثاره إلى القمة، وأنت إذا لم تعرف هذه الشخصية الجلالية البارزة، فلك أن تعجب كيف أن الله قد خصّه بموهبة لا يدانيه فيها إلا من اجتباهم ربهم وجعل في قلوبهم كنوزاً حوت كل نادرة، وقد امتاز الجلالي بأن الله قد وهبه علماً وأدباً وحصافة وأسلوباً ساحراً في روعته. يجوب الآفاق،

ويضرب في بطن الأرض ويقنص المعارف، كل هذا في أسلوب طريف جذاب، وليس هذا عجيباً فالسيد محسن الجلالي كلّه في درس الفقه والشريعة مفاجآت، وهو فيها الحركة الدائمة، وقد عوّدنا دائماً أن يفاجئنا بطُرَفِه ونفائسه وآرائه السديدة، وأدائه السليم، هذا إلى حسن ذوق ودقة اختيار، وهذا ديدن الجلالي في أبحاثه ومحاضراته، يفيض مما رزقه الله من علم على من يعلمون ومن لا يعلمون.

عرفت السيد الجلالي في أوائل الستينيات إمام جماعة، ومدرساً لامعاً في المدارس الدينية (حسن خان والبقعة والحسنية) وعرفته صهراً للمرجع الديني آية الله السيد محمد هادي الخراساني[1] وكنت قد رأيته في الدار نفسها التي كان يسكنها عمه الخراساني في محلة باب الطاق، ويقيم فيه مجالس التعزية في المحرم الحرام، وعرفته في لغته العربية وتعمقه فيه، فإذا هوالحجة البالغة غير مدافع.ومنذ ذلك الحين بدأ نجمه يتألق، وبدأت صفوف المصلّين والمؤتمينبه في صلاته تزداد يوماً بعد يوم، ثم انضمت إليه بعض العناصر اللامعة فزادته ظهورا وجلاءً، ولو لم نكن جيراناً متقاربين لما رأى بعضنا بعضا.

وبعد! ماذا عساني أقول في الأستاذ الجلالي، وهو مجموعة انسانية حية علمية، بما أصاب من فوز مبين في ميدان الفقه الذي هو خليق فيه بإكليل الغار. فضلاً عن ذلك فله اليد الطولى في توجيه الناس وإرشادهم، وصار له وزنه الكبير، ولشخصيته مكانة في النفوس لما امتاز به من غزارة العلم وجمال الأدب ورقة الطبع ونقاء السريرة. ثم أن المرجع السيد مرزا مهدي الحسيني الشيرازي بالتزامه للسيد الجلالي ومساندته له وحضوره بعض مجالسه،

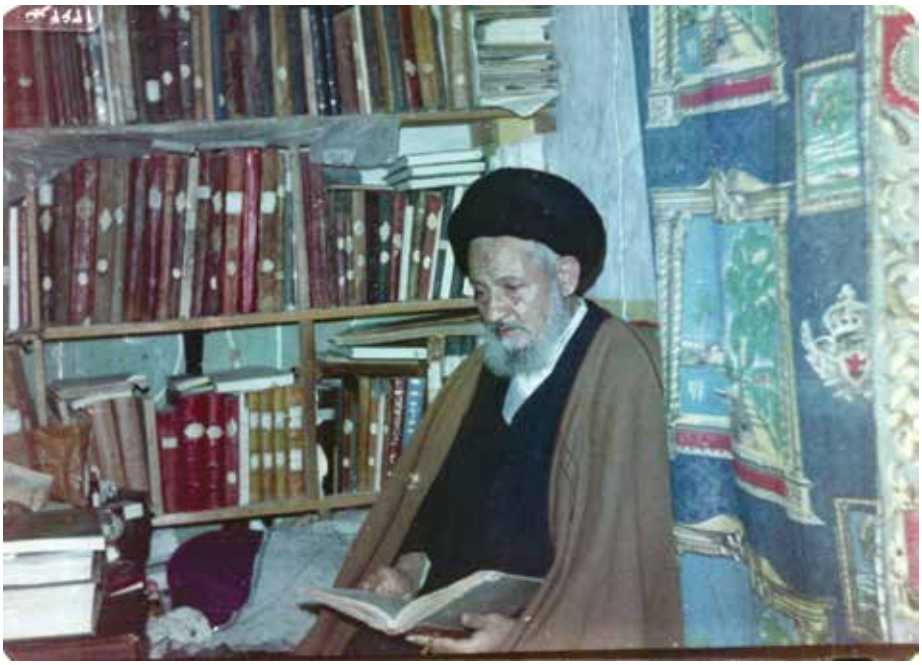

شجع الناس على الاحتفاء به ورفع ذكره.

أسرته:

نشأ السيد الجلالي في أسرة علوية جليلة توارثت العلم كابراً عن كابر، ولكل واحد نهجه وطريقته، هذا فقيه وعالم وشاعر ومحدث.

هو السيد محسن بن السيد علي بن السيد قاسم بن السيد مير وزير آل جلال الدين الحسيني من سلالة عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر الكشميري الحائري. وأول من نزل كربلاء من هذه الأسرة وألقى فيها عصا الترحال هو السيد قاسم وذلك سنة ١٣٢٠هـ وعمر الفقيد (٦ سنوات) وهو تحت ظل والده المقدس الحجة السيد علي الجلالي الذي أصبح إماماً للحرم الحسيني سنة ١٣٤٠هـ واشترى داراً في محلة باب الخان سنة ١٣٢٠هـ[٢] ثم تزوج بها واتجه إلى طلب علوم الدين، وفي الحائر قرأ على أساتذة قديرين في مدارسها ثم سافر إلى سامراء على عهد شيخنا المجاهد محمد تقي الشيرازي قدس سره فحضر بحثه واستفاد منه[٣].

دراسته:

قال شيخنا اغا بزرك الطهراني: ثم انتقل مترجمنا من سامراء إلى كربلاء حيث الحوزة العلمية الكبرى للشيعة الإمامية يقصدها طلبة العلوم الدينية بزعامة آية الله العظمى الشيخ محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين في كربلاء[٤] ثم أتقن دروس المقدمات من النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمتون الفقهية كالتبصرة حيث كان يدرس آنذاك عند أساتذة الحوزة فنال من ذلك حظاً وافراً وحصل على شهرة واسعة بالعلم. وتزوج سنة ١٣٥٣هـ من كريمة آية الله السيد الميرزا محمد هادي الخراساني الحائري.

ولما رأى والده منه من الاتقان في الدروس، وقد علا ذكره بين أهله وذويه وأقرانه أشار عليه بالهجرة إلى النجف الأشرف.

ثم أردف صاحب الذريعة قائلاً:

هاجر السيد الجلالي إلى النجف سنة ١٣٤٧هـ وهو في السابعة عشرة من عمره فأكب على دراسة علوم أهل البيت عليهم السلام فقهاً وأصولاً وحديثاً، وهناك تتلمذ على جملة من المراجع والأساتذة منهم:

١- السيد صدر الدين البادكوبي.
٢- السيد جمال الدين الكلبايكاني.
٣- الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.
٤- الشيخ ضياء الدين العراقي.
٥- الشيخ ميرزا حسين النائيني.
٦- السيد أبو الحسن الأصفهاني[٥].

عاد بعده إلى كربلاء سنة ١٣٦١هـ لمواصلة دراسته، وكان والده المقدس السيد علي مرشده ومشوّقهُ في دراسته، وقام في التحصيل على قدم وساق حتى أكمل دروس المقدمات، وطفق يدرس على كل من:

١- الإمام السيد محمد هادي الحسيني الخراساني.
٢- المجتهد الأكبر السيد مهدي الحسيني الشيرازي.
٣- المجتهد الأكبر السيد محمد هادي الميلاني[٦].

إمامته وتدريسه:

قام السيد الجلالي بمهمة الإمامة في الحرمين الشريفين الحسيني والعباسي بكربلاء المقدسة، فكان يؤدي صلاة الصبح

في حرم سيدنا الحسين عليه السلام ويقضي وقتاً كثيراً في قضاء حوائج الناس وحل مشاكلهم. وفي أثناء ذلك استقل منذ حلوله كربلاء بتدريس السطوح في مدرسة حسن خان ومدرسة البقعة ومدرسة الحسنية، فأصبح من مشاهير المدرسين، وكان يقضي ساعات عديدة في إلقاء المحاضرات في الفقه والأصول والكلام على طلاب الحوزة العلمية ورجال الدين طوال خمس وثلاثين عاماً، وقد تسنم كثير منهم مراكز علمية وإرشادية يبثون منها الخير والهداية[٧]. أما المواد التي كان يقوم بتدريسها في الفقه، اللمعة، الشرائع، المكاسب.

مصنفاته:

خلّف السيد الجلالي ثروة علمية قيمة في شتى فروع المعرفة من فلسفة وفقه وأصول وتاريخ، وعلى سبيل المثال نذكر أهمها:

١ـ حقيقة التناسخ وإبطاله ـ في الفلسفة
٢ـ المنتخب من الأحاديث والخطب.
٣ـ مصباح الهدى في أصول دين المصطفى.
٤ـ تعليقة على الكفاية ـ في أصول الفقه
٥ـ تعليقهعلى قوانين الأصول.
٦ـ أفادات وأفاضات ـ مطبوع.
٧ـ تنبيه الأمة إلى أحاديث الأئمة[٨].

أولاده:

له خمسة أولاد هم:

١ـ الحجة المفضال السيد محمد تقي الجلالي.
٢ـ العلامة الجليل السيد محمد حسين الجلالي.
٣ـ الأستاذ العلامة السيد محمد رضا الجلالي.
٤ـ السيد الخطيب السيد محمد الجلالي.
٥ـ العلامة السيد محمد جواد الجلالي.

رحيله:

وافاه الأجل المحتوم فجر يوم السبت ٢٠ صفر سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٣ في كربلاء المقدسة، وجرى له تشييع حافل يليق بمنزلته العلمية، وبوصيةٍمنه طلب الدفن في النجف بجوار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فدفن في الصحن العلوي قرب مدخل الساباط من الجهة الشمالية حسب وصيته، وأقيمت له عدة فواتح[٩] في داخل العراق وخارجه.

الحفل التأبيني:

نشرت الهيئة العلمية في كربلاء خبر الحفلة التأبينية الكبرى لرحيل المرحوم المقدس حجة الإسلام آية الله الورع التقي الحاج السيد محسن الحسيني الجلالي (قده) وذلك عصر الخميس ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٩٦هـ الموافق ٢٥آذار ١٩٧٦م[١٠] وقد أبّنه عدد من العلماء والخطباء والشعراء والأساتذة من بغداد وكربلاء والنجف والحلة وغيرها.

---

(١) مجلة ينابيع عدد (٥١) [رجب، شعبان ١٤٣٤هـ/ آيار، حزيران ٢٠١٣م، ص٩٦]
(٢) ذكرى آية الله الجلالي ـ لجنة التأبين ص٢٠ .
(٣) نقباء البشر اغا بزرك الطهراني ج٤ص١٥٠٠.
(٤) نقباء البشر ـ ص١٥٠٠.
(٥) ذكرى آية الله الجلالي ص٣٥ .
(٦) ذكرى آية الله الجلالي ص٣٣ .
(٧) ذكرى الأربعين لفقيد الأربعين ـ اعداد لجنة التأبين ص٧.
(٨) ذكرى آية الله الجلالي ص٧٩.
(٩) ناعية الطف السيد حيدر الحلي، الشيخ عبدالجبار الساعدي ص٦و٩.
(١٠) ذكرى الأربعين لفقيد الأربعين ص١٠.

الشيخ صادق القاموسي

(١٣٢٨ ـ ١٤٢٣هـ)

الشيخ حميد البغدادي •
أستاذ في الحوزة العلمية

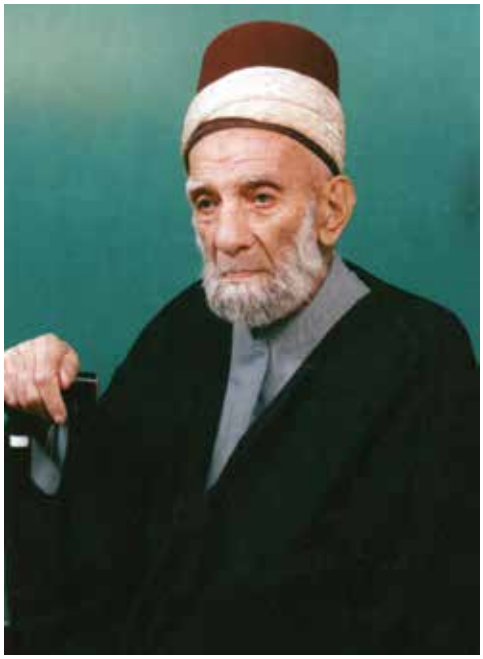

ينابيع: الشيخ صادق بن الشيخ محمد باقر بن محمد القاموسي[1] من العلماء الأفاضل، عرف بالورع والتقوى وحسن الخلق. شاعر مبدع.

مولده:

ولد أول ذي القعدة سنة ١٣٢٨هـ.

دراسته وأساتذته

حضر دروس مشاهير الفقهاء والعلماء الأصوليين، نذكر منهم:

١ـ السيد عبد الكريم علي خان المدني (١٣٢١ ـ ١٤١١هـ).

٢ـ السيد محمد هادي الميلاني (١٣١٣ ـ ١٣٩٥ هـ).

٣ـ السيد محسن الحكيم (١٣٠٦ـ١٣٩٠هـ).

الشيخ الميرزا جواد التبريزي قدس سره يؤدي الصلاة على جنازة الشيخ صادق القاموسي قدس سره في قم المقدسة ويبدو في الصورة مجموعة من الفضلاء

٤- الشيخ حسين الحلي(١٣٠٩ - ١٣٩٤هـ).

درسه و تلامذته:

وقد مارس التدريس لسنوات عديدة في الحوزة العلمية وفي كلية منتدى النشر قبل تأسيس كلية الفقه حيث حضر دروسه العديد من الأساتذة الأفاضل في الحوزة العلمية، ومن تلامذته:

١- الشيخ هادي آل راضي.

٢- السيد محمد باقر السيد محمد صادق الحكيم.

٣- السيد صادق السيد يوسف الحكيم.

واشترك في كتابة تفسير للقرآن الشريف مع جماعة من أقرانه، كالسيد يوسف الحكيم والسيد محمد علي الحكيم والشيخ محمد رضا المظفر، كما واشترك مع أقرانه المتقدمين الذكر مع السيد محمد حسين الحكيم والسيد محمد تقي الحكيم في التعليقة على كتاب الكافي، كمراجعة أسانيده وتصحيحه ونحو ذلك، وقد كتب بنفسه المقتل كما كتب عن بقية الأئمة عليهم السلام في مناسباتهم.

كان موسوعة لا يستهان بها في الأدب والشعر، وكان يتعاطى الشعر الولائي والإخوانيات والرثاء.

مجلسه:

كان له رحمه الله مجلس عزاء عبارة عن مدرسة علمية وأدبية يحضرها أعلام

النجف، كالشيخ العراقي والشيخ الاصفهاني والسيد الحكيم وأخيه السيد محمود الحكيم والشيخ الحلي والشيخ جواد الجواهري والسيد رضا الهندي والشيخ محمد حسن المظفر وإخوته الشيخ محمد حسين المظفر والشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد حسن البغدادي والسيد حسن البجنوردي والشيخ عبد الحسين الحلي والسيد سعيد الحكيم والشيخ محمد طاهر الشيخ راضي والسيد حسن الحكيم والشيخ عباس الرميثي والسيد محمد تقي بحر العلوم والسيد يوسف الحكيم والسيد محمد علي الحكيم والسيد محمد حسين الحكيم والسيد محمد تقي الحكيم والسيد محمد سعيد الحكيم وأمثالهم.

وكان الشيخ الحلي من الملازمين للمجلس مدة طويلة جداً، وكثيراً ما كان الشيخ القاموسي رحمه الله يستفيد من كتاباته وملاحظاته العلمية.

وكان مجلسه استمراراً لمجلس والده في ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام ومناسباتهم وكان الشيخ القاموسي رحمه الله يقرأ المقتل بنفسه يوم عاشوراء.

وكان قدس سره ـ مضافاً إلى مقامه العلمي ـ موسوعة أدبية وتاريخية وقدوة في الأخلاق والتذكير بالله جل شأنه والتنبيه لعبر الدنيا وعظاتها.

العمل الحر:

يذكر أن سماحة الشيخ رحمه الله كان يمارس العمل الحر في محله في السوق الكبير في النجف الأشرف إضافة لمواصلته الدراسة في الحوزة العلمية فكان رحمه الله نموذجاً يقتدى به في الأخلاق والعلم والعمل.

وفاته:

انتقل إلى رحمة الله تعالى في مدينة قم المقدسة عن عمر يناهز الخامسة والتسعين قضاها في خدمة الدين الحنيف ومذهب أهل البيت عليهم السلام يوم السبت ١٧ / شهر رمضان المبارك/ ١٤٢٣هـ ،وشيع جثمانه الشريف يوم الثلاثاء ٢٠ / شهر رمضان المبارك/ ١٤٢٣هـ في مدينة قم المقدسة وقد صلى عليه سماحة آية الله العظمى الشيخ جواد التبريزي دام ظله.

من المصادر

(١) مجلة الفرات، العدد التاسع عشر.

(٢) المدفونين في الصحن العلوي الشريف – كاظم عبود الفتلاوي- ط١-ص ٢٥٥.

(٣) لمحة موجزة من حياة سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم (دام ظله).

مفارقة ومقارنة

قال نصر الله بن مُجَلِّي ـ وكان من الثقات أهل السنّة ـ رأيت في المنام علي بـــن أبي طالب رضي الله عنه فقلتُ له: يا أميـــر المؤمنين تفتحون مكة فتقولون: مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ، ثم يتمّ على وَلَدِكَ الحسين يوم الطفّ ما تمَّ؟!

فقال: أما سمعتَ أبيات ابن الصيفي في هذا؟ فقلت: لا، فقال: اسمعها منه.

فلما اســتيقظت بادرتُ إلى دار الحيص بيص (ابـــن الصيفي) فخرج إليّ فذكرتُ له الرؤيا فأجهش بالبكاء وحلَف بالله أنّه ما سمعها منه أحد وأنّه نظمها في ليلته هذه ثم أنشدني:

مَلَكْنـــا فـــكان العفوُ منّا ســـجيَّةً ... فلـــما ملكتُم ســـالَ بالـــدَّمِ أبطحُ
وحلَّلْتُـــم قتلَ الأُســـارى وطالما ... غَدَوْنا عن الأسرى نَعِفّ ونصفَحُ
فحســـبُكمُ هـــذا التفـــاوتُ بيننا ... وكلُّ إنـــاء بالـــذي فيـــه ينضحُ

وللحيص بيص ديوان شعر مطبوع، توفّي ببغداد سنة ٥٧٤هـ، ودفن بمقابر قريش.

وفيات الأعيان: ٢/ ٣٦٤

العفاف

زينة الأشراف

أ. م. د. مهين حاجي زاده ●
جامعة الشهيد مدني الأذربيجانية/ تبريز ــ إيران

ينابيع

العفة والحياء خصلتان لا ينال منهما التأريخ، فقد آمنت بهما الإنسانية جمعاء منذ البدء حتى الآن، ما حرصت عليهما الأديان السماوية جميعاً، ودعت للالتزام بهما الشخصيات البارزة على مرّ التاريخ، ولا غرو فإن هاتين الخصلتين الإنسانيتين تؤلفان بُعداً من أبعاد فلسفة السّتر الإنساني.

إن للعفاف من منظور الفكر الإسلامي مفهومين أحدهما له علاقة بالباطن والآخر بالظاهر، فمن ناحية الباطن يعد العفاف حالة نفسية للسيطرة على الشهوة وضبطها، أما من جهة الظاهر فهو علامات ودلالات تظهر في السلوك والقول لتشير إلى الحالة الداخلية التي ينطوي عليها الإنسان العفيف.

إذن لا يخفى الإسلام انحيازه إلى هذه الخصلة الإنسانية، وهو يدعو المرأة والرجل لرعايتها على السواء بلوغاً لحالة المال وتحقيقاً للفضيلة. وتفضي رعاية العفة في القول والسلوك إلى حفظ الفرد والمجتمع والأسرة وبقائها سليمة معافاة.

العفاف

المعنى اللغوي: العَفاف بفتح العين من العفة، وهو: (حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة)[1]. أو هو:(كف عن الشيء، أي امتنع عنه، فهو عفيف)[2]. وأيضا:(الكف عما لا يحل ولا يجمل)[3]وكذلك قالوا :(عف الرجل: كفّ عما لا يحلّ ولا يجمل، قولًا أو فعلًا وامتنع)[4]

فأساس العفاف، إذن، هو الكف والامتناع، من دون أن يتضمن المعنى اللغوي الاختصاص بجنس معين، كالمرأة مثلًا دون الرجل.

المعنى الاصطلاحي

العفاف، في منظومة الفكر الإسلامي، مصطلح له مداليل معنوية خاصة منبثقة

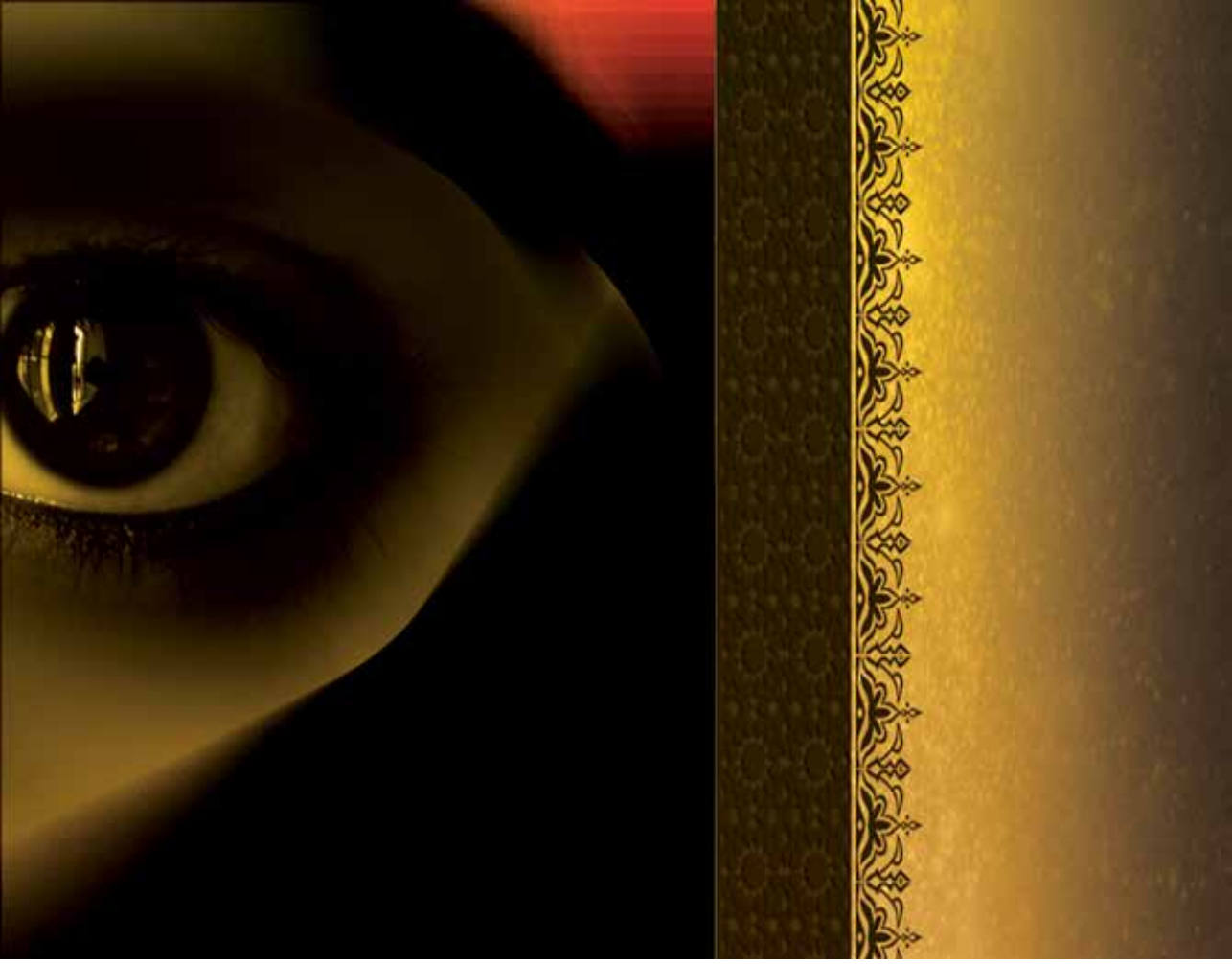

من الآيات والروايات، ومن ثم فهو تعبير عن حالة تترافق مع نسق خاص في القول والسلوك.

العلاقة بين الحجاب والعفاف

يرتبط العفاف، بدلائل سلوكية، فلا معنى لوجوده من دون وجود تلك الدلائل والعلامات، ومن ثم لا سبيل الى حفظ العفاف من دون الالتزام بتلك الدلائل ورعاية تلك العلامات. فالعفة ليست أمرًا داخليًا وباطنيًا صرفًا، بحيث لا تكون لها

علامة تدل عليها في الخارج

عند النظر إلى المفهوم، من خلال أفق الحياة الانسانية، يلحظ أن جزءًا من الاختلاف، في دلالات العفة بين المرأة والرجل، يعود إلى التفاوت الموجود في الخلقة بين الاثنين، وأن الحجاب هو أحد علامات العفاف، حيث لا يمكن تصور العفاف من دون الحجاب. إن المرأة أو الرجل، اللذين يظهران عاريين أو نصف عاريين أمام النظار، لا يستحقان وصف العفة، ولا يمكن نعتهما بـ(العفاف)، هذا على الرغم من أن الاختلاف في ضروب السلوك الإنساني والحيواني لها مناشىء في اختلاف الفطرة والخلقة من جهة، وفي الميول والأنماط السلوكية من جهة أخرى. وفي المنظار السلوكي الإسلامي يعد

الحجاب الإسلامي إحدى الدلالات البارزة للعفاف[٥]. وفي الحقيقة إن (الحجاب) هو دلالة لا محيص عنها على (العفاف)، وهو علامة العفاف.

ينبغي الحفاظ على العفاف بوصفه خصلة إنسانية خاصة، وإنه أبرز أبعاد الفلسفة المعنوية للستر والحجاب بين الأمم والشعوب، وعلى صعيد الأديان والحضارات يتمثل في حفظ الخصلة الإنسانية المتمثلة بالعفة والحياء.

يمنع الإسلام النظرات المريبة غير الشرعية، ويوصي المؤمنين من النساء والرجال بغض النظر ويدعوهم إلى النظرة العفيفة، يقول اللّه سبحانه وتعالى: **(قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)** (النور:٣٠) **(وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ)** (النور:٣١)

السكينة الروحية للفرد والمجتمع (الصحة النفسية)

يمكن الحفاظ، من خلال العفاف، على المواهب والحؤول دون هدر الطاقات وتضييع الإمكانات ، وبالعفاف تتم صيانة المثل والقيم، ويصار إلى إعلائها، فمثلاً إن (حصر اللذة الجنسية، من منظور الإسلام، في النطاق العائلي وممارستها من خلال الزيجات المشروعة، يسهم في إرساء الصحة النفسية للمجتمع ويساعد عليها من زاوية روحية)[٦]. في المقابل، يقود التبرج إلى ضرب مرتكزات استقرار الأسرة والمجتمع، ويفضي إلى إشعال فتيل الاضطراب. بينما تفضي رعاية العفة في القول والسلوك إلى حفظ الأسرة وبقائها سليمة معافاة. كما أن مراعاة العفاف من جانب النساء أمام الرّجال و غض البَصر من جانب الرّجال إحدى الطرق الهامة لمنعهما من ارتاب الجرائم التي تفرّق شمل الأسرة.

ما روي في العفاف:

رويت أحاديث كثيرة تمدح العفاف وتحفز عليه، وإنه من أنبل الصفات وأرقاها، وسنكتفي بهذه :

عن أمير المؤمنين عليه السلام : (عليك بالعفاف فإنّه أفضل شِيَم الأشراف) [٧]

وعنه عليه السلام: (العفة تضعف الشهوة) [٨] .

عن جعفر بن محمد(عليهم السلام) ،قال:(أفضل العبادة العفاف)[٩].

أما فيما يخص العفة في المرأة وجمالها، فيقول الإمام علي(ع): (زاة الجمال العفاف)[١٠]

٧- العفاف في القرآن

ذكر القرآن الكريم (العفاف)، باشتقاقات مختلفة في أربع سور، هي:

١- سورة البقرة، الآية:٢٧٣، حيث قوله سبحانه:(**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**). العفاف في هذه الآية ضرب من السلوك ينم عن السمو والرفعة، ويومي إلى كف النفس والامتناع عن مد يد الحاجة إلى الآخرين عن عزة نفس.

٢- سورة النساء، الآية: ٦ التي تهذب التصرف بأموال اليتامى، وهي تسجل إحدى هذه الحالات: (**وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ**)، فقد اطلق وصف العفاف على الكف والامتناع في هذه الآية أيضا.

٣- سورة النور، الآية: ٣٣، حيث قوله سبحانه: (**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ**). فاستخدم (الاستعفاف) هنا بمعنى كبح جماح القوة الجنسية والسيطرة عليها.

٤- سورة النور، الآية: ٦٠، حيث قوله سبحانه: (**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ، وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**). فقد أوصت النساء المسنات بالعفاف وعدم التبرج فساوقت العفاف بـ (الحجاب).

إذن، العفاف هو مطلق الكف والامتناع كما يتضح من الاستعمال القرآني في الآيات المذكورة، إذ تراه يشمل أيضًا التعفف في المضمار الاقتصادي والمالي.

على ضوء ذلك كله، سيكون السؤال: هل العفاف هو حالة باطنية نفسية محضة، ما يعني أن لا علاقة له بالصيغة التي تتمظهر فيها هذه الحالة خارجيًا، ولا صلة تربطه بالشكل الذي تكتسبه اجتماعيًا؟

لا يقر القرآن الكريم مثل هذه الرؤية، بل هناك تركيز على الصيغة الادائية والتعبيرية للحالة، تومىء الى الاهمية التي يوليها لكيفية تجلي العفاف.

هذه الدلالة المزدوجة التي تعطي للعفاف معنى يشمل الكف والامتناع، ويبرز على مستوى المظاهر السلوكية والقولية، لها ما يؤيدها في الروايات الإسلامية.

تؤكد آية العفاف على الرجال أولًا، فتقول :(**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**)(النور:٣٠)

ثم تعطف على النساء لتأمرهن بالعفاف، فتقول :(**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**)(النور:٣١)

من الملاحظ أن الآيات تقدم غضّ البصر على حفظ الفرج لأنَّ النظر بريد الزنا، ورائد الفجور والبلوى، وهو الباب الأكبر إلى القلب وأول طرق الحواس.

وذكر تعالى حكم المؤمنات تساويهنَّ مع الرجال في الغض من الأبصار، و في حفظ الفرج. قال بعض الأدباء:

وَ ما الحُبُّ الاّ نظرَةٌ إثرَ نظرَة
تزيدُ نُموّاً إن تَــزدهُ لَجاجا[١٢]

وأردف أمر المؤمنين بأمر المؤمنات لأنَّ الحكمة في الأمرين واحدة، وتصريحًا بما تقرر في أوامر الشريعة المخاطب بها الرجال من أنها تشمل النساء أيضاً. ولكنه لما كان هذا الأمر قد يظن أنّه خاص بالرجال لأنهم أكثر ارتكابًا لضده وقع النص على هذا الشمول يأمر النساء بذلك أيضاً وانتقل من ذلك إلىنهي النساء عن أشياء عرف منهنَّ التساهل فيها ونهيهن عن إظهار أشياء تعوّدن أن يحببن ظهورها، وجمعها القرآن في لفظ (الزينة) بقوله: (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)(النور :٣١). و الزينة: ما يحصل به الزين. و الزين: الحُسن، مصدر زانة.

---

(١) معجم مفردات القرآن/ الراغب الأصفهاني ص٣٥٠
(٢) مجمع البحرين/ فخرالدين الطريحي ج٥ ص١٠١
(٣) لسان العرب /ابن منظور ج٩ ص٢٥٣
(٤) أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد/ الشرتوني ج٢ص٨٠٣
(٥) التعليم والتربية في الاسلام/مرتضى مطهري ص١٠٦
(٦) مسألة الحجاب/مرتضى مطهري ص ٨٣
(٧) مستدرك الوسائل / النوري ج١١ص٢٧٤
(٨) غرر الحكم ودرر الكلم / عبد الواحد الآمدي ج ١ ص ١٠٢
(٩) مستدرك الوسائل /النوري ج١١ص٢٧٥
(١٠) غرر الحكم ودرر الكلم /عبد الواحد الآمدي ج ١
(١١) تفسير البحر المحيط/ أبي حيان الأندلسي ج٦ص ٤١١

أثر الأخلاق القرآنية

في صناعة المجتمع الإسلامي

فاطمة هاشم الميري •
الحجاز/ القطيف

ينابيع

معلوم أن العلاقات الاجتماعية تخضع لعوامل شتى واتجاهات متعددة، وتنطلق من أسس متفاوتة المصادر والمنابع وظروف مختلفة الملامح والأشكال، فتتحكم فيها منازع الكائنات الحية المتنافرة، وتصوغها رغبات الأنواع والأجناس، وتوجهها ميول الأفراد يميناً أو شمالاً، وتطبعها الجماعات بطابعها الذي ترى فيه أنه يعود عليها بفائدة، أو يمدها بأسباب البقاء، فيحميها من عوامل العناء والهلاك، ومن هنا يميل الباحثون في علم الأنثروبولوجيا إلى الاعتقاد بأن الصراع بين الكائنات الحية هو قانون الحياة، فلا يُكتب البقاء إلا لمن يتغلب على من حوله، فالبقاء للأقوى، كما أن عملية الصراع بين هذه الكائنات الحية هي ديناميكية التطور.

أثرّ هذا المفهوم للعلاقات بين الكائنات الحية على فكر بعض المجموعات البشرية، فاعتنقت مبدأ التفوق بين الأجناس البشرية، ففضلت جنساً على آخر في الحقوق والمعاملات، وكذلك في التقييم الإنساني، وكان من جراء ذلك أن ظهرت بين الناس صور من المعاملات لا تتفق مع ما تتطلبه واقعية الانتماء إلى جنس واحد هو أصل للناس جميعاً، إذ شاعت بين بعض شعوبهم نعرة استعلاء شعوب على أخرى، وسيطرت على أذهانهم عقيدة التفاضل بين المجموعات البشرية، على أساس اللون أو البيئة أو العقيدة، واتخذ سلوكهم مسار استئثار الأفضل بكل أنواع الخيرات الموجودة على ظهر الأرض، بحيث لا يترك لمن هو أدنى في البشرية إلا ما يسد به رمقه، أو ما يحفظ عليه حياته، في حدود ما يؤدي لمن هو

فوقه من خدمات.

وبهذا ضاعت ملامح العلاقات الإنسانية، وتلاشت عاطفة الأخوة بين الناس، فأصبحت نفس الإنسان تلهث وراء المادة، وتجري وراء الشهوات الجسدية، حتى أصبح المجتمع البشري أشبه بغابة يتحكم فيها القوي، ويسود فيها كل مَن تجرد من المعاني السامية، وتعرى من كل أردية الشرف والفضيلة، (ولازم ذلك ابتعاد المجتمع الذي شأنه ذلك بما يوافق هواه من رذائل الشهوة والغضب فيستحسن كثيراً مما كان يستقبحه الدين، وأن يسترسل باللعب بفضائل الأخلاق والمعارف العالية مستظهراً بالحرية القانوني وبما أن الإنسان مخلوق اجتماعي، مفطور على العيش مع الآخرين، يشاطرهم تكاليف الحياة ويتبادل معهم المصالح والمنافع، ويتعاون معهم لتحقيقها، وبذلك تنشأ بين الناس علاقات دائمة، فيشكلون تجمعاً إنسانياً واحداً، فإذا انسجمت أفكارهم وتوحدت مشاعرهم، واتفقوا على قوانين ومبادئ القرآن المجيد في تنظيم شؤون حياتهم، فإنهم بذلك يصبحون مجتمعاً قرآنياً.

فالمجتمع الإسلامي: هو مجموعة من الناس تقوم بينهم علاقات دائمة ومصالح مشتركة، بسبب تأثير الأفكار والمشاعر والقوانين القرآنية التي تتفاعل بينها، وتوجهها القيادة المجتمعة بدلالة العقيدة الإسلامية نحو غاية كلية نهائية هي مرضاة الله تعالى[1].

وقد أسهمت أمور كثيرة في البناء الاجتماعي وتنمية الروح الإنسانية لدى الإنسان، منها ما هو مباشر ومنها غير مباشر، كان منها الجانب العبادي فـ (ما

أعمال العبادات التي شُرعت لتربية هذا الروح الخُلقي المثالي، ومتى تربى هذه الروح تربية إسلامية قرآنية، هان على صاحبه القيام بسائر التكاليف الأدبية والاجتماعية التي يصل بها إلى تحقيق أمنية الحكماء والعلماء إلى المدينة الفاضلة)[٢] التي تتماسك فيها (لبنات المجتمع الإسلامي، ويشتد بنيانه، وتتحقق بين المسلمين العدالة، حين يحتكمون إلى قوانين الإسلام وأنظمته، مما يجعل سلوكهم في جميع ديارهم سلوكاً فاضلاً كريماً، يتميز عن سلوك غيرهم من الأمم والشعوب)[٣]. وكان كذلك من القرآن الكريم في منهجه القويم في بناء المجتمع والأسرة أن عمد إلى إلغاء كل امتياز إلا امتياز العقيدة فـ (بنى الاجتماع على العقيدة دون الجنسية والقومية والوطن ونحو ذلك، حتى في مثل الزوجية والقرابة في الاستمتاع والميراث فانّ المدار فيهما على الاشتراك في التوحيد لا المنزل والوطن مثلاً)[٤]، مما يكفل لهم بهذا البناء الاجتماعي السعادة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[٥]، فالهدف الرئيس لخلق الإنسان إذن أن يعيش مع أخيه الإنسان، وأن ينافسه في مجال الخير والعطاء للناس جميعاً.

فكثرة الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الأخلاق – إقرار بالجيد منها، ومدح للمتصفين بها، ومع المدح: الثواب، ونهياً عن الرديء منها وذم المتصفين به ومع الذم: العقاب – تدل على أهميتها، ومما يزيد في هذه الأهمية أن هذه الآيات منها ما نزل في مكة قبل الهجرة، ومنها ما نزل في المدينة بعد الهجرة، مما يدل على أن الأخلاق أمر مهم جداً لا يستغني عنه المسلم، وإن مراعاة الأخلاق تلزم الإنسان المسلم في جميع أحواله، فهي تشبه أمور العقيدة من جهة عناية القرآن بها في سوره المكية والمدنية على حد سواء[٦]. وذلك مما نلحظه في قوله تعالى: (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**)[٧].

ويؤكد أهمية البناء الأخلاقي في القرآن الكريم ورتبته السامقة السيد محمد باقر الحكيم(ت١٤٢٤هـ) في قوله: (لا يخفى أن مبادئ القيم التوحيدية والأخلاق الإلهية تمثّل القاعدة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الإنساني بعد العقيدة في الرسالة الإسلامية، ولذلك جاء الحديث في القرآن الكريم عن التزكية والتطهير في عدة مواضع... وأن تكامل الإنسان في حياته الدنيوية والأخروية إنما يتحقق من خلال الأخلاق الفاضلة، فهي أساس للشريعة، بمعنى أنها تكون منطلقاً، كما أنها هدف للشريعة يراد تحقيقه من خلالها)[٨].

ونظرة الأخلاق في الإسلام ليست نظرة عنصرية وإنما هي نظرة شاملة عامة، كما أن من شمول الأخلاق الإسلامية أنها تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره، سواء كان الغير فرداً أم جماعة، إذ لا انفصال في هذا المجتمع بين العلم والأخلاق، ولا بين الفن والأخلاق، ولا بين الاقتصاد والأخلاق، ولا بين السياسة والأخلاق، ولا بين الحرب والأخلاق، وإنما الأخلاق عنصر يهيمن على شؤون الحياة وتصرفاتها، صغيرها

وكبيرها، فرديها وجماعيها[٩].

وشمول الأخلاق الإسلامية بهذا المعنى يعد – فوق أنه خصيصة دينية – خصيصة حضارية راقية. ولذلك يقول غوستاف لوبون - وهو يعد شمول الأخلاق لوناً راقياً من ألوان الحضارة -: (وكانت أخلاق العرب في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة، ولا سيما الأمم النصرانية، وكان عدلهم واعتدالهم ورأفتهم وتسامحهم نحو الأمم المغلوبة، ووفاؤهم بعهودهم ونبل طبائعهم، مما يستوقف النظر ويناقض سلوك الأمم الأخرى، ولاسيما الأمم الأوربية أيام الحروب الصليبية)[١٠].

ومن المعاني البارزة في الجانب الأخلاقي في الإسلام أن النبيﷺ حينما دعا إلى محاسن الأخلاق بين أنه قد سبقه في الدعوة إلى مكارم الأخلاق جمع من الرسل الكرام، وأن أصل الدعوة القرآنية هي البناء الاجتماعي الأخلاقي، وهذا هو الواضح في قولهﷺ: (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١١].

وهذه المكارم الأخلاقية هي تشريعات قانونية إلزامية تنظم العلاقات، وتصون الحقوق وتقيم العدل، وهذه الناحية هي المعروفة في الإسلام باسم (المعاملات) وتشمل ما يتعلق بشؤون الأسرة، وما يتعلق بالأموال، وما يتعلق بالعقوبات، وما يتعلق بالجماعة الإسلامية وعلاقتها بغيرها، ويمكن أن نقول إن التشريعات الإسلامية جاءت لضبط الحياة الفردية والأسرية، والاجتماعية والدولية، تشريعات ربانية: أعني في أسسها، ومبادئها، وأحكامها الأساسية، التي أراد الله أن ينظم بها سير القافلة البشرية، ويقيم العلاقات بين أفرادها وجماعاتها على أمتن القواعد، وأعدل المبادئ، بعيداً عن قصور البشر، وتصرفات البشر، وأهواء البشر، وتناقضات البشر.

ومن ثم يهدف التشريع إلى معالجة مشاكل الناس وتنظيم العلاقات بنحو يبعد التصادم بين الناس المختلفة على أساس العدل والمتمثل بإعطاء كل ذي حق حقه، ووضع الأمور في نصابها الصحيح.

---

(١) ظ: عبد القادر هاشم رمزي، في فلسفة الدراسات الاجتماعية والتربوية، دار البازوري، عمان، ١٩٩٩م، ص٢٤٦.

(٢) د. حسين ابراهيم الحاج حسن، الروابط الاجتماعية في الإسلام، دار المرتضى، بيروت، ١٩٩٥، ص٢٢ .

(٣) د. عبد المجيد محمد الاقطش وآخر، في السياسة الشرعية، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٠م، ص٤٣ .

(٤) مرتضى المطهري، المجتمع والتاريخ، تعريب: محمد علي آذرشب، رابطة أهل البيت(D) الإسلامية العالمية، سوريا، (دت)، ص٤١، ظ: سعيد حوى، الإسلام، ص٥٧ ص٢٨٦، محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص١١٤.

(٥) سورة الحجرات، ١٣ .

(٦) ظ: د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص٧٨. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٨١.

(٧) سورة الجمعة، الآية ٢.

(٨) المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، ص٣٧٨.

(٩) ظ: محمد جواد مغنية، فلسفة الأخلاق في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ص٧٥.

(١٠) حضارة العرب، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص٤٣٠.

(١١) احمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣٨١/٢.

المعروف
في العلاقات الاجتماعية

د. وفقان الكعبي •
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

المعروف لغة : عرفت الشيء معرفة وعرفانًا. وأمر عارف، معروف، عريف. والعرف : المعروف.[1] قال النابغة:

أبى الله إلا عدله وقضاءه * فلا النكر معروف ولا العرف ضائع[2]

كما قال الراغب: (اسم لكل فعل يُعرَف بالعقل أو الشرع حسنه)[3]

المعروف :هو فعل الخير وإسداؤه للعباد، سواء كان هذا الخير مالاً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون، أو جاهاً كما في الإصلاح بين المتهاجرين والشفعة وبذل الجاه، أو علماً، أو سائر المصالح التي يحتاجها الناس، كحسن المعاملة وإماطة الأذى وعيادة المرضى.

ومن النصوص التي أشارت إلى تنوع هذه العبادة قول النبي صلى الله عليه وآله فيما رواه أبو ذر قال: (قلت: يا رسول الله ذهب الأغنياء بالأجر يُصَلُّون ويصومون ويحجُّون! قال ((وأنتم تُصَلُّون وتصومون وتحجُّون) قلت: يتصدقون ولا نتصدق؟

قال:(وأنت فيك صدقة، رفعك العظم عن الطريق صدقة، وهدايتك الطريق صدقة، وعونك الضعيف بفضل قوتك صدقة.)[4]

المعروف والعلاقات الزوجية

نَظَّمَ المشرع الإسلامي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة علاقة الزوج والزوجة، اللبنة الأولى في تكون الأسرة، على علاقة المعروف وإلاحسان والعفو بين الطرفين.ويمكن أن نختصر كل ذلك بنقاط مهمة وهي :

١- مبدأ تكافؤ الحقوق:يرى المشرع القانوني أنَّ هناك مبدأ وأساسًا يُرسَم في كل العلاقات بين الأطراف، هو احترام الحقوق المتبادلة بين الجانبين.

قال تعالى: (...**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**..)(سورة البقرة:٢٢٨) للزوجة

وكل امرأة حق لها وحق عليها تأديه لوليها. فالحقوق المتبادلة بين الزوجين في الحياة الزوجيــة منذ بدء العقــد وحتى لو فرض الطلاق بينهما،فالزوجات المطلقات في هذه الحالة عليهن من الحقوق والواجبات:

ـ العــدة، التكليف بالتربص والانتظار مــدة العدة ثلاثة أشــهر والالتــزام بذلك بحدوده الشريعة.

ـ عدم كتمان الحمل والأطفال وانتهاء العدة وغيرها.

أما الزوج فمكلــف بالالتفات إلى أداء الحقوق عليه للزوجة المطلقة:

ـ نية الرجوع بها.

ـ عدم الضرر والإضرار بحقها.

ـ وجــوب النفقة بالســكن والملابس والطعام في زمن العدة.[٥]

كل واحــد منهما ينظــر إنْ أدى الحق الــذي عليه وأعطاه للطــرف الآخر،حتى يطالبــه بالذي له ومــا يدعيه عليه من حق آخر.ومع الاعتراف بالحقوق وأدائها على أساس قانون المعروف.[٦]

ثــم يعالــج مــا يحــدث مــن أمراض ومشــاكل وصعاب في طــرق مقترحات وأســاليب توصــل لحلــول ولرفــع هذا

المرض والإشكاليات جذريًا إذا تتبع ما ينظم القرآن له.الطلاق: بالمعروف، لا بالمحاربة والمشاكسة والمعارك والدعاوى والمنازعات بل هو إعطاء الحقوق كما رسم الشرع الشريف بكون الطلاق أبغض الحلال إلى الله[٧] قال تعالى : (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ..)(سورة البقرة :٢٢٩)

المعروف والجميل والحسنى هو الذي يسود جو الحياة العائلية والأسرية والاجتماعية مع اتصال العلاقة أو انقطاعها،وتبتعد عن نية الإيذاء والاعتداء ولا يكون ذلك فاعلاً بينهما.

النفقة :الواجبة من الزوج على زوجته في المسكن والملبس والمأكل بما يناسب حالها وشأنها، من الجوانب المادية التي هي منشأ المشكلة بين الزوجين غالبا، فقال تعالى: (**وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**)(سورة البقرة:٢٣٣).البقاء في بيت الزوجية أو الطلاق وكل واحد بالمعروف، وقال تعالى:(.**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**)(سورة البقرة:٢٣١)

وقال تعالى (**فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**)(سورة الطلاق:٢)

إتيان حقوق الزوجية: يرتفع التخاصم والتنازع بين الزوجين إذا أوصل كل واحد ما لديه

من حق الآخر سواء كان حقًا ماليًا أو غيره، قال تعالى : (**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ**)(سورة البقرة:٢٣٣ ؛ ٢٤٠)،وقال سبحانه : (**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**)(سورة البقرة:٢٣٤) وبين علماء الفقه[٨] والتفسير[٩] أن لفظ الجناح يأتي لرفع الحق الواجب وغيره ونفيه وعليه شواهد من نصوص الآيات الشريفة.

إعطاء أكثر من الحق : بعد ما فرغ من إيصال الحقوق لأصحابها انتقل إلى مرحلة أخرى، تثبت قانون المعروف وتؤسس إلى تأصيله وهي دفع المتعة للطرف الآخر،أي إعطاء هدية أخرى للزوجة المطلقة التي لم يعين لها مهر ذات الصداق القليل.

وهذا عكس المتعارف في المجتمع من أخذ التجهيزات العائلية وما في غرفتها بل يعطيها ما تتمتع به على حسب المستوى المعاشي للزوج المالي الموسع عليه في ماله والذي ضيق عليه في معاشه كل بقدره،وهذا من المعروف، وهو حكم إلزامي (يجب عليكم أن تمتعوا المطلقات وهو حق لازم)[١٠]

قال تعالى :(**لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ**)(سورة البقرة :٢٣٦)

وقال عز وجل : (..وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)(سورة البقرة /٢٤١) فالحكم عُلِّقَ في الآيتين على الإحسان والتقوى وهو مشعر بالاستحباب لمن كان لها مهر.ويوصي القرآن بكون المتاع بالمعروف استيفاء للمودة الإنسانية بين الزوجين.

ويؤكد القرآن على عدم المواعدة سرًا بين الرجل والمرأة والزوج والزوجة قبل انقضاء مدة عدتها وهذا الخلق السيئ

مجانب لأدب النفس وهو من قلة الحياء من الله الذي جعل العدة فاصلاً بين الوقتين.قبل الزواج وبعده.

المعاشرة الاجتماعية والأسرية بالمعروف: وهنا التفاتة مهمة في الجانب الاجتماعي لبناء الأسرة الإسلامية المتعادلة في الحقوق والواجبات هو المعاشرة بالمعروف.

وهو الشأن والأمر الذي يعرفه كل الناس وفي كل مجتمع بحسبه،ولا يجهله أحد ولا ينكر.قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**) (سورة النساء:١٩) فالمعاشرة المتعارفة وهي تأتي من التعاون والتعاضد بين نوع كل فرد وآخر.فيؤخذ ما يحتاج إليه ويعط ما يراد منه.

وفي هذه الحالة يرى: (القرآن أن الناس جميعًا – رجالاً ونساءً - فروع أصل واحد إنساني،وأجزاء وأبعاض الطبيعة، والمجتمع في تكونه محتاج إلى هؤلاء على حد سواء)[11].فقال تعالى : (**بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ**)(سورة النساء :٢٥)

هذهً الانعطافة المهمة في الظاهر القرآني، تعلق النفس بالله، وتهدىء من فورة الغضب، وتطفئ نيران الكره والغضب، حتى يعاود الإنسان نفسه في هدوء، ولا تصل العلاقة العائلية ريشة في مهب الريح، فلها روابط وعقد والعروة الوثقى، دائمة تربط القلوب بالمودة والحب بالله تعالى.فتكون المعاشرة بالمعروف.

وهنا يلاحظ أن القرآن الكريم يلوح بالمعروف في العلاقات الأسرة ؛لأن صلاحها صلاح المجتمع الإنساني بكامله.

إتيان الأجر حسب المعروف: بعد أن تؤدي المرأة أو الزوجة عملاً، مثلاً ترضع الطفل وتقوم بتربيته تعطى الأجر عليه أو يجرى عقد معها حسب صحة شروطه،وتعطى المهر عليه،وقد عالج القرآن الكريم هذا الحكم المعروف معها في عدة ظواهر قرآنية.

قال تعالى : (**وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ**

بالْمَعْرُوف مُحْصَنَات غَيْرَ مُسَافحَات) (سورة النساء:٢٥)، قال تعالى: (**فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوف**)(سورة الطلاق:٦)

عاد الظاهر القرآني يقرر الحق الآخر للناس وهو دفع الصداق للزوجة فريضة مقابل الاستمتاع بها، من طريق عقد نكاح محلل، فالمهر حق مفروض لا نافلة ولا إحسانًا فهو حق من حقوقها.

فليس للزوج أن يقايض بالمرأة كما هو الحال في الجاهلية قبل الإسلام، وإنما المعاشرة بالإحسان والمعروف والخير.

فالنتيجة : القرآن الكريم أكد الجانب المالي والاقتصادي في حل أغلب المشاكل العائلية التي تنشأ من المنازعات حول هذه الشؤون.

القول المعروف، لقد خاطب القرآن صنفًا من النساء المؤمنات اللائي يتّبعن نهج الرسول ﷺ بأن تكون أقوالهن بالمعروف والحسنى فقال تعالى:(**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَد منَ النِّسَاء إِن اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذي في قَلْبِه مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا**)(سورة الأحزاب:٣٢) فوصف قولهن بالمعروف الذي تتوفر فيه صفات بعينها وهي:

- مستقيم جميل بريء من التهمة.
- يبتعد عن الريبة والخوف من الوقوع في الفتنة والمعصية.
- يوافق حكم الشريعة،والفقه الإسلامي[١٢]

وجاء القول في عدة أدلة شرعية تؤكده وتحث المؤمنين على فعله ومنها: لقد حض الله عز وجل في كثير من الآيات على قول المعروف.

فقال عز من قائل في جانب القول: (**قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفرَةٌ خَيْرٌ منْ صَدَقَة يَتْبَعُهَا أَذًى**)، (سورة البقرة/٢٦٣) وقال: (**فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ**) [محمد: ٢١،٢٠].

وقال في جانب الفعل: (**فَأَمْسكُوهُنَّ بِمَعْرُوف أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوف**)(سورة البقرة: ٢٣١). فالإمساك فعل ببقاء الزوجية.

وقال: (**وَمَنْ كَانَ فَقيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوف**)(النساء: ٦)،التصرف في أموال الأيتام حسب المصلحة.

وقال: (**وَعَاشرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوف**) (النساء: ١٩)،وتقدم بيان المعاشرة بالمعروف للعلاقة الزوجية.

وقال: (**وَأْتَمرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوف**) (الطلاق: ٦).

وأمر نبيه ﷺ أن يأمر بالمعروف كما في قوله تعالى: (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْف**)[سورة الأعراف: ١٩٩]وجعل أمره ﷺ بالمعروف من العلامات التي يعرفه بها أهل الكتاب، قال عز وجل: (**الَّذينَ يَتَّبعُونَ الرَّسُولَ النَّبيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجدُونَهُ مَكْتُوبًا عنْدَهُمْ في التَّوْرَاة وَالإنْجيل يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوف**) (سورة الأعراف: ١٥٧).

ثم أمر المسلمين بما أمر به نبيهم عليه السلام فقال: (**وَلْتَكُنْ منْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْر**

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَر وَأُولَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ)(سورة آل عمران: ١٠٤)، وجعل الأمر به أو الأمر بضده علامة فارقة بين المؤمنين والمنافقين، فقال في حق المؤمنين: {**وَالْمُؤْمنُونَ وَالْمُؤْمنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْليَاءُ**

بَعْـض يَأْمُـرُونَ بِالْمَعْـرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} (سـورة التوبـة:٧١)، وقال على الطـرف الآخر في حـق المنافقين: **(الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَـاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُـرُونَ بِالْمُنْكَـرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ)**(سـورة التوبة: ٦٧)، وأخيراً، جعـل الأمـر بالمعـروف مـن علامات خيرية هـذه الأمة على غيرهـا من الأمم فقال:**(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ)** (سورة آل عمران: ١١٠)

وهذا الذي سـبق -وغيـره كثير- يدل على أهمية قول المعروف وفعله.

لقـد كان النـاس حتـى زمـن ليـس بالبعيـد يبذلـون المعروف ويتسـابقون إليـه ويتنافسـون فيه ويتواصـون به في مـا بينهم، وكان الإقبال عليه من أسـباب المدح والتقدير، بينما الإعراض عنه من أسـباب الذم والقدح؛ فلمـا كثر الناس، واتسع العمران، وتباعدت منازل القوم، وزحفـت القيـم المادية علـى المجتمع، شـح كثير من الناس بالمعروف وزهدوا فيـه، لأن بذله بلا مقابل -فـي نظرهم- غبـن وخسـارة ومضيعة للوقـت، وهذا بلا شـك خطأ فادح، لأن بذل المعروف إن كان بلا مقابل ممن يُحسَـن إليه، فإنه ابتداءً من مـكارم الأخلاق، كما أن أجره عنـد اللّه عظيم وثوابـه جزيل، قال عليه السلام: (كل معروف صدقة)، ومعلوم أن الصدقة بعَشر أمثالها وأن اللّه يضاعف لمن يشاء..

---

(١) العين:١٢١/٢.

(٢) ديوان النابغة :٥٣ ووفاءه.

(٣) المفردات في غريب القرآن:٣٣٤مادة عرف.

(٤) مسـند ابـن حنبـل : ٨ / ١٦٦ / ٢١٧٦٨، الزهـد لابن المبارك : ٤٠٧ / ١١٥٩ ؛السـنن الكبـرى:٨١/٦ ؛ مجمع الزوائـد:١٠٠/١٠ ؛ كنز العمال:٦٤٣/٢ ؛ الدر المنثور:٢٧٤/١.

(٥) ظلال القرآن:٣٦٠/١.

(٦) المبسوط:٤/٦ مقدار النفقة.

(٧) وسائل الشيعة : ٢٥/١٥.

(٨) جواهر الكلام : ١٤/٣٠ ؛ مسالك الإفهام:٨٠/٩.

(٩) مجمع البيان:٢٣١/١.

(١٠)لميزان في تفسير القرآن:٢٥٦/٢.

(١١) الميزان في تفسير القرآن:٢٥٧/٢.

(١٢) انظر: مجمع البيان:١٥٥/٨.

الحركة العلمية والأدبية في النجف الأشرف

روعة حقي إبراهيم •

الحركة العلمية في النجف

كان نزوح الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي من بغداد ودخوله مدينة النجف عام ٤٤٨ هـ الحجر الأساس في الازدهار الذي شهدته هذه المدينة. و(بعد الهجوم على داره ونهب كتبه والذي حصل نتيجة فتنة طائفية أثارها السلجوقيون حينها) جاء اختياره للنجف بديلة عن دار السلام مبنياً على الأسباب التالية:

١- بعد النجف عن مسرح الأحداث والاضطرابات الحاصلة في بغداد.

٢- تمتع النجف بجذور حديثة الولادة لحركة علمية في طور النشوء.

٣- قرب النجف من الكوفة التي كانت تتمتع بقاعدة تشيُّعِيّة متجاوبة مع توجهاته.

أسس الطوسي جامعة النجف العلمية وجامع الحوزة العلمية وجعل من تلك المدينة مدرسة يقصدها طلاب العلم من شتى أنحاء الدنيا بعد أن كانت مدينة ومزاراً[١]

ثمة إشارات أخرى تفيد بأن النجف قد شهدت حركة علمية قبل وصول الشيخ الطوسي إليها.[٢]

تزايد عديد القاصدين لمدينة النجف حتى وصل عدد الحاضرين لمجلس علم الشيخ الطوسي لثلاثمائة عالم خلال عشر سنوات وهي فترة وجيزة.[٣]

الدراسة في حوزة النجف

للحوزة العلمية ما يربو على ٢٢ مدرسة من أبرزها: مدرسة المعتمد، ومدرسة المقداد السُيوري، ومدرسة الصدر الأعظم، ومدرسة الشيخ مهدي كاشف الغطاء، ومدرسة القوّام،ومدرسة القزويني،

ومدرسة الشربياني، ومدارس الخليلي، ومدرسة البادْكُوبي، ومدارس الآخوند، ومدرسة البخاري، ومدارس أخرى كثيرة.

أما عن الدراسة في الحوزة، فتنقسم إلى ثلاثة مراحل: المقدمات والسطوح وبحث الخارج.

تمثل المرحلة الأولى (بمقام الدور الابتدائي) مقدمةً للدخول إلى التخصص في الفقه، وتتم فيها دراسة النحو والصرف والمنطق والبلاغة باتباع الكتب القديمة كشرح قطر الندى لابن هشام وشرح ألفية ابن مالك.

أما المرحلة الثانية (بمقام الدور الإعدادي)، فتعنى بدراسة متون الكتب الفقهية (الفقه الاستدلالي وأصول الفقه). من الكتب التي تدرس في هذه المرحلة: كفاية الأصول ورسائل الشيخ الأنصاري وقوانين الأصول (في أصول الفقه) والمكاسب وشرح اللمعة وشرائع الإسلام (في الفقه الاستدلالي).

تُعدُّ مرحلة المقدمات والسطوح الطالبَ ليصبحَ مجتهداً وهما أشق مرحلتين ولربما يقضي الطالب عشر سنوات من الدراسة أو أكثر ليجتازهما. هنالك الكثير من الطلبة الذين لا يُوفَّقون في اجتياز هاتين المرحلتين فتتوقف دراستهم عندها.

بخصوص المرحلة الثالثة (بحث الخارج) (بمقام الدراسات المتقدمة أو العليا)، فتتم

الدراسة بشكل جماعي في بيت الأستاذ أو في المسجد ويلتف فيها الطلاب حول أحد كبار المجتهدين الذي يلقي عليهم محاضرة -حول موضوع في الفقه أو في الأصول متناولاً إياه بالتفصيل وموضحاً أراء المذاهب الإسلامية وأهم آراء العلماء السابقين - ويناقشها ثم يبدي رأيه ويدلي بإثباته لهذا الرأي. ليست هنالك مناهج معينة تدرس في هذه المرحلة التي يمكن للطالب فيها مراجعة أي كتاب للاستفادة. يعتاد الطلاب في هذه المرحلة على مناقشة الآراء والنظريات والمسائل مناقشة مستفيضة قد تصل لدرجة النِدِّيَّة مع الأستاذ كي يكتسبوا فيها الثقة بأنفسهم وبآرائهم لأنهم سيصبحون (مجتهدين).

تمتاز حوزة النجف بوجود مرجع أعلى للشيعة (كبير المجتهدين) يذعن الجميعبمرجعيته ورئاسته وهو ما تنفرد به تلك الحوزة. لا يعتمد اختيار المرجع على الانتخاب أو التعيين، بل على تبوؤ هذا المنصب بالاعتماد على الكفاءة الفكرية والعلمية والاستقامة وحسن الخلق ويكون هذا التبوؤ بالاقتداء تلقائياً بمجتهد ما -دونما اجتماع أو إجماع مسبق حول ذلك- بغض النظر عن جنسيته.[٤]

إن الدراسة في النجف انفرادية أو جماعية، أي إن للذي يدرس في النجف حرية الانضمام إلى مجموعة (في دراسة السطوح أو الخارج) أو الدراسة بشكل انفرادي (في دراسة السطوح) وهو الأفضل. يكون للتلميذ في هذه الدروس حرية فكرية واسعة تتجلى في دروس مرحلة الخارج أكثر مما هي في دروس مرحلة السطوح و يرجع سبب ذلك إلى طبيعة مرحلة الخارج التي يطرح فيها الأستاذ نظرية ما وتتم مناقشتها أو دحضها.[٥]

بالنسبة للشهادات التي تمنحها جامعة النجف، فهي تختلف في نقطة واحدة: رجعة الطلاب إلى الجامعة أم عدم رجعتهم. بالنسبة للصنف الأول، فتتضمن شهاداتهم إشارة إلى ما يتميزون به وتكون موجهة للمؤمنين أو لأولياء الطلبة يتم فيها تشجيع الطالب للاستمرار في سلك طريق العلم. أما الصنف الثاني، فيحصل الطالب فيها على شهادات من أساتذتهم ومن زعيمهم الديني (المرجع الأعلى) تتضمن اصطلاحات خاصة لا يفهمها إلا القليلون، كما تتضمن درجات حامليها وينوه فيها بما يتميز به الطالب إبان فترة دراسته.[٦]

المرجعية الدينية في النجف الأشرف

تعد مدينة النجف موطن العلم قلعة للمرجعية الدينية. إن الوظيفة الأساسية للمرجعية الدينية هي العمل بما ينسجم وأحكام الشريعة الإسلامية.[٧]

تستند مدرسة آل البيت عليهم السلام والتي تُخَرِّجُ المراجعَ إلى ركيزتين أساسيتين: الأولى هي العلم النافع والثقافة الحقيقية والثانية هي الإخلاص في طلب العلم والمعرفة. واصلت هذه المدرسة العمل بهذا النسق متمثلة بحوزتها العلمية، ومما ساعدها على ذلك هو:

١- استقلالها المادي عن الدولة وعن ذوي النفوذ.

٢-عدم التقيد بنظام أو جدول زمني أو غير ذلك مما يحدد مراحل الدراسة.

٣- حرية الانضمام وإمكانية البروز العلمي بالاعتماد على القدرات العلمية البحتة دونما تدخل من سلطة عليا أو غير ذلك.

لذلك، تميزت الحوزات العلمية نتيجة لتلك النقاط المذكورة عن المؤسسات الدينية لباقي المذاهب.[٨]وثمة أمور حقيقية جديرة بالملاحظة تتعلق بالمرجعية:

-محدودية قدراتها: أي عدم حملها لصفتها الحقيقية والرسمية التي تتمتع بها فعلياً نظراً لتجاهل بعض القوى لها ولمقاومتها لها ولمحاولة تحجيمها.

-حفاظ المرجعية على الحوزات العلمية وتنميتها ورعايتها لها.[٩]

رغم تعدد مدارس المرجعيات على امتداد العصور، إلا أنها ركزت على نقطة في غاية الأهمية: مسألة الوحدة ودورها في إرساء قواعد الأمن والسكينة واستمرار كينونة هذه الأمة. ما من خطر أشد وطأة على الإسلام من نخر دولتهم من الداخل بزرع الفتنة وإضرام نيران الطائفية وهو ما حاولت المرجعيات التأكيدَ عليه محاولةً منها إلى ردم الصَدْع الذي أوجده أعداء الإسلام.[١٠]

اتجهت المؤسسة المرجعية بعد غيبة الإمام الثاني عشرA إلى تركيب قيادي مختلف عن المرحلة السابقة، إذ كانت قيادة الإمام شاملة وعامة فكرياً واجتماعياً وسياسياً. أما بعد الغيبة، فتولى الفقهاء أمور القيادة وكان الناس يرجعون إليهم للاستفتاء انطلاقاً من قاعدة (نيابة الإمام الغائب) من قبل الفقيه الجامع للشرائط. شكلت هذه النقطة تحولاً في القيادة المرجعية، حيث فقدت صفة العصمة في الزعامة الدينية. أمسى الفقهاء امتداداً طبيعياً لخط الإمامة.

اعتمدت القيادة المرجعية في بادئ الأمر على الاتصالات الفردية بين المجتهدين والقواعدالشعبية في بلدانهم. تطورت تلك الاتصالات عقب ذلك، إذ بدأ المجتهد بإرسال وكيل أووكلاء لمناطق مختلفة لنقل رأيه في بعض القضايا الفقهية. رُسِمَت على هذا النحو ملامح المؤسسة المرجعية. من أشهر الفقهاء المؤسسين للجهاز المرجعي هو محمد بن مكي العاملي. تنامى دور المرجعية وصولاً لطور الاستقطاب والتمركز فظهرت مرجعيات كبرى كمرجعية الشيخ جعفر كاشف الغطاء التي امتدت لشيعة العالم الإسلامي قاطبةً. تطور دور المرجعية لاحقاً إلى زعامة الأمة في نضالها ضد القوات التي غزت بلاد المسلمين.[١١]

الحركة الثقافية والأدبية في النجف

شكل القرن الرابع الهجري بدايةً لانبثاق الحركة العلمية (دروس العلم) في النجف كونها مركزاً من المراكز العلمية الثقافية، غير أنها كانت تفتقر لوجود الأدب نظراً لكونها حركة ناشئة ومحدودة آنذاك.

مع انتقال ممثل المرجعية الدينية الإمامية -الشيخ الطوسي عام ٤٤٨ هـ- من بغداد إلى النجف في القرن الخامس الهجري وهجرة طلابه وأصحابه، شهدت الحركة العلمية ازدهاراً، لكنها مع ذلك لم تقترن بنشوء حركة أدبية منبثقة عنها بسبب انشغال المرجعية بإرساء دعائم الحركة العلمية في شتى الجوانب. عندما توفي الشيخ الطوسي، انتاب الحركة العلمية ضمور تسبب في بروز مدينة الحلة و تحولت عند بداية القرن الخامس الهجري إلى مركز انتقلت إليه الحركة العلمية واستمرت في تألق دام أربعة قرون.

عاود فجر النجف بالبزوغ من جديد في القرن التاسع عشر واستعادت الحركة العلمية فيها ازدهارها من جديد في الوقت الذي أفل فيه نجم تلك الحركة في الحلة.

تفتقت أولى براعم الحركة الثقافية مُمَثَلَةً بالأدب إبان القرن العاشر الهجري عندما بدأت القبائل العربية بالهجرة إلى النجف طلباً للعلم في الحوزة العلمية. حملت هذه القبائل معها البواتق الأدبية، إذ كان الأدب سمة بارزة لدى العرب. هكذا ظهر

الكُتّابُ والشعراءُ والخطباءُ الذين برع البعض منهم ونال شهرة ليس على مستوى العراق فحسب، بل على المستوى البلدان العربية بأسرها.

هاجر في بادئ الأمر بعض أفراد القبائل مثل قبيلة آل البلاغي وآل الجزائري وآل محيي الدين -في القرن العاشر الهجري- وآل الأعسم وآل النحوي وآل قسام -في القرن الحادي عشر الهجري- وآل بحر العلوم وآل كاشف الغطاء وآل الظالمي وآل الفرطوسي وآل الشيخ عبد الرسول وآل المظفر وآل قفطان وآل زاير دهام وآل اطميش -في القرن الثاني عشر الهجري- وآل الشبيبي وآل الدجيلي وآل السوداني وآل الخرسان وآل سميسم وآل الغراوي وآل مطر وآل العصامي وآل زوين -في القرن الثالث عشر الهجري-.

عاصرت الحركة الأدبية مثيلاتها في إيران والبلدان العربية كسوريا ولبنان ومصر ومرت بذات مراحلها: مرحلة العهد العثماني ومرحلة عهد النقلة ومرحلة العهد الحديث. اتسم الأدب في العهد العثماني بالبلاغة والزخرفة اللفظية والإسراف اللفظي على حساب المعنى. أما عهد النقلة، فتضمن أصداء البلاغة كالجناس والسجع بينما شهد العهد الحديث الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري تعدداً للألوان الثقافية. هكذا واصلت الحركة الثقافية في النجف نشاطها الذي بلغت فيه أوجها مما جعل من النجف مركزاً ثقافياً متألقاً.

كان للعامل الاجتماعي حسب رأي جعفر الخليلي تأثير قوي في ازدهار الحركة الأدبية، أما د. عبد الصاحب الموسوي فيرى أن العامل الديني كان له عظيم الأثر. أتقن رجالُ الدين والفقهاءُ علومَ اللغة وآدابَها واحتلت مدرستا الكوفة والبصرة الصدارة في تلك العلوم حتى القرن الخامس الهجري. أما النجف، فاحتلت الصدارة العلمية في العراق حينما سنحت لها الفرصة لذلك.[١٢]

اهتم أساتذة النجف بطلبتهم الذين خُصِّصَت لهم رواتب شهرية نقدية أو عينية (طعام وملابس). وصل عدد المدارس في عام ١٣٨٥ إلى اثنتين وثلاثين مدرسة ضمت تسعمائة واثنتين وخمسين غرفة في الوقت الذي كان فيه عدد الطلاب ثلاثة آلاف بين وافدٍ وغير وافدٍ (سكان البلد الأصليين). عرفت النجف بمكتباتها العامة التي ربت على الثلاثين مكتبة والتي أسهمت حتى القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري -وفقاً لإحصاء أجراه جعفر الخليلي- في نهضة العراق الحديث، كما عرفت بمكتبتها العلوية وهي المكتبة الأولى التي أُسِّسَت في القرن الرابع الهجري.[١٣]

أُسِّسَت عام ١٨٥٦ مطبعةٌ ثم توالى تأسيس المطابع التي ساهمت في تطوير الحركة الأدبية من خلال نشر الكتب والدوريات والمطبوعات بشكل عام.

تأسست إبان القرن الرابع عشر الهجري جمعياتٌ أدبيةٌ كجمعية منتدى النشر وجمعية الرابطة العلمية الأدبية. عُرِفَ المجتمع النجفي بمختلف فئاته بقربه من الشعر وأكد ذلك أمين الريحاني (الرحالة اللبناني الشهير) وروى د. عبد الصاحب الموسوي اسْمَيْ بقّالَيْن نجفيَّيْن هما الحاج مجيد العطار والأديب عبد الهادي الطحان اللّذين عُرفا باهتماماتهما الشعرية.

من جهة أخرى، أسهمت المجالس التي أقامتها الأسر العلمية النجفية في تطوير الحركة الأدبية، وكأمثلة على أبرز من شارك في تلك المجالس في القرن العشرين، نذكر

عبد الحسين الحلي وباقر الهندي وجواد الشبيبي ومحمد سعيد الحبوبي وجعفر الحلي وعلي العلاق.[١٤]

برز في تلك الفترة كوكبة من الشعراء الذين عكسوا الواقع العراقي آنذاك منهم: محمد مهدي الجواهري ومحمد باقر الشبيبي وصالح الجعفري ومحمد رضا الشبيبي وأحمد الصافي النجفي ومحمود الحبوبي ومصطفى جمال الدين وأحمد الوائلي ومحمد علي اليعقوبي.

يقصد النجفَ أفرادٌ من قوميات مختلفة يحملون إليها تجاربهم في مختلف المجالات: الفكرية والعلمية والأدبية، إلخ... ويلتقون في معاهدها وفي المدرسةالنجفية تحت سقف وحدة الدراسة ووحدة الهدف. لذلك الأمر فوائدٌ جمة:فهو يثري الطالب بتجارب أولئك الوافدين ويعوّده على الانفتاح الفكري والمرونة في البحث.[١٥]

---

(١) رجال النجاشي-ص٣١

(٢) فرحة الغري/ابن طاووس-ص١١٤

(٣) الدراسة وتاريخها في النجف/د.السيد محمّد بحر العلوم(موسوعة العتبات المقدسة)،ج٧ص: ١١٢٩.

(٤) مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية فيها، ظلال من حياة الشيخ الراحل المظفر و دراسة عن الحياة الفكرية في النجف، مطابع النعمان (النجف الأشرف)، ص٨-١٤

(٥) جامعة النجف في عصرها الحاضر، الشيخ محمد تقي آل الفقيه العاملي، ص١٠٥-١١١

(٦) ن.م. ص ١٤٦-١٤٩

(٧) المرجعية الدينية، الحلقة الثانية، اعداد و تقديم عبد الهادي محمد تقي الحكيم، ص١٥-١٦

(٨) ن.م. ص٤٠-٤٤

(٩) ن.م. ص١٢٦-١٢٨

(١٠) دور الحوزة العلمية في وحدة الأمة الإسلامية، محمد جعفر النوري، ص ٩-١١ و ص٢٦٥-٢٦٦

(١١) المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، ص٣٥ -٣٧

(١٢) الجواهري شاعر القرن العشرين، د. جليل العطية، ص: ٢٩ ٣١.

(١٣) موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي: الجزء السابع (قسم النجف "الثاني").

(١٤) حركة الشعر في النجف، ص: ١١٥.

(١٥) مدرسة النجف و تطور الحركة الإصلاحية فيها، ظلال من حياة الشيخ الراحل المظفر و دراسة عن الحياة الفكرية في النجف، طبع في مطابع النعمان، النجف الأشرف، ص٣٨-٣٩

المرجعية الدينية
في مدينة سامراء

أ. د. صاحب محمد حسين نصّار •
كليّة الفقه/ جامعة الكوفة

ينابيع

لا يخفى ما للحوزة العلمية من دور كبير على مستوى التاريخ، في معالجة جميع المشاكل الحياتية، وإيجاد الحلول المناسبة للوقائع المختلفة، ومن بين تلك الحوزات حوزة سامراء العلميّة التي لم يوضح دورها الريادي في معالجة العديد من الأزمات التي مرّت بالأمة الإسلاميّة، فضلاً عن دورها في الجوانب العلمية والثقافية والمسائل الفكرية والعقائديّة والعبادية والأخلاقية، كل هذه الأمور جعلتنا نضع هذا العنوان محط النظر وكشف الحقائق وإظهار الدور الفعّال لهذه الحوزة الطاهرة.

أهمية مدينة سامراء الدينية :

تعتبر مدينة سامراء من المناطق ذات الأهمية الدينية المهمة في المجتمع الإسلامي، وإذا ما أردنا توضيح تلك الأهمية فيمكن رصدها بعدّة جوانب مهمّة مثلت ذلك الدور، وكما يأتي :

أوّلاً : تعتبر مدينة سامراء قديماً محط سام بن نوح عليه السلام، وقيل هو من بناها، ولا غرو أن محط أبناء الأنبياء لتلك البقعة تمثل تحولاً في بيئتها وجعلها مركزًا دينيًا له أبعاده الفكرية في هذا المجال. فهذا ما ورد في كتب البلدانيين العرب، ومن ذلك ما يخبره اليعقوبي في (البلدان) أنّ المعتصم العباسيّ (صار إلى موضع سرّ من رأى، وهي صحراء من أرض الطيرهان، لا عمارة بها، ولا أنيس فيها، إلا دير للنصارى، فوقف بالدير وكلّم من فيه من الرهبان، وقال: ما اسم هذا الموضع؟ فقال له بعض الرهبان: نجد في كتبنا المتقدّمة أنّ هذا الموضع يُسمّى سرّ

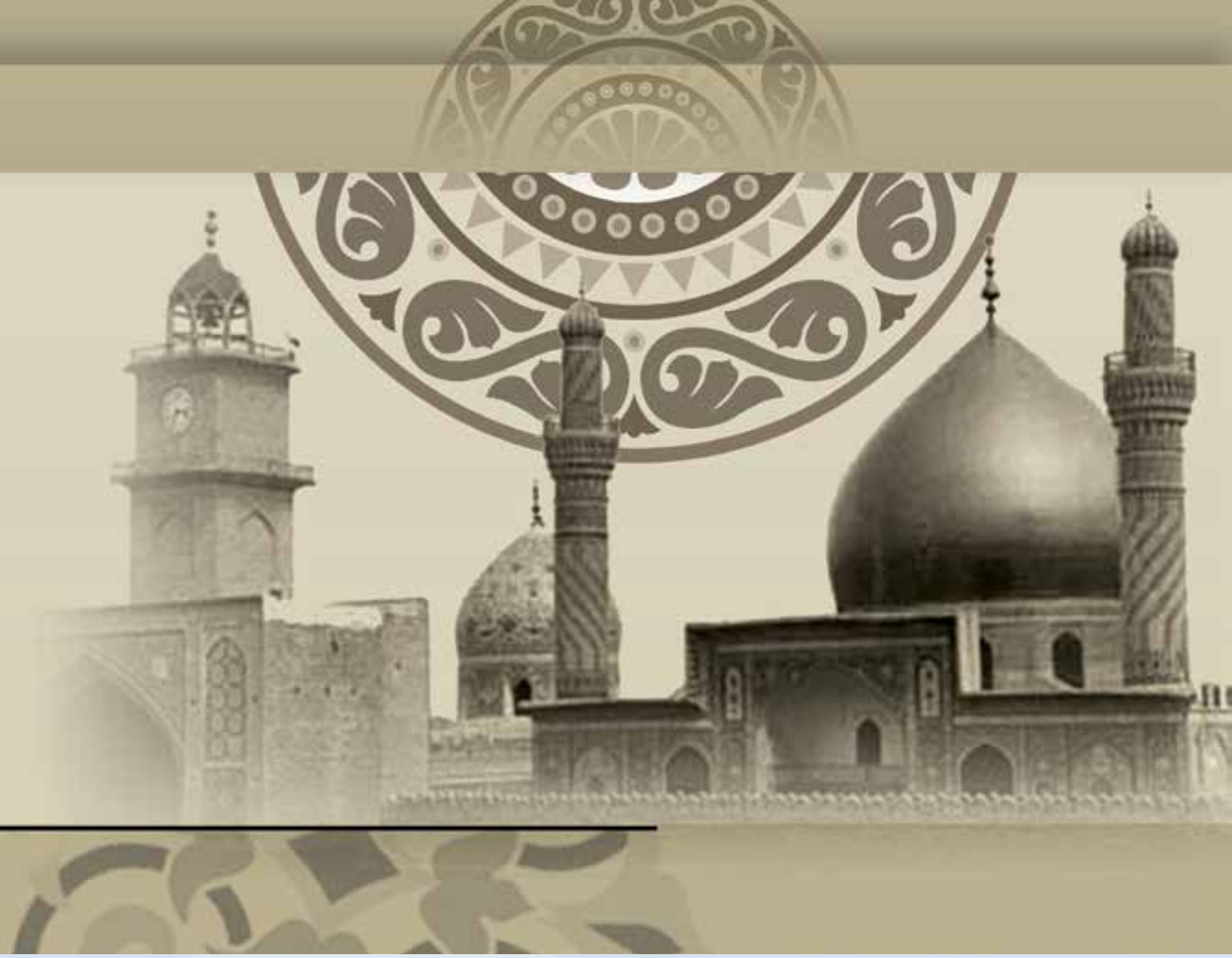

من رأى، وأنّه كان مدينة سام بن نوح عليه السلام. وجاء في معجم البلدان للحموي : يقولون إنّ سامرّاء بناها سام بن نوح عليه السلام ودعا أن لا يصيب أهلها سوء.

ثانياً : كان لوجود الإمام الهادي عليه السلام في سامراء الدور الكبير في تأسيس وتوثيق تلك الأرض بمبادئ أهل البيت عليهم السلام ونشر الفكر المحمدي بين ظهراني أبناء هذه المنطقة. فإنه عليه السلام بمجرد وصوله مدينة (سرّ من رأى) كانت البركات والمعاجز، ومن ذلك ما رواه صالح بن سعيد حيث قال : (دخلت على أبي الحسن الهادي عليه السلام يوم وروده فقلت له : جعلت فداك في كلّ الأمور أرادوا إطفاء نورك والتّقصير بك، حتّى أنزلوك هذا المكان الأشنع، خان الصّعاليك. فقال : ها هنا أنت يا بن سعيد ؟ ثمّ أومأ بيده فإذا أنا بروضات أنيقات، وأنهار جاريات، وجنّات فيها خيرات عطرات، وولدان كأنّهنّ اللّؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر عجبي فقال عليه السلام لي : حيث كنّا فهذا لنا يا بن سعيد، لسنا في خان الصّعاليك)[1].

وإذا ما أردنا أن نسلط الضوء أكثر على تأثير الإمام الهادي عليه السلام على مدينة سامراء نجده لا يختلف عما فعله آباؤه وأجداده الطاهرون عليهم السلام فقد كانوا حريصين أشد الحرص على بناء الفرد المسلم بناءً صحيحًا. فإن دور الأئمّة الاثني عشر الذين

نـصّ عليهم وعلـى إمامتهم الرسـول صلى الله عليه وآله واسـتخلفهم لصيانة الإسـلام مـن أيدي العابثين الذين كانوا يتربّصون به الدوائر، وحمّلهم مسؤولية تطبيقه وتربية الإنسانية على أساسـه وصيانة دولة الرسول الخاتم من الانهيـار والتردّي يتلخّـص في أمرين مهمّين وخطّين أساسيين :

١ـ خـط تحصين الأمة ضد الانهيار بعد سـقوط التجربة، وإعطائها من المقوّمات القدر الكافي لكي تبقى واقفة على قدميها بقدم راسـخة وبـروح مجاهـدة وبإيمان ثابت.

٢ـ خـط محاولة تسـلّم زمـام التجربة وزمام الدولة ومحو آثار الانحراف وإرجاع القيـادة إلـى موضعهـا الطبيعـي لتكتمل عناصر التربية الثلاثة أعني الأمة والشريعة والمربّي الكفء ولتتلاحم الأمة والمجتمع مع الدولة وقيادتها الرشيدة.

أمـا الخـط الثاني فـكان علـى الأئمّة الراشدين أن يقوموا بإعداد طويل المدى له، مـن أجل تهيئة الظـروف الموضوعية اللازمة التي تتناسـب وتتفق مع مجموعة القيـم والأهـداف والأحـكام الأساسـية التي جاءت بها الرسـالة الإسلامية وأريد تحقيقها من خلال الحكم وممارسة الزعامة باسـم الإسلام القيّم وباسـم الله المشرّع للإنسـان كل ما يوصله إلـى كماله اللائق. ومن هنا كان رأي الأئمّـة المعصومين من أهل بيت الرسـول صلى الله عليه وآله في اسـتلام زمام الحكم أن الانتصار المسلّح الآنيّ غير كاف لإقامة دعائم الحكم الإسـلامي المسـتقر بل يتوقف ذلـك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وبعصمته إيمانًا مطلقاً بحيث يعيش أهدافـه الكبيرة ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحـرس كل ما يحققه للأمة من مصالح وأهداف ربّانية.

وأمـا الخط الأوّل فهـو الخط الذي لا يتنافـى مـع كل الظروف القاهـرة، وكان يمارسـه الأئمّة الأطهـار عليهم السلام حتى في حالة الشـعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التي تهيئ الإمام عليه السلام لخوض معركة يتسلّم من خلالها زمام الحكم من جديد[٢].

ثالثاً : وجـود الحوزة العلمية في مدينة سـامراء والتي تمثل مصدر ربط وثيق بين المؤمنين من جهة، ومصدر إشـعاع فكري وعلمي رصين يقف سـداً منيعاً للمؤمنين، كما سيأتي لاحقًا.

البذرة الأولى للحوزة في سامراء :

إن الحوزة العلمية في سـامراء لم يكن لهـا وجود مـن دون تضحيـة العظماء من العلماء الذين يبذلـون الغالي والنفيس في إعلاء كلمة الإسـلام وترصين الحق ونشر مذهـب أهـل البيـت عليهم السلام، ومـن أولئك العظمـاء المجـدد الميرزا محمد حسـن الشـيرازي (أعلى الله مقامـه) الذي هو مؤسس الحوزة العلمية في سامراء.

فلمـا وصلـت إليـه زعامـة المذهب واسـتقر به المقام في النجف الأشـرف، قرر التوجه إلى مدينة سـامراء التي تضم مرقـد الإمامين : علي الهادي والحسـن العسـكري عليهما السلام، وفيها غيّـب الإمام محمد المهـدي الإمام الثاني عشـر من أئمة أهل البيـت عليهم السلام، ويقصدها على مدار السـنة عدد غير قليل من المسـلمين الإمامية من داخـل العـراق وخارجه لزيـارة الإمامين العسـكريين عليهما السلام، والتبـرك بمرقدهمـا الطاهر، وسكان هذه المدينة من المسلمين السـنّة منذ عهد العباسيين الذين أسسوها واعتبروهـا عاصمـة لهـم فـي عهـد من

عهودهم.وعندما رسخت مرجعية الإمام المجدد الشيرازي في الأقطار الإسلامية قرر الانتقال من النجف إلى سامراء، ولم يعلن عن تصميمه في بداية الأمر لأنه كان يخشى ضغط العلماء وهيجان الجماهير عليه ممّا يضطره لترك الفكرة، وهو مصمم على إنجازها لما فيها من مصلحة للأمة، وذلك عام ١٢٩١هـ[٣].

وحين ألقى عصا الترحال في سامراء، وعرف عنه الرغبة في الإقامة الدائمة بمدينة الإمامين العسكريين عليهما السلام، توافد عليها العلماء الأعلام وتبعهم الأصحاب والطلاب والتلاميذ، والكثير من المسلمين الشيعة الذين يرغبون في البقاء إلى جنب زعيمهم الديني الميرزا الشيرازي، والتشرف بمجاورة مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام، والاستفادة من فضله وتوجيهه والانضواء ضمن مرجعيته والانتظام بحوزته درساً وتدريساً ومتابعة.

وفي عام ١٢٩١ هـ تشرف السيد المجدد الشيرازي إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في النصف من شعبان، وبعد الزيارة توجه إلى الكاظمية لزيارة الإمامين : موسى بن جعفر، ومحمد الجواد عليهما السلام، ثم توجه إلى سامراء فوردها أواخر شعبان، ونوى الإقامة فيها لأداء فريضة الصيام، ولئلا يخلو الحرم الطاهر للإمامين العسكريين عليهما السلام من الزوار في ذلك الشهر - فإنّ الحرم يغلق إذا جاء الليل ولم يكن فيه أحد من أمثال المترجم له، ويحرم منه سائر الزوار، وكان يخفى قصده، ويكتم رأيه، وبعد انقضاء شهر الصيام كتب إليه بعض خواصه من النجف الأشرف يستقدمه ويسأله عن سبب تأخره، فعند ذلك أبدى لهم رأيه، وأخبرهم بعزمه على سكنى سامراء، فبادر إليه العلامة ميرزا حسين النوري، وصهره الشيخ فضل الله النوري، والمولى فتح علي السلطانآبادي، وآخرون من الطلبة والمشتغلين، وهم أول من لحق به، وبعد أشهر اصطحب الشيخ جعفر النوري عوائل هؤلاء إلى سامراء أوائل (عام ١٢٩٢ هـ) ثم لحق بهم سائر الأصحاب والطلاب والتلاميذ، فعمرت به سامراء[٤]. وبذلك أصبح المجدد الشيرازي مصداقاً لقوله تعالى:

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[٥].

الدور الإصلاحي لحوزة سامراء :

كان لوجود الحوزة العلمية في سامراء بقيادة الميرزا الشيرازي دور كبير في عملية إصلاح المجتمع، فقد تعددت تلك الإصلاحات على أشكال مختلفة، وبما تخدم المصلحة العليا للإسلام والمسلمين، وقد ذكر لنا التاريخ عدّة أمور واضحة في خصوص هذا المجال وسنورد بعضاً منها وكما يأتي :

أوّلاً : فتوى تحريم التبغ :

وتعرف هذه الفتوى بثورة التنباك أو ثورة التبغ (بالفارسية: نهضت تنباك) هي ثورة قامت بعد سنة ١٨٩٠م، حين منح الملك القاجاري، ناصر الدين شاه، حق بيع وشراء التبغ في إيران لصالح شركة بريطانية. كان نحو ٢٠٪ من الإيرانيين يعملون في قطاع التبغ، وقد أدت الإتفاقية إلى احتكار البريطانيين لهذا القطاع[٦]. وصلت الأزمة ذروتها حين صدرت فتوى التحريم من قبل المرجع الميرزامحمد حسن الشيرازي سنة١٣٠٩هـ / ١٨٩١م حَرم

فيها التنباك، جاء فيها: (اليوم..استعمال التنباك والتوتن بأي نحو كان بحكم محاربة إمام الزمان عجل الله فرجه)[٧].

ثانياً : جسر العبور :

ومن جملة ما قامت به المرجعية هو بناؤها جسراً على نهر دجلة ليتمكن الناس الذين يعيشون خارج مدينة سامراء والوفود القادمون من بغداد وغيرها من العبور بسلاسة ومن دون عناء وإعطاء الأموال، حيث جاء في تقريراته ما نصّه (كان الناس الّذين يقطنون خارج المدينة في الجانب الثاني من النهر يعبرون النهر بواسطة (القفف) وكذلك الزوار والمسافرون من بغداد وغيرها، وكان أصحاب المعابر (القفف) يشترطون في الأجرة ويلقى منهم الزوار أذىً كثيرًا، وحل المرحوم السيد الشيرازي المشكلة إذ بنى جسرًا محكمًا على دجلة من السفن بالطريقة التي كانت متبعة في بقية جسور العراق حينذاك تسهيلًا للعبور، ورفقًا بالزوار والواردين، وكما تحدد المصادر أنه أنفق عليه عشرة آلاف ليرة عثمانية ذهبًا، ثم بعد إتمامه سلّمه للدولة تتقاضى هي أجورًا وزهيدةً مقابل العبور عليه وذلك لغرض صيانته ودوامه[٨].وقد بنى عدة دور للمجاورين والزوار لمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام، وكانت تؤجر بقيم رمزية ممّا ساعدت على تشغيل أيدي ضعفاء وفقراء المدينة وعمالهم.

ثالثاً : خدماتها لطلبة العلوم :

لم يكن دور الحوزة العلمية في سامراء مقتصراً على ناحية دون أخرى فقد كانت خدماتها تجاه طلبة العلوم الدينية والذين هاجروا مع المرجع المجدد أو الذين التحقوا بالحوزة في سامراء، فقد قام السيد الشيرازي ببناء مدرستين كبيرتين لطلاب العلم الدينيين غير المتزوجين (وهي ما يطلق عليه اليوم أقسام داخلية)، أنفق في سبيل بنائهما أموالًا طائلة وشغل عددًا من العمال في إشادة ذلك البناء[٩]. وتُعتبر من أكبر المدارس العلمية الشيعية في العراق، وظلّتا قائمتين تحكيان قصّة العصر الذهبي للفكر الشيعي إلى أن جاء النظام البعثي البائد وقام بتخريبهما تعبيراً عن حقده الدفين للإسلام وعلمائه[١٠].

وعلى الرغم من اهتماماته الكبيرة في متطلبات المرجعية، كان لا يغرب عن باله تفقد العلماء في العراق وخارجه، وطلاب الحوزات العلمية، والتعرف إلى أحوالهم المعاشية، والاهتمام بسد حاجاتهم المادية، وحل مشاكلهم أينما كانوا. إذ كان له عيون ورقباء يوصلون له الأخبار عن ذلك في الخارج، وكانت الأخبار تصل إليه باستمرار، ويهتم بمعالجتها، ووضع الحلول لها، والإيعاز لوكلائه وممثليه في البلاد الإسلامية بما يقتضي لتلكم القضايا. أما الحوزات العلمية في العتبات المقدسة، فكانت موضع اهتمامه بصورة خاصة، اعتقادًا منه أن البلدان التي تضم المراقد المقدسة يجب أن تطغى فيها الواجهة العلمية الدينية، تشويقًا لطلاب العلوم المهاجرين الذين يرغبون في التحصيل العلمي الديني والتبرك بمجاورة مراقد أئمة الهدى من آل بيت المصطفى عليهم السلام، وهذا التشجيع لم يقتصر على طلاب العلوم الدينية، إنما امتد إلى بعض العلماء المشاهير[١١]، بغية إبقائهم في أماكنهم، وعدم انتقالهم إلى بلدانهم، التي تتوفر

لهم فيها سبل العيش أكثر من أي مكان آخر.

إن وجود مراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام شكلّت انعطافة في حياة المجتمع السامرائي الدينية والمذهبية، وركزت المبادئ العلوية المقدسة.فمدينة سامراء بتعدد طوائفها أعطت صورة واضحة للوحدة الإسلامية والتكاتف بين أبناء الطوائف الإسلامية وهذا ما يمثل نقطة قوّة للإسلام والمسلمين. فقد استطاع المجدد الشيرازي أن يجعل من مدينة سامراء، مدينة العلم والتعلّم، ومهبط أفئدة العلماء والدارسين.وكان لوجود المرجعيّة الدينية في مدينة سامراء الأثر الواضح في جميع المجالات العلمية منها والسياسية والاقتصادية والوحدة الوطنية. واستطاع المجدد الشيرازي أن يثبت لجميع العالم كيف يستطيع الإسلام أن يبني من مدينة بائسة – حين رحيله إليها – مدينة العلم والحضارة، ونشّط فيها الدراسة الحوزوية ومنحها بعداً جغرافياً واسعاً.

(١) الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري الملقب بـ(المفيد) ت : ٤١٣ هـ،منشورات : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت – لبنان)، ط :٣، ت : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م : ٣١٣ – ٣١٤.

(٢) ينظر : أعلام الهداية، لجنة البحوث والدراسات، الناشر : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، المطبعة : ليلى، ط :١، ت : ١٤٢٢ هـ : ٢٥٧.

(٣) تقريرات آية الله المجدد الشيرازي، تقرير بحث المجدد الشيرازي للروزدري، الناشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم المشرفة، تح : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المطبعة : مهر – قم، ط :١، ت : ١٤٠٩هـ، ج١ : ٢٨.

(٤) ينظر : طبقات أعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني، المطبعة العلمية في النجف الأشرف، ت : ١٩٥٤ م، ج١ : ٤٣٩.

(٥) العنكبوت : ٦٩.

(٦) ينظر : موسوعة مصطلحات الشيعة، إعداد هيثم الكسواني، ج٥ : حرف الثاء.

(٧) ينظر : النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، الشيخ حسين الطبرسي النوري، تقديم وترجمة وتحقيق وتعليق : السيد ياسين الموسوي، الناشر : انتشارات لساق الصدق – قم المقدسة، المطبعة : وفا، ط :١، ت : ٢٠٠٧ م – ١٣٨٦ ش، ج١ : ٣٠ – ٣٢.

(٨) تقريرات آية الله المجدد الشيرازي، تقرير بحث المجدد الشيرازي للروزدري، ج١ : ٣٢.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) "انترنت"، الحادي والعشرون بعد المئة لرحيل المجدد الشيرازي الكبير (من شيراز وحتى سامراء حياة ملؤها الجهاد وسمتها التضحية)، مقال نشر بتاريخ : ب ت، موقع الشيرازي نت : http://www.alshirazi.net/maqalat/٩٤.htm .

(١١) ينظر : طبقات أعلام الشيعة، ج٥ : ٤٤١ .

تأثير (نهج البلاغة) في المؤلفات الأندلسية

العقد الفريد اختيارًا

أ. م. د. حسين لفته حافظ •
مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة

ينابيع

تعد شخصيّة الإمام علي عليه السلام من الشخصيات التي لها تأثير قوي وحضور واسع خاصة في المؤلفات التي جاءت بعده في المشرق العربي، ولم يقتصر هذا التأثير على المؤلفات التي اهتمت بالبيان والخطابة والبلاغة في المشرقمثل كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ وكتاب (الشعر والشعراء) لابن قتيبة وكتاب (نقد النثر) لابن وهب الكاتب، فضلًا عن الرسائل البيانيّة التي تركها بعض المؤلفين أمثال (الرسالة العذراء) لابن المدبر وغيرها من الرسائل، بل امتد تأثير الإمام علي عليه السلام بشخصيته الفذّة وبيانه الرائع إلى المؤلفات التي تركها كبار العلماء من بلاد الأندلس، مثل ابن عبد ربّه الأندلسي (٣٢٨هـ)صاحب كتاب (العقد الفريد)، حيث تأثر هذا العالم الفقيه بشخصيّة الإمام علي عليه السلام كثيرًا ، وانعكس هذا التأثير بما تركه في مؤلفه، وبدأ هذا التأثير واضحاً فيما يقتبسه من كلام بليغ للإمام علي عليه السلام لغرض الاستشهاد به في مواضع كثيرة جدًا، وفي أبواب متعددة ومتنوعة، فقد كان منهج الرجل أنه يأتي بكلام الإمام علي عليه السلام بعد كلام الله عزّ وجلّ ، وكلام نبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله، مما يعطينا تصورًا واضحًا عن منزلة هذا الكلام ومدى تأثيره في المؤلف ويكاد يكون هذا الأمر منهجًا ألزم المؤلف ابن عبد ربّه نفسه به، أما عن المواضع التي يرد فيها الاستشهاد فهي كثيرة ومتنوعة، منها ما يرد في فضيلة

العلـم إذ قال فيـه صاحب العقـد الفريد :(حَدَّثنا أيوب بن سُليمان قال حَدَّثنا عامر بـن مُعاوية عن أحمد بـن عِمْران الأخنس عن الوليد بن صالح الهاشميّ عن عبد الله بن عبـد الرحمن الكُوفي عـن أبي مِخْنف عن كُميل النِّخعيّ، قال: أخذ بيدي عليٌّ بن أبي طالب كَـرَّم الله وجهه، فخرج بي إلى ناحية الجبّانة، فلما أسحر تنفّس الصُّعداء، ثم قال: يا كُميل، إنّ هـذه القلوب أوْعيَة، فخيْرهـا أوعاها، فاحفظ عنّـي ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربّاني، ومتعلّم على سـبيل نَجَاة، وهَمَج رَعَاع، أتْباع كلّ ناعق، مع كلّ ريـح يَميلون، لم يَسْـتضيئوا بنُور العِلْـم، ولـم يَلْجأوا إلى رُكْـن وَثيق... الخ الخطبة) [1].

وفي أحيـان أخرى كان ابـن عبد ربّه يقدم قول الإمام علي عليه السلام على غيره معززًا كلامه بنصوص من القـرآن الكريم، انظر إلى قوله في فضل العشيرة:

(قـال عليّ بـنُ أبي طالـب رضي الله عنه: عشيرةُ الرجل خيرٌ للرجل من الرجل للعَشـيرة، إن كَـفَّ عنهم يـداً واحدة كَفُّوا عنـه أيدياً كثيـرة، مع مودَّتهـم وحفَاظهم ونُصْرتهـم. إنّ الرجـل لَيَغْضَب للرجل لا يَعْرفه إلا بنسَـبه، وسَـأتْلُو عليكم في ذلك آياتٍ من كِتـاب الله (تعالى)، قالَ الله عزّ

وجلّ فيما حكاه عن لُـوط: (**لَوْ أَنَّ لِي بِكُم قُـوَّة أَوْ آوِي إِلَـى رُكْن شَـدِيد**)! [٢] يعني العشـيرة، ولم يكن للوط عَشيرة: فو الذي نفسـي بيده ما بعث الله نبيًـا من بعده إلا في ثَرْوَة من قومه، ومَنعة من عَشيرته، ثم ذكر شُعيباً إذ قال له قومُه: (**إِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهطك لَرَجَمْنَاكَ**)[٣]، وكان مَكْفوفاً، والله ما هابُوا الله، ولا هابوا إلا عشيرتَه)[٤].

وهنـا يبـدو تأثـر الكاتب الأندلسـي واضحًا في قدرة الإمام علي عليه السلام إلى توظيف النـص القرآنـي بالطريقـة الملائمة التي تدلل على موسـوعية وتمكن الإمام سلام الله عليه من اختيار النصوص التي تنسجم ومضمون كلامه ويعد هذا الشـيء فنًا من فنون الإقناع في الخطابة العربية لا يجيدها إلا من امتلك ناصية اللغة.

وهناك مسـألة مهمة تنبـه لها صاحب العقد الفريـد، تتعلق بتأثر الكُتّاب سـواء أكانوا شعراء أم أصحاب بيان من مشاهير الخطباء وكتاب الرسائل الديوانية في ذلك العصر بكلام الإمام علي عليه السلام لأنهم وجدوا فـي هذا الكلام أسـلوبًا بارعًـا في الأداء وجودةً عاليةً ومضمونًا قويًا مما دفعهم إلى محاكاة هذا الـكلام والتأثر به في كتابتهم الفنية، واسـتطاع ابن عبد ربـه بفطنته أن يتنبـه إلى هذه المسـالة ومـن الأمثلة على ذلـك :حديثه عن المبـادرة بالعمل الصالح ،في قوله : "ومن قولنا في هذا المعنى:

بـادرْ إلى التَّـوْبة الخَلْصَـاء مُجْتهداً
والموتُ وَيْحك لم يَمْدُد إليك يَدَا
وأرقبْ من الله وَعْداً لَيْسَ يُخْلِفُه لا بُـدَّ لله من إنجـاز ما وَعَـدَا

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: فيم أنتم؟ قالوا: نَرْجُو ونَخاف؟ قال: مَن رجا شـيئاً طَلَبَه، ومن خافَ شيئاً هَرَب منه.

وقال الشاعر:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلم تَسْـلُك مَسَـالكها إنّ السَّفينَةَ لا تَجْري عَلَى اليَبس[٥]

ويلاحظ القارئ هنا أن المؤلف أرادأن يشـير إلى مسـألة مهمـة تتعلـق بالتناص الحاصل بين الشـعر والنثر الفني المتمثل بكلام الإمام، أي إنّ الشعراء ومنهم الكاتب اسـتفادوا كثيرًا مـن حِكَمْ الإمـام البليغة كونهـا تحمل صفـة الإيجاز فهنـاك معانٍ كثيرة بألفاظ قليلة.

ومـن الأمثلةالأخرى مـا ذكره صاحب العقد في حديثه عن القناعة :

(وقـال عليُّ بنُ أبـي طالب رضي الله عنه: الـرِّزق رِزْقـان: فرِزْقٌ تطلبـه ورِزْقٌ يطلبك، فإن لم تأته أتاكَ).وقال حبيب:

فالـرِّزق لا تَكْمَـدْ عليه فإنـه يأتي ولم تَبْعث إليـه رسولا

وفي كتاب للهنـد:لا ينبغي للمُلتمس أن يَلْتمس من العيش إلا الكفَافَ الذي به يَدْفع الحاجة عن نَفْسـه، وما سوىَ ذلك إنما هو زيادة فـي تعَبه وغَمِّه.[٦] غفلة ونسْـياناً كما تَسْـلو البهائم. وهذا الـكلامُ لعليّ ابن أبي طالب كرّم الله وجهَه يُعزِّي به الأشْعَث بن قيْس في ابن له، ومنه أخذه ابن جُرَيْج.

وقد ذكَرَه حبيب في شعره فقال:

وقال عليّ في التعازي لأشْعَث
وخاف عليه بعضَ تلك المآثم
أتَصْـبِرُ لِلْبلْوَى عَزَاءً وحسْـبَةً
فتُؤْجَـرَ أَمْ تَسْلُو سُلـوَّ البهائم

أتى علـيُّ بن أبي طالب كَرَّم الله وجهه لأشْعَث يُعَزِّيه عن ابنه، فقال: (يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد اسـتحقت ذلك منك

الرحم. وإن تصبر ففي الله منك لمصيبة خلف. يا أشعث إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور. وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور)[٧].

ولعل المؤلف انتبه إلى مسألة تأثر الكتاب بشخصية الإمام فكان هذا التأثر على شكل قصائد نقل ابن عبد ربه كثيرًا منها، ومن ذلك ما أورده من أبيات للسيد الحميري:

" قال السيّد الْحميريّ يَرْثي عليَّ بن أبي طالب كَرَّم الله وَجْهه ويَذكر يومَ صِفّين:

إنّي أدين بما دان الوَصي به
وشاركتْ كفُه كفّي بصفّينا
في سفْكِ ما سَفكَتْ فيها إذا احتضروا
وأبرز الله للقسط المَوازينا
تلك الدِّماء معاً يا ربّ في عُنقي
ثم اسْقني مثلها آمين آمينا
آمين من مثْلهم في مثْل حالهِمُ
في فِتْيَة هاجَرُوا لله ساريناً
لَيْسُوا يريدون غيرَ الله رَبِّهم
نعم المُراد تَوَخَّاه المُريدونَا[٨]

وأبيات الشاعر هنا تكشف عن فضل الإمام علي عليه السلام ومنزلته في عيون الشعراء والأدباء، تلك المنزلة التي يحاول المؤلف أن ينبه إليها، بغية التأثير في المتلقي ودفعه إلى متابعة منزلتها الشريفة، ولكي يعرف القاصي والداني مكانة الإمام علي عليه السلام عند ربّ العرش عزّ وجلّ ورسوله المصطفى صلى الله عليه وآله.

---

(١) العقد الفريد :٢٢٠/٢.
(٢) الآية ٨٠ منسورةهود.
(٣) الآية ٩١ من سورة هود.
(٤) العقد الفريد : ٢/ ١٩٨..
(٥) العقد الفريد : ٥٣/٦، واليتان في ديوان ابن عبد ربّه والبيت الاخر في ديوان ابي العتاهية.
(٦) العقدالفريد : ٥٣/٦ ، والبيت في ديوان الشاعر حبيب : ٨٦.
(٧) العقد الفريد : ٢٣٤/١.والابيات في ديوان حبيب :١٦٩.
(٨) العقد الفريد : ٥٤/٦، والابيات في ديوان السيد الحميري وشرح نهج البلاغة ١٣٥/١.

الأمانة عند أهل البيت عليهم السلام

* قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله يُحِبّ المحترف الأمين».

وسائل الشيعة ج١

* عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ليس لك أن تأتمن من خانك، ولا تتهم من ائتمنت».

وسائل الشيعة ج١٩

الارتباط الجغرافي والتاريخي بين مسجد الحنانة ودير حنة

قراءة جديدة في النصوص والروايات

أ. م. د. محمد جواد فخر الدين •
جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات

ينابيع

لقد كان للموقع الجغرافي لمنطقة النجف على اعتبار أنها ضاحية من ضواحي الحيرة وتطرفها في الصحراء أثر كبير في انتشار الأديرة المسيحية فيها[١]، أضف إلى ذلك كان لارتفاع منطقة النجف (ظهر الحيرة) وإشرافها على بحر النجف عامل آخر في بناء الأديرة، حيث لم تكن تبنى إلّا بتوافر الماء ويكثر النبات[٣].

وأعطى انتشار هذه الأديرة ضمن منطقة النجف بعدًا دينيًا لهما فضلاً عن البعد التاريخي والحضاري، لكن لم تصل إلى أيدينا معلومات محددة عن بناء أول دير في هذه المنطقة، وحتى الشابشتي (ت٣٨٨هـ) الذي يعد كتابه الديارات من أقدم الكتب المؤلفة في هذا الجانب لم يتعرض لهذا الأمر، لأن الكتاب يكاد يكون قصصًا وتراجم لشعراء أكثر منه وصفًا للأديرة وهذا ما سار عليه من كتب من بعده في هذا الموضوع.

أضف إلى ذلك أنه لم يبق من هذه الأديرة أثر أو بعض الأثر الذي يستدل به عليها وتعيين مواقعها ومرافقها، وخططها، غير الكهوف الموجودة في الجهات الغربية من النجف المعروفة اليوم بـ (الطارات) ويذهب الخليلي بالقول إلى أن هذه : (الكهوف المنحوتة في التلول، إنما هي صوامع ومساكن خاصة للرهبان وعلى مقربة منها تقع الديارات والمعابد)[٤].

ومن ضمن الأديرة المعروفة في منطقة النجف، دير حنه الذي ينسب بناؤه إلى نوح

كما ذكر العمري : (هكذا نقلته ولا اعرف من هو)[٥] ويبدو هناك تصحيف في الكلمة (نوح) والتي هي اصلها (تنوخ) حسبما ذكره البكري : (وهو دير قديم بناه حي من تنوخ، يقال لهم بنو ساطع)[٦]، ويرجع ياقوت تاريخه إلى أيام بني المنذر[٧]، ويقابل هذا الدير منارة عالية كالمرقب، تسمى القائم، لبني أوس بن عمرو، وإياه عنى الثرواني بقوله[٨]:

يا دير حنة عند القائم الساقي
إلى الخورنق من دير ابن براق

والملاحظ من البيت الشعري المتقدم يقع في منطقة النجف وذلك لقربه من الخورنق ودير ابن براق على طريق واحد.

وهناك دير آخر يسمى بدير حنه، وقد سماه العمري بدير حنه الكبير[٩] ويقع هذا الدير في ظاهر الكوفة والحيرة بالأكيراح[١٠] وقد بناه عبد بن حنين من بني لحيان(١١) ويذكر العمري : (أنه بنيَ حين بنيت الحيرة، وكان من أنزه الأديرة، لكثرة بساتينه وتدفق مياهه)[١٢]، وفيه يقول أبي نؤاس[١٣] :

يا دير حنة من ذات الأكيراح
من يصح عنك، فأني لست بالصاحي
رأيت فيك ظباء لا قرون لها
يلعبن منا بالباب وارواح

وقد يرى البعض أن مسجد الحنانة قد أُسس على موضع دير حنة ؛ وذلك من

خلال عدة قرائن جغرافية وتاريخية[١٤]، ويمكن الوقوف على مجمل النصوص والروايات التي توضح هذا الارتباط بينهما.

إذ يرى الخوانساري أن لفظة الحنانة قد صحف من (جبانة)[١٥] وذلك لكونها جزءًا من الثوية، بينما يذكر البراقي: (ولا نعلم بسبب تسميتها، ولعل ذلك هو الأقرب إنما سموها بالحنانة من حيث قول الصادق عليه السلام: (إنها انحنت أسفًا وحزنًا على أمير المؤمنين لما جاوزا بسريره عليها. فلذا سميت حنانة)[١٦]، ويرى كذلك أن الحنانة هي القائم المائل نفسه[١٧].

على أن القائم المائل كما حددته المصادر الحديثية والروائية هو بالقرب من مسجد الحنانة فيما لو استندنا إلى رأي البراقي، ويمكن الوقوف على هذا الرأي من خلال ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله أحد أصحابه عن القائم المائل في طريق الغري، فقال: (نعم إنهم لما جاؤوا بسرير أمير المؤمنين انحنى أسفًا وحزنًا على أمير المؤمنين)[١٨].

ويرى السيد محمد صادق بحر العلوم أنه بقي مائلًا إلى القرن السادس الهجري إذ مر به السلطان السلجوقي ملك شاه، حيث رأى منارة منحنية من اعوجاجها كأنها واقعة على الأرض كزي الراكع وليس فيها صدع ولا خلة، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: إن أمير المؤمنين عليه السلام مر عليها فبقيت على حالتها من الانحناء[١٩].

وقد صور أحد الشعراء هذه الحادثة بقوله[٢٠]:

وفيالمنارة إذا حنت عليك فما
لنا في آية حار منها كل متعجب

وقد أوضحت لنا الرواية السابقة أن القائم المائل بناء مستقل لحاله إلى جانب مسجد الحنانة. بينما يرى الطريحي أن دير حنة هو نفسه مسجد الحنانة، وقد تطورت لفظة (حنة) إلى (الحنانة) ويضيف أنه من قرائن الشبه بين دير حنة والحنانة القائم قائم بني مسروق، فقد وردت أن للحنانة قائم أيضًا[٢١].

على أننا إذا وضعنا مقارنه بين رأي الطريحي وما ذكره الخوانساري نجد هناك اختلافًا كبيرًا بين المعنيين من جميع النواحي وخاصة في ارتباط الموضع الجغرافي، ولايوجد أي تقارب بينهم ؛ لان الخوانساري يرى أن الجبانة قد صحفت إلى حنانة، وذلك لكونها بالقرب من منطقة الثوية، وأما ما ذكره الطريحي فيحاول أن يربط بين الموضعين جغرافيًا بتطور لفظة (حنة) إلى (الحنانة)، والأمر الذي لابد من الإشارة إليه أن هناك ديرين يقعان في منطقة النجف يحملان اسم دير حنة، الأول منهما يعرف بدير حنة الصغير ويقابله منارة عالية تسمى القائم، فيذكر العمري أنه يقع في الحيرة[٢٢] دون أن يحدد موقعه، إلاّ أنني قد حددت موقعه بالقرب من قصر الخورنق استنادًا إلى ما ذكره الشاعر الشرواني[٢٣]:

يادير حنة عند القائم الساقي
إلى الخورنق من دير ابن براق

والمسافة ما بين قصر الخورنق ومسجد الحنانة أكثر من ٥كم حسبما حددنا موقع قصر الخورنق من النجف، فلذا هو بعيد عن مسجد الحنانة ولا وجه للمقارنة بين هذا من جانب، أما دير حنة الكبير فيحدد موقعه بظاهر الكوفة[٢٤] لكن لا يوجد إلى جنبه قائم، ويبتعد عن مسجد الحنانة، وهذا من جانب آخر.

ويقترب إلى رأي الخوانساري السيد ابن طاووس إذ ذكر أن الإمام الصادق عليه السلام أوصى المفضل بن عمر أن يصلي في الجبانة ركعتين لأنها موضع رأس الإمام الحسين عليه السلام[٢٥] كما ورد في النص نفسه كلمة (الحنانة).

ويشير ما سنيون إلى أن مسجد الحنانة هو الموضع الذي وضع فيه جثمان الإمام علي عليه السلام[٢٦]، إلاّ أن الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ذكرت أنه وضع فيه رأس الإمام الحسين عليه السلام ورؤوس إخوانه وأصحابه قبل الدخول بها إلى مدينة الكوفة، وقد روى محمد بن أبي عمير عن المفضل بن عمر قال: (جاز الإمام الصادق عليه السلام بالقائم المائل في طريق الغري، فصلى ركعتين، فقيل له: ما هذه الصلاة؟ فقال: هذا موضع رأس جدي الحسين بن علي عليه السلام[٢٧].

على أنه من خلال قراءة هذه النصوص والاختلافات بين المؤرخين حول الارتباط بين مسجد الحنانة ودير حنة قد لا يشكل خلافًا عقائديًا بقدر ما يشكل خلافًاحول الموضع الجغرافي الذي بنيَ عليه كلا العمارتين، على أنه ليس بالبعيد هناك جملة منشآت إسلامية قد بنيت على عمارات مسيحية وخلال عصور مختلفة، إذ وجد المسلمون في البعض منها لها بعدًا دينيًا وعقيديًا؛ لذلك جسدوا هذا في صرح ديني آخر على بقايا الصرح السابق.

---

(١) ماهر، سعاد، مشهد الإمام علي في النجف وما فيه من الهدايا والتحف، دار المعارف مصر لا.ت، ص٩٦.

(٢) المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة ومناهجها في دراسة اللغة والنحو، مطبعة دار المعرفة بغداد ١٩٥٧، ص١٩.

(٣) جعفر، موسوعة العتبات المقدسة " قسم النجف " ط١، دار التعارف. بغداد ١٩٦٥، الهامش ٤٩/١.

(٤) مسالك الأبصار، ص٣١٢.

(٥) معجم ما استعجم، ٥٧٨/٢.

(٦) معجم البلدان، ٥٠٧/٢.

(٧) البكري، معجم ما استعجم، ٥٧٨/٢، العمري، مسالك الأبصار، ص٣١٢.

(٨) المصدر نفسه، ص٣١٩.

(٩) العمري، المصدر نفسه، ص٣١٩، البكري، معجم ما استعجم، ٥٧٩/٢.

(١٠) البكري، المصدر نفسه، ٥٧٩/٢.

(١٢) مسالك الأبصار، ص٣١٩، السقاف، الاوراق، ص١٤٥.

(٣) ديوان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٥، ص١٦٤.

(٤) الطريحي، الديارات، ص١٠٠ – ١٠١.

(٥) محمد مهدي، تحفة المساجد في أحكام المساجد، ص٤٦٠.

(٦) الدرة المضيئة، ورقة رقم ٣٥.

(٧) الدرة المضيئة، ورقة رقم ٣٥.

(٨) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣٤٨/٢.

(٩) السلاسل الذهبية، مخطوطة، ورقة رقم ٤٣٢ نقلاً عن الطريحي، الديارات، ص١٠١، البراقي رسالة عن الكوفة " ملحق "، مخطوط مصور في مكتبتي الخاصة، ورقة رقم ٣٢.

(٢٠) ابن شهراشوب، مناقب ٣٤٨/٢.

(٢١) الطريحي، الديارات، ص١٠٠ – ١٠١.

(٢٢) مسالك الأبصار، ص٣١٢.

(٢٣) البكري، معجم ما استعجم، ٥٧٨/٢، الحموي، معجم البلدان، ٥٠٧/٢.

(٢٤) البكري، المصدر نفسه، ٥٧٨/٢، الحموي، المصدر نفسه، ٥٠٧/٢، العمري، مسالك الأبصار، ص٣١٩.

(٢٥)مصباح الزائر وجناح المسافر، مخطوط في مكتبة الامام الحكيم العامة في النجف الاشرف، رقم ٤٤٥، ورقة رقم ٦١.

(٢٦) خطط الكوفة، ص٢٢.

(٢٧) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٨٢/١٠٠.

منهجية الجرح عند النجاشي

دراسة نقدية

د. علي الفحام •

ينابيع

لا شك أن (علم الرجال) الذي يعرف عند العامة بعلم الجرح والتعديل يُعد من العلوم الاجتهادية التي تكثر فيه الأقوال وتتشعب فيه الآراء وصولاً إلى حد الاختلاف والتناقض في بعض الأحيان،ولهذا تكثر الاستدراكات والتتبعات في مثل هذه الصناعة التي نشأت في الأساس في أحضان مدرسة المخالفين وكان الهدف منها تقييد بوصلة الحديث حتى لا تذهب باتجاهات بعيدة عن المتبنيات العقدية والفقهية للسلطة الحاكمة، فكل حديث أو أثر يخالف الجو الفكري السائد يُردّ بحجة ضعف الإسناد، وما أسهل هذه الصناعة التي كانت ترتكز على رجال وفقهاء ومحدثين أنتجتهم حكومات بني أمية ومن جاء بعدهم من بني العباس !

الشيعة وعلم الرجال

اهتم الشيعة بالحديث – رواية ودراية وتدوينًا – قبل كل الفرق الإسلامية، وكانت الحالة الشيعية تتداول بينها مصنفات الرواد الأوائل من الشيعة كأبي رافع والأصبغ بن نُباتة وسُليم بن قيس منذ منتصف القرن الهجري الأول، في حين لم يبدأ التدوين الفعلي عند المخالفين إلا بمحاولات بدائية في زمن الحاكم الأموي (عمر بن عبد العزيز) مع بدايات القرن الثاني، ثم توسعت قليلاً في العقدين الثاني والثالث من القرن نفسه، لتصل مراحل متقدمة في زمان العباسيين الذي هيمنوا على كتابة الفقه والحديث، وشرعوا بتصنيف الرواة إلى (مبتدعة) و (أهل سنة)، ويقصدون بالمبتدعة الشيعة أولاً وكل من يخالفهم في بدعهم وأهوائهم.

وبالرغم من التضييق السياسي الخانق، فإن وجود الأئمة المعصومين عليهم السلام كان ضمانة لانضباط الحديث الشيعي وعدم اختراقه أواستباحته من قبل الحركات المنحرفة كالنواصب والواقفة والغلاة وبقية الفرق الضالة، ولهذا ظلت الحالة الشيعية بمنأى عن تأثيرات نظريات الجرح والتعديل التي كانت رائجة آنذاك، فالحديث عندهم إما صحيح أو غير صحيح، وغير الصحيح إما ثابت البطلان (كالمخالف للقرآن والسنة القطعية) أو مظنون

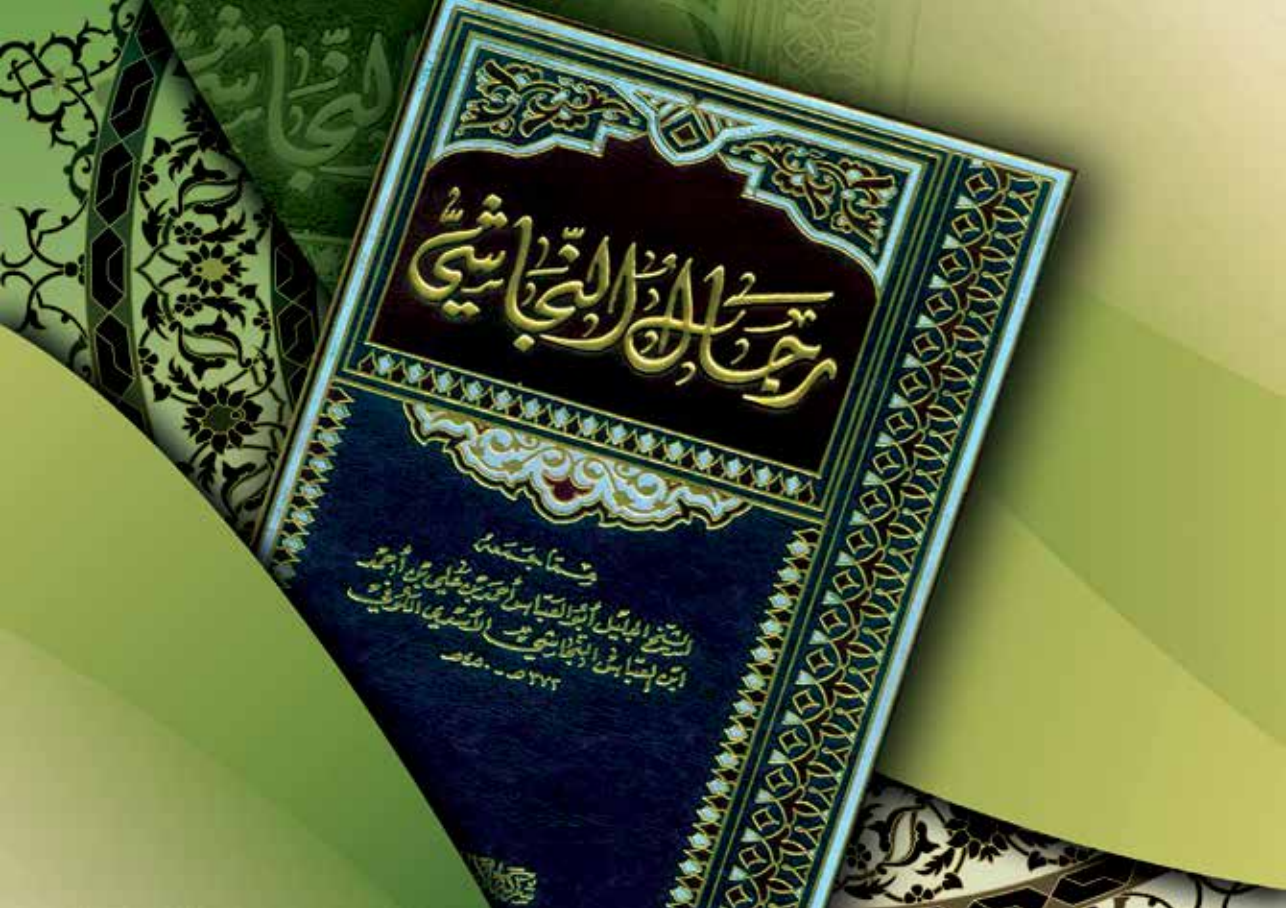

البطلان تجري عليه أحكام التوقف والاحتياط التي سنها أهل البيت عليهم السلام، ولم يكن عندهم الاصطلاحات الأخرى كالحديث الحسن أو الضعيف المنجبر أو المعضل أو المقطوع وغيرها مما أبحرت فيه بعيداً ذهنية أرباب الجرح والتعديل.

إن المتابع لتاريخ الحديث الشيعي يجد أنه حتى نهاية الغيبة الصغرى وبزوغ فجر الكبرى فإن الرواة والمشتغلين بالتصنيف في علم الرواية والحديث كانوا يعتمدون في تصحيح الأحاديث على القرائن القائمة والسنن التي عليها العمل بين الشيعة دون الحاجة لاعتماد منهجية الإسناد في نقد الأحاديث، فقد خلف أصحاب الأئمة ما يعرف بالأصول الحديثية التي ناهزت الأربعمائة أصل في مختلف فروع العلم من التوحيد في العقائد إلى كتاب الحدود والديات في الأحكام، فحتى لو صادف في إسناد تلك الأحاديث أو الأصول وجود راوٍ متهم بالضعف فإن شهرة الكتاب وصحةً نسبته لصاحبه وأحياناً شهادة المعصوم بصحة مضمونه تكون كافية للأخذ بالرواية واعتماد مضمونها سيما مع عدم معارضتها للكتاب والسنة الصحيحة.

ويبدو أن تحولاً طرأ في الذهنية الشيعية في منتصف القرن السابع الهجري على يد أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت٦٧٣) الذي (اخترع تفريع الخبر إلى أقسامه الأربعةالمشهورة:الصحيح، الحسن، الموثق، الضعيف)[1]، وبالتالي صار لا بد من الاعتماد على ما تبقى عندهم من (الأصول الرجالية) للتعرف إلى حال الراوي من الضعف أو الوثاقة ومن ثم الحكم على درجة الحديث بمنهجية (النقد السندي)، وبسبب ضياع بعض الأصول الرجالية، وعدم اهتمام المتقدمين

من الرواة كالشيخ الكليني والصدوق على منهجية نقد الأسانيد فإن كثرة الضعفاء والمجاهيل في أسانيد رواياتنا أنتج ضعفاً في منظومة الحديث التي خسرت آلاف الأحاديث بحجة ضعف الإسناد دون التدقيق في منهجية الجرح عند أصحاب الأصول والمقالات الرجالية، ويبدو أن هناك محاولات في هذه الأيام للخروج من أغلال الأحكام الاجتهادية لقدماء الرجاليين الشيعة إلى منهجية أكثر موضوعية في تقويم حال الراوي بما يُخرج الكثير من الضعفاء إلى دائرة المدح أو الوثاقة.

الضعفاء في كتاب النجاشي

يعد كتاب (الرجال) لأحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي (ت٥٤٠) من أهم الأصول الرجالية المعتمدة في الجرح والتعديل عند الشيعة، ويمتاز بسعته وشموليته بحيث استوعب أكثر مما جمعه الطوسي في رجاله وفهرسته، كما يمتاز بالدقة في ضبط الأسماء وذكر النسب بدقة وتضلع، وفي مواضع عديدة يتطرق لتواريخ الولادات والوفيات، ويذكر في الغالب طريقه إلى أصحاب الكتب والمصنفات.

ومن المعروف لدى المشتغلين في هذه الصناعة أن الجرح - كما التعديل – يقع على درجات، ويمكن تقسيمه إلى الجرح في الراوي نفسه، كأن يتهم بالكذب أو الوضع أو الضعف أو التخليط أو سوء الحفظ أوقلة التثبت وما شاكل،أويكون الجرح في رواياته، كأن يروي عن الضعفاء أو يعتمد المراسيل أو يروي كتباً فيها تخليط واضطراب واختلاف في الرواية، وقد يكون الجرح في عقيدة الراوي كأن يكون ناصبياً أو عامي المذهب أو واقفياً أو فطحياً أو بترياً أو يكون من الغلاة، وقد جرت العادة في أسانيد الكتب الشيعية الاعتماد على رواية الثقات من المخالفين سواء كانوا من العامة أو البترية أو الزيدية أو الواقفة وغيرهم ممن هم على أصل الإسلام دون الغلاة والنواصب، فإن الشيعة تتحرج من الرواية عنهم، لأنهم أولًا خارجون عن الإسلام، ولأنهم أيضاً لا يتورعون عن الكذب لإثبات عقائدهم المنحرفة، ولذلك نعلم من عبارات الجرح أن فساد العقيدة أو المذهب يعني الغلو أو التفويض، مما يخرج الراوي عن حد الاحتجاج دون بقية المذاهب الإسلامية المنحرفة.

وبحسب النسخة المطبوعة اليوم من رجال النجاشي بتحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، فإن النجاشي ترجم في كتابه لحوالي (٠٧٢١) راوياً جلهم من الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وعدد لا بأس به منهم من الواقفة والفطحية والبترية والزيدية والعامة، وذكر بعض الغلاة إلا أنه لم يذكر النواصب لخروجهم عن أصل تأليف الكتاب وهو الإحاطة بأسماء مصنفي الشيعة أو من يصنف في أحاديثهم ورواياتهم.

بلغ عدد (الضعفاء) الذي جرحهم النجاشي أو نقل جرحهم عن المتقدمين من مشايخه وأعلام الطائفة ما يزيد على (١٠٠) راوٍ فضلاً عن (٦١) راوياً ممن جمع فيهم عبارات الجرح والتعديل، إما لاختلاف أقوال الرجاليين حولهم أو لأنه لم يقتنع بما ورد بحقهم من عبارات القدح والذم.

ويمكن تصنيف الضعفاء في كتاب النجاشي إلى مجموعة أقسام بحسب مراتب الجرح والذم وأشكالهما الذي ورد بحقهم على النحو الآتي :

١. الموصوفون بالكذب أووضع الحديث :وهم[٤] من الرواة أبرزهم (عبيد بن كثير الواسطي)، و(عبد الرحمن بن كثير الهاشمي).

٢. الموصوفون بالضعف على إطلاقه كأن يقال (ضعيف) أو (ضعفه أصحابنا) : وهم (٥٣) راوياً، أبرزهم (المعلى بن خنيس).

٣. الموصوفون بفساد المذهب والرواية: وهم (٣١) راوياً أبرزهم (المفضل بن عمر الجعفي) و(داود بن كثير الرقي).

٤. الموصوفون بالضعف وفساد المذهب: وهم (٥١) راوياً أبرزهم (سهل بن زياد) و(أبو سمينة محمد بن علي الكوفي).

٥. الموصوفون بالاختلاط أو النكارة او الاضطراب أو اختلاف مروياتهم أو عدم نقاء حديثهم:وهم (٩١) راوياً أبرزهم (جابر بن يزيد الجعفي) والوكيل (علي بن جعفر الهماني).

٦. الموصوفون بالضعف وفساد الرواية: وهم اثنان (الحسن بن العباس بن حريش الرازي) و(الحسن بن محمد بن يحيى المعروف بابن أخي طاهر).

٧. من ذكرهم بجرح غير مفسر كقوله (ليس بذاك) أو (طعنوا فيه) أو (غمزوا فيه):وهم سبعة رواة.

٨. الموصوفون بفساد الرواية دون فساد المذهب: راوٍ واحد (إبراهيم بن إسحاق الأحمري).

٩. الموصوفون بفساد المذهب دون الرواية : أي الغلو، وهم ستة رواة.

١٠. من جمع فيهم عبارات الجرح والتعديل : وهم (٦١) راوياً.

منهجية الجرح عند النجاشي

من خلال التتبع والاستقراء وجدنا أن النجاشي قد تفرد – دون بقية النقاد - بتضعيف (٧٦) راوياً من أصل أكثر من (١٠٠) راوٍ جرحهم في كتابه، وهذا الحكم يجري مع استثناء أحكام ابن الغضائري وهو أحمد بن الحسين بن عبيد الله، من مشايخ النجاشي، وقد أهملنا أحكامه لسببين أولهما : عدم ثبوت نسبة كتاب الضعفاء إليه كما ذكر ذلك بعض الأعلام، وثانيهما لأن ابن الغضائري كان متشدداً جداً في الجرح، وقلما يسلم راوٍ من سهامه وسياطه، ولذلك فقد جفاه أهل هذا الفن إلا القليل ممن هم على شاكلته.

إن تفرد النجاشي بتضعيف أكثر من ثلثي الذين ذكرهم من الضعفاء يؤشر أن ثمة خللاً في المنهجية المتبعة عنده جعلته يذهب بعيداً في كثير من الأحيان في تضعيف الرواة وجرحهم على الشبهة والظنة، والذي يظهر أن هذا الخلل جاء من اعتماده الأمور الآتية :

أولاً : اعتماده على شيخه ابن الغضائري في بيان حال الراوي، سواء تعلق الأمر بحديثه أو بمذهبه، وقد انعكس تشدد ابن الغضائري المعروف على أحكام النجاشي بشكل واضح، فقد بين الاستقراء أن جل من تفرد النجاشي بتضعيفهم إنما تابع فيهم تضعيف شيخه ابن الغضائري.

ثانياً : اعتماد النجاشي على أقوال القميين المتشددين في التضعيف الذين يرمون الرواة بالغلو والارتفاع في المذهب دون مبررات علمية صحيحة ؛ فالتشدد معروف عند أهل قم وقد ذهب العديد من الرواة ضحية هذا التشدد كالثقة الجليل أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٤٧٢) الذي أخرجه أبو جعفر أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري من قم لاتهامه بالرواية عن الضعفاء، وكذلك الثقة الجليل محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني وهو من أجلاء أصحاب الإمام الهادي عليه السلام اتهمه أهل قم بالغلو على الرغم من أنه كان مكلفًا من الإمام الهادي عليه السلام بمحاربة الغلاة والتصدي لهم [٢] ! وكذلك حاول القمّيون قتل المحدث الثقة محمد بن أورمة القمي لاتهامه بالغلو، فجاؤوه ليلاً فوجدوه يصلي فتركوه[٣] ! يقول المحدث الميرزا النوري (أعلى الله مقامه) :

(وفي الاعتماد على تضعيف القميين وقدحهم في الأصول والرجال كلام معروف، فإن طريقتهم في الانتقاد تخالف ما عليه جماهير النقاد، وتسرعهم إلى الطعن بلا سبب ظاهر، مما يريب اللبيب الماهر...) [٤].

ثالثاً : إن النجاشي نادراً ما كان ينقد آراء المتقدمين عليه من الرجاليين، ربما ثقة منه بأقوالهم،أو جرياً مع الوضع العلمي المألوف آنذاك الذي لم يكن للتحقيق والنقد فيه ميدان واسع، بل الغالب عليهم النقل والتقليد، ولم يشذ النجاشي عن هذا الأسلوب إلا نادراً.

النجاشي وتضعيف الثقات !

مما يؤخذ على النجاشي أيضاً أنه حكم بتضعيف (أو نقل عن سلفه تضعيف) بعض الرواة ممن هم في درجات عالية من الجلالة والوثاقة وحسن البلاء مع الأئمة الأطهار عليهم السلام، وجاء هذا التضعيف بسبب شبهات أثيرت، إما من قبل بعض المتشددين أو روايات رواها بعض الحساد وضعفاء النفوس تقدح في عدالة أو عقيدة هؤلاء الأعلام والثقات الأثبات، ونحن ذاكرون أبرز هؤلاء الراوة الثقات الذين ضعفهم النجاشي :

١. المعلى بن خنيس : تفرد النجاشي بتضعيفه تبعاً لابن الغضائري، أما الشيخ الطوسي فقد مدحه في كتاب الغيبة ووصفه بأنه من الوكلاء الممدوحين الذين مضوا على منهاج الأئمة عليهم السلام[٥]،وقد روى الكشي روايات عديدة تفيد جلالته وحسن عاقبته وأنه رجل من أهل الجنة[٦].

٢. جعفر بن محمد بن مالك الفزاري : ضعفه النجاشي ونقل عن الغضائري وغيره اتهامه بالوضع وفساد المذهب، إلا أن الشيخ الطوسي وثقه في رجاله وقال : (ويضعفه قوم، روى في مولد القائم أعاجيب)، وقد استفاد الكثير من المحققين وثاقته وحسن حاله من خلال قرائن كثيرة ليس هذا مورد ذكرها [٧].

٣. داود بن كثير الرقي : وثقه الشيخ الطوسي والمفيد، وأورد الصدوق عن الصادق عليه السلام أن داود بمنزلة المقداد بن الأسود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الشيخ النمازي : (ولذلك كله نجعله من الثقات الأجلاء وفقاً لجماعة من الأعاظم منهم الشيخان الطوسي والمفيد وابن فضال والصدوق وابن طاووس والعلامة والكشي والطريحي وغيرهم.

٤. المفضل بن عمر الجعفي : ضعفه النجاشي وابن الغضائري بفساد المذهب واضطراب الرواية، وذكر الكشي روايات مادحة وأخرى ذامة له، أما الشيخ المفيد فقد وثقه صريحاً في الإرشاد (٢\٦١٢) ذاكراً إياه في جملة (شيوخ أصحاب أبي عبد الله وخاصته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين)، وذكره الشيخ الطوسي في غيبته ص٦٤٣ في جملة الوكلاء الممدوحين، وقد ناقش السيد الخوئي ما ورد بشأن المفضل من روايات المدح والذم وخلص إلى النتيجة الآتية قائلاً : (والنتيجة أن المفضل بن عمر جليل،ثقة) [٨].

٥. جابر بن يزيد الجعفي : تفرد النجاشي بتضعيفه، رغم أن المفيد وابن الغضائري ذكرا أنه ثقة، وروى الكشي روايات في مدحه، وعده ابن شهرآشوب من خواص أصحاب الصادق عليه السلام، وخلص السيد الخوئي إلى توثيقه في معجمه ٤\٤٤٣ قائلاً : (الذي ينبغي أن يقال : إن الرجل لابد من عده من الثقات الأجلاء لشهادة علي بن إبراهيم، والشيخ المفيد في رسالته العددية وشهادة ابن الغضائري، على ما حكاه العلامة، ولقول الصادق عليه السلام في صحيحة زياد : إنه كان يصدق علينا).

٦. صالح بن أبي حماد الرازي : تفرد النجاشي بتضعيفه تبعاً لابن الغضائري، ذكره الطوسي ولم يطعن فيه، ونقل الكشي

في رجاله ٢\٧٨٣ أن الفضل بن شاذان كان يرتضيه ويمتدحه.

٧.علي بن جعفر الهماني : الوكيل الفذ، كان من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، وصار من وكلائه المبرزين، وكان موضع اعتماد الإمام ومحط اهتمامه ورعايته، وثقه الشيخ الطوسي غير مرة في كتبه، ووردت الروايات في مدحه وجلالته[٩].

٨. محمد بن أحمد بن خاقان (أبو جعفر القلانسي) : تفرد النجاشي بتضعيفه تبعاً للغضائري، نقل الكشي عن العياشي توثيقه، وهو ثقة بالاتفاق[١٠].

أضف إلى ذلك، ذكر النجاشي في جملة ضعفائه مجموعة من الرواة من أكثر الثقات كالكليني والصدوق الرواية عنهم، منهم :

١. سهل بن زياد الآدمي : وثقه الشيخ الطوسي مرة وضعفه مرتين، أورد له الكليني أكثر من ٢١٠٠ رواية.

٢. إسماعيل بن سهل الدهقان :روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى[١١] كما روى عنه من كبار الأصحاب كسعد بن عبد الله الأشعري، وعلي بن مهزيار، والفضل بن شاذان، ذكره الطوسي في الفهرست ولم يطعن فيه[١٢]،ذكره القمي في تفسيره.

٣. أمية بن علي القيسي الشامي:تفرد النجاشي بتضعيفه، كان خصيصاً بأبي جعفر الجواد عليه السلام،وله روايات شريفة في فضل آل محمد ومعاجزهم، كما روى النص على الإمام الهادي عليه السلام.

٤. بكر بن صالح الضبي الرازي : تفرد النجاشي بتضعيفه، وقد أكثر الكليني والصدوق وجماعة الأصحاب من الرواية عنه، ذكره الطوسي في فهرسته ورجاله ولم يطعن فيه، وقد استظهر الشيخ النمازي الشاهرودي حسنه والاعتماد على كتبه[١٣].

٥. سلمة بن الخطاب البراوستاني : تفرد النجاشي بتضعيفه، وقد توقف النمازي الشاهرودي في تضعيفه ونقل عن الأعلام حكمهم بتوثيقه وحسنه، وإنما أخذ تضعيفه من الغضائري.

٦. موسى بن سعدان الحناط : أكثر الكليني الرواية عنه، وكذا بقية المشايخ، ذكره الطوسي ولم يطعن عليه، وروى عنه الثقات الأجلاء، تفرد النجاشي بتضعيفه تبعاً للغضائري.

وهكذا، فإن على الباحث المحقق والخبير المدقق أن ينظر في منهجية الجرح عند القدماء قبل أن يسلم بأحكامهم التي تلحق الظلم والحيف بمجموعة من أكابر الشيعة وأجلاء الرواة وثقات الطائفة، فضلاً عن خسارة مروياتهم الشريفة ووضعها في خانة (الضعيف)، وهو ما يفتح الباب على أعداء التشيع من الوهابيين والسلفيين وأذنابهم للطعن في روايات الشيعة ورجالاتهم، فإعادة صياغة مناهج الجرح عند الطائفة له فوائد عقدية وفقهية ومعنوية على أكثر من صعيد، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) راجع : أدوار الفقه الإمامي ص٤٧١.
(٢) اختيار معرفة الرجال ٢\٤٠٨.
(٣) رجال النجاشي ٩٢٣.
(٤) خاتمة المستدرك ١\٥٦.
(٥) غيبة الطوسي ٧٤٣.
(٦) اختيار معرفة الرجال ٢\٥٧٦.
(٧) مستدركات علم رجال الحديث ٢\٣٠٢.
(٨) معجم رجال الحديث ٩١\٠٣٣.
(٩) مستدركات علم رجال الحديث ٥\٦١٣.
(١٠) معجم رجال الحديث ٧\٦٦٢.
(١١) الكافي ٢\٧٧٥.
(١٢) الفهرست/للطوسي ص٣٥.
(١٣) مستدركات ٢\٦٥.

أجوبة مسابقة العدد (٥٤)
وأسماء الفائزين

الســؤال الأول: أ- أثناء خطبته يوم عاشوراء

الســؤال الثاني: ب- محمد بن الأشعث

الســؤال الثالث: أ- رسول واحد

الســؤال الرابع: أ- لبطة بن الفرزدق

السؤال الخامس: ج- الحارث بن نبهان

السؤال السادس: ب- خمسة

الســؤال السابع: أ- لم يلتحق وبقى إلى حين وفاته

الســؤال الثامن: ج- زيد بن أرقم

الســؤال التاسع: ب- عذيب الهجانات

الفائز بالجائزة الأولى: باسم عبد الرزاق حمود/ النجف الأشرف-الكوفة.

الفائز بالجائزة الثانية: ستار جليل عجيل/ ذي قار - الفهود.

الفائز بالجائزة الثالثة: علي مجيد داود/ البصرة - الزبير.

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم

ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد

مسابقة العدد (٥٦)

١ صفية بنت حيي بن اخطب، زوج النبي صلى الله عليه وآله، كانت من يهود بني النضير، ولما قتل زوجها في فتح خيبر اصطفاها رسول الله صلى الله عليه وآله وأعتقها ثم تزوجها، كانت في غاية الصلاح والتقى، توفيت في خلافة معاوية، في أي مكان تزوجها رسول الله؟

أ- الصهباء . ب- المدينة . ج- الأبواء.

٢ **ما إن رأت عيناي أكثر باكياً**
منه وأوجع رنّة من معولِ
حشدوا على جنبات نعشك حشّداً
حشد العطاش على شفير المنهلِ

بيتان من قصيدة قالها مهيار الديلمي في رثاء علماً من أعلامنا، فمن هو؟

أ- الشيخ المفيد. ب- الشيخ الكليني. ج- السيد الرضي

٣ «**هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا**»، حديث تحدث به الإمام الحسن العسكري بمحضر من أصحابه، فكم كان عددهم؟

أ- ٤٠ رجلاً. ب- ٥٠ رجلاً. ج- ستين رجلاً

٤ «**إلا أن خير شيعتي النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي**» كلمات قالها أمير المؤمنين عليه السلام لصاحبه الحارث الهمداني، عندما سأله عن شأنه وشأن الثلاثة الذين سبقوه، فأين جرى هذا الحديث؟

أ- في مسجد النخاسين/ البصرة.

ب- في مسجد النخيلة/ الكوفة.

ج- في مسجد الغمامة/ المدينة.

كوبون المسابقة

ينابيع ٥٦

جواب السؤال الأول: أ ب ج

جواب السؤال الثاني: أ ب ج

جواب السؤال الثالث: أ ب ج

جواب السؤال الرابع: أ ب ج

الاسم الثلاثي: .....

العنوان: .....

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. ويخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ شعبان/ ١٤٣٥هـ.

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ جعفر بن أبي طالب، كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وخُلقاً، شهد مؤتة وقاتل وكان أول من عقر فرساً في الإسلام، واستشهد في تلك الواقعة سنة ٨هـ، فكم كان عمره الشريف؟

أ- ٤١ سنة . ب- ٤٣سنة. ج-٤٥ سنة.

٦ «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ...**»، قول لرسول الله صلى الله عليه وآله، بيّن فيه فضل عدد من النساء على باقي نساء العالمين، ثم ميّز صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة على باقي ذلك العدد، فكم كان عدد النساء المفضلات؟

أ- أربعة نساء. ب- خمسة نساء. ج-ستة نساء.

٧ واقعة هوازن، حدثت في أول شوال سنة ٨ هـ ، وفيها كان النصر للمسلمين بقيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ولهذه المعركة اسم آخر عرفت به في التاريخ، فما هو ذلك الاسم؟

أ- واقعة حنين. ب- واقعة الجعرانة .

ج- واقعة تبوك.

٨ أبان بن تغلب، من خيرة أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، لما مات قال فيه الإمام الصادق عليه السلام: «أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان»، كم حديثاً روى أبان عن الإمام الصادق عليه السلام؟

أ- ٢٥٠٠٠ حديثاً. ب- ٣٠٠٠٠ حديثاً.

ج-٣٥٠٠٠ حديثاً.

٩ «**فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وقراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً**» كلام من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام وجهه لعامله سهل بن حنيف، تناول فيها ما يجب على الحاكم أن يكون من التأسي بضعاف الرعية، فما كانت مناسبة إرساله هذا الكتاب؟

أ- قبول عامله دعوة وليمة.

ب- سكن عامله في بيت جديد.

ج- تولية عامله شأن البصرة.

دار الهلال

طباعة . نشر . توزيع

- كتب
- اقراص كومبيوترية
- اقراص DVD - VCD

النجف الأشرف ـ شارع الرسولﷺ
Tel:332913-371797

www.Alhelal.org
INFO@ALHELAL.ORG

عتبانا

صورة قديمة لمرقد الإمامين الكاظمين (عليهما السلام) في بغداد أخذت في أواسط القرن الماضي

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية